

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

موجز

النظرية العامة للدعوة

الإسلامية

والنهج العام

وأساس لقاء المؤمنين

دار النحوي
للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

إلى
لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

**موجز
النظرية العامة للدعوة الإسلامية
والنهج العام
وأساس لقاء المؤمنين**

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

دار النحوي
للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

ح دار النحوي للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النحوي ، عدنان علي رضا

موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين - ط ٢

- الرياض

... ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٩٩٦٠-٦٨٧-٤٦-٥

١- الدعوة الإسلامية ٢- الأمة العربية ٣- الوحدة الإسلامية

أ- العنوان

١٩/٠٤٦٣

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع ١٩/٠٤٦٣

ردمك ٩٩٦٠-٦٨٧-٤٦-٥



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

الطبعة الثانية
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

دار النحوي للنشر والتوزيع

تلفون وفاكس: ٤٩٣ ٤٨ ٤٢

ص.ب: ١٨٩١ الرياض: ١١٤٤١

المملكة العربية السعودية

الاهداء

إلى الدعاة العاملين
ليقفوا مع أنفسهم
وقفة إيمانية ، وقفة
مراجعة وحساب
وتقويم ، وقفة توبة
وإنابة .

الافتتاح

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن
أتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾

[يوسف : ١٠٨]

﴿ ... وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم
تفلحون ﴾ [النور : ٣١]

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

« حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن
توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر فإنما يخفف الحساب يوم
القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا »

[رواه الترمذي - كتاب صفة القيامة (٣٨) باب (٢٦)]

حديث (٢٤٦١)

كلمات يجب أن نقف عندها

من أجل أن يعرف الدعاة أهمية مسؤولياتهم وخطورتها ، فإننا نقول :

إن بناء عمارة مهما عظمت يسهل إذا قيس ببناء الإنسان على قواعد الإيمان والتوحيد وعلى قواعد المنهاج الرباني . فتلك مهمة يقوم بها المهندسون والفنيون ، أما بناء الإنسان وإعداده وتدريبه فهي مهمة بعث الله من أجلها الرسل والأنبياء الذين ختموا بمحمد ﷺ ، ثم جعلها مهمة الأمة المسلمة الواحدة الممتدة مع الزمن .

* * *

ومن أجل لقاء المؤمنين الصادقين العاملين وبناء الأمة المسلمة الواحدة ، ومن أجل العهد مع الله والأمانة والخلافة والعمارة والعبادة التي خُلق الإنسان لها ، والوفاء بها في الحياة الدنيا ، فإننا نذكر بأنه : يجب أن نتعاون فيما أمر الله أن نتعاون فيه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما أذن الله أن نختلف فيه .

* * *

ومن أجل ألا ندعي الخوف على الإسلام من خلال الضعف والتقصير والإقبال على الدنيا ، والاحتواء خلف الشعارات وحدها ، فإننا نذكر أنفسنا والدعاة والمسلمين والناس فنقول :

أيها الناس ! أيها المسلمون ! أيها الدعاة ! كما تُظهرون الخوف على الإسلام ، مع أنَّ للإسلام ربّاً سينصره بجنود ينصرون الله ربههم ويوفون بعهدهم معه ، فخافوا على أنفسهم حين تقفون بين يدي الله ، يسألکم عما فعلتم في الحياة الدنيا ، وهل نصرتم الله كما أمرکم وتجنّبتم الفتن التي نهاكم عنها ، والصراع والشقاق وتنافس الدنيا ؟!

* * *

ومن أجل الاستقامة على الصراط المستقيم ، ومعرفة الدرب الذي يقود إلى الأهداف ،
نذكر ونقول :

إذا غاب النهج والتخطيط على أساس الإيمان والتوحيد والمنهاج الرباني في واقع أي
أمة ، فلا يبقى لديها إلا الشعارات تضحج بها ولا تجد لها رصيذاً في الواقع إلا مرارة الهزائم
وتناقض الجهود واضطراب الخطا ، ثم الشقاق والصراع وتنافس الدنيا في الميدان ، ثم
الخدر يسري في العروق ، ثم الشلل ، ثم الاستسلام !

* * *

ومن أجل تأكيد أهمية النهج والتخطيط في الواقع نذكر كذلك ونقول :

إذا التقى فريقان : فريق له نهجه وخطته ، فعرف بذلك دربه ومراحله وأهدافه ،
فنهض وصدق عزمه لها ، وفريق لانهج له ولاخطة إلا الشعارات يُدَوِّي بها ، فإن الفريق
الأول بنهجه وتخطيطه يستطيع أن يحوّل جهود الفريق الثاني لصالحه ، فيجني النصر ،
ويجني الآخر الهزيمة والخسران والحسرة .

* * *

ومن أجل الاطمئنان إلى السبيل لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية فإننا نقول :

إن الأهداف الربانية لا يمكن تحقيقها إلا بجنود ربانيين ووسائل وأساليب ربانية .
وهذه وتلك تحتاج إلى بناء وإعداد رباني .

مقدمة الطبعة الأولى والثانية

نقدم في هذه الدراسة وهذا البحث « موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، وموجز النهج العام والتصور العام للدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي ، وأساس لقاء المؤمنين .

إننا نؤمن أن النهج العام والتصور العام معروض كله في منهاج الله موجزاً ومفصلاً في آيات معجزة ولكنها ميسرة للذكر مع إعجازها ، وفي أحاديث الرسول ﷺ .

إننا ، فيما نقدّمه ، نذكر بما أمر الله به حقاً نزل به الوحي الأمين وبلغه رسول الله ﷺ . نذكر لأن الذكرى تنفع المؤمنين ، ونذكر لأن الله أمر بالتذكير .

ثم ندرس الواقع دراسةً موسعةً من خلال منهاج الله ، حتى نعي الواقع ونحدّد الخلل ونحدّد العلاج ، كل ذلك على أساس من منهاج الله .

وعلى ضوء ذلك نجتمع مانذكر به من أمر الله ، الذي نراه يعالج أمراضنا والخلل في واقعنا ، نضع مانذكر به في نهج عام وخطة ومناهج تفصيلية ، ودراسات تفصيلية مترابطة متناسقة ، تمثل النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام والتصور العام وتفصيلاتها .

والخطوة الهامة في هذا كله « التدريب » بمراحله وأنواعه المفصلة في دراساتنا ، والذي يمثل جزءاً هاماً في النظرية التربوية التي ندعو لها ، وفي التصور العام . فلا بد من التدريب المنهجيّ الممتدّ ، التدريب الذي يظلّ ملازماً لعملية البناء والإعداد في جميع مراحله .

والدراسات التي نقدّمها في كتب الدعوة الإسلامية يمكن أن نقسمها من حيث المبدأ إلى قسمين : دراسات أو كتب توجز النظرية والنهج والخطة ، لمن يريد أن يأخذ

فكرة سريعة عامة ، وكتب تفصل النظرية وأجزائها كلها والنهج والخطة والأهداف والوسائل .

والموضوعات التي تطرقها هذه الدراسات يمكن إيجازها بما يلي :

الدعوة والبلاغ : إلى الإيمان والتوحيد ، إلى الله ورسوله ، إلى منهاج الله والتكاليف الربانية فيه ، والنهج لتطبيق ذلك في الواقع وخطته ومنهاجه ونماذجه .

التربية والبناء : النظرية ، والنهج والخطة ، والمناهج والنماذج التطبيقية والأهداف ، والوسائل والأساليب .

التدريب : وهو جزء من التربية والبناء ، وإنما أبرزناه موضوعاً مستقلاً لندرك أهميته وخطورته وضرورته . نعرض أنواعه ومراحلته ومنهاجه ونظريته .

المقابلة : امتداده وشموله في الإسلام بين المنهاج الرباني والواقع .

النهج والتخطيط : نظريته وأأسسه ومنهاجه ونماذجه التطبيقية .

الممارسة الإيمانية : نظريتها وخصائصها ومناهج التدريب عليها ، والنمو والتطور على أساس الاتقان والإحسان .

المنهج الإيماني للتفكير : نظريته وخصائصه وممارسته ، حتى لا يتبدد فكر المسلم وجهده .

موازن المؤمن : لبيان الأسس التي يوزن بها الناس .

المؤسسات الإيمانية : تعريفها ودورها وأهميتها .

التقويم الدوري : نظريته وأنواعه ومراحلته ومنهاجه ونماذجه

الإدارة والإشراف : نظرية الإدارة الإيمانية ووسائلها ومنهاجها ونماذجها : للإشراف والتوجيه والتنسيق وغير ذلك .

دراسات في الواقع : القضايا الفكرية الثائرة في الواقع : الشورى ، الديمقراطية ، العلمانية حقوق الإنسان ، التعامل مع مجتمع غير مسلم ، النمو والتطور ، ودراسات في أحداث الواقع وقضاياها ، مباشرة ومن خلال الأدب نثراً وشعراً .

الأدب الملتزم بالإسلام : نظريته وخصائصه الإيمانية والفكرية والجمالية .

النقد الملتزم بالإسلام : نظريته وأسسها ونماذج تطبيقية .

الرد على المذاهب الغربية : من حداثة وبنوية وإبراز أهم الفروق بينها وبين الإسلام .

الشعر والملاحم : تقدم عدداً من الدواوين لتمثل الأدب الملتزم بالإسلام ، ونقدم عدداً من الملاحم الأدبية كل ملحمة تتألف من جزأين : نشري وشعري ، نعرض نظرية الملحمة الملتزمة بالإسلام ، لنفارق التصور الوثنيّ اليونانيّ الذي سيطر على أدبنا .

الوسع الصادق والوسع الكاذب والتفريق بينهما : الوسع الذي وهبه الله لكل إنسان ، والوسع الذي يصوغه الهوى .

إننا نعرض هذا النهج لأنه نابع من قواعد الإيمان والتوحيد ومنهاج الله ، ولأنه حسب اجتهدنا يلبي كثيراً من حاجة واقعنا اليوم ، ولأنه قادر بمرونته أن يلبي حاجات متجددة في الواقع .

إن هذا النهج يأخذ باعتباره وسع الإنسان ، ويقسمه إلى نوعين : الوسع الصادق الذي وهبه الله لكل إنسان ، والذي سيحاسب عليه يوم القيامة . والوسع الكاذب الذي تصوغه الأهواء والشهوات والمصالح الدنيوية المعزولة عن تصور الدار الآخرة .

وإننا نعرض هذا النهج عسى أن يكون أساساً للقاء المؤمنين الذين يرجون الله والدار الآخرة ، على أن يكون الأساس العملي والنظري للمؤمنين العاملين الجادين الذين يكون ولاؤهم الأول لله وحده ، وعهدهم الأول مع الله وحده ، وحبهم الأكبر هو الله ولرسوله ،

الله وحده كما أمر ، وليستقيموا على عبادته حتى يلقيه .

لقد رأينا بعد تجارب مريرة مؤلمة أن اللقاء لا يصح أن يكون على أسس عائلية أو حزبية أو قومية أو إقليمية ، ولا على أساس تنافس الدنيا ولا أساس عبادة العباد . إن لقاء المؤمنين الصادقين العاملين لا يمكن أن يتم إلا على أسس ربّانية ثابتة لاحقاً لأحد بالخروج عليها أو مخالفتها .

لذلك جاءت هذه النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام والدراسات والتفصيلات لتبرز هذه القواعد الربّانية . ولذلك ندعو إلى الأخذ بقاعدة جديدة بدلاً من القاعدة السابقة التي كانت تقول : «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه» .

لتصبح القاعدة الجديدة : يجب أن نتعاون فيما أمر الله أن نتعاون فيه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما أذن الله لنا الاختلاف فيه » .

إن الفرقة بين المسلمين اليوم واضحة جلية . وإن أثارها المدمرة واضحة كذلك ، وإن استمرار هذا الواقع يعني زيادة في الدمار والهوان .

فلا بدّ من كلمة واضحة ننصح بها الله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، لنعذر أنفسنا بين يدي الله ، ولنستغفره ونتوب إليه عسى أن يرحمنا بعفوه ومغفرته وفضله . إننا نؤمن أن النصر من عند الله وحده ، وأن الله لا ينزل نصره على المتنازعين المتفرقين ، ولا على المتنافسين على الدنيا ، حين تكون حقيقة الصراع هي من يثبت نفسه في الساحة ، ومن يحشد الحشد الأكبر ، ويرفع الصوت الأعلى ، وحين تغيب بين أمواج هذا الصراع والشقاق القضايا الحقيقية إلا بمقدار ما يحويه الشعار .

ونؤمن كذلك :

﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾

[الصف : ٤]

وأيضاً :

﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ [الشورى : ١٣]

نعم ! ﴿... أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه...﴾
إن إقامة الدين والاجتماع عليه صفًا واحداً هو الذي يجعل المشركين يرتعدون ،
ويخافون ويكبر الأمر عليهم . والتفرق يجعل المسلمين في هوان وذلة .

ولا تستطيع طائفة أن تدعي أنها هي وحدها تستطيع أن تجابه مكر الكافرين . فلا
نجاة إلا باللقاء . واللقاء لا يصلح أن يكون على دنيا وهوى ومصالح . لا بد أن يكون
اللقاء ، لقاء المؤمنين ، على نهج قبل أن يكون على أشخاص . ولا بد أن يكون النهج
قائماً على قواعد ربانية لا يحل لمسلم أن لا يلتزمها . فتصبح هذه القواعد وهذا النهج محكاً
للنفوس ومحضاً للقلوب .

إلى هذا اللقاء على أسس ربانية ندعو المسلمين قبل أن يزداد البلاء ويعم العذاب .
إن المعركة الحقيقية في أنفسنا ، في داخلنا . فإن انتصرنا على أهوائنا وغيّرنا ما في
نفوسنا وصدقت النية والعزيمة ، فإن الله يفي بوعده لنا بأن يبذل واقعنا إلى نصر وعزة :

﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. ﴾ [الرعد : ١١]

فإلى ذلك الميدان ، الميدان الأول ، ميدان النفوس ، لنخوض المعركة الأولى ،
المعركة التي يحقق النصر فيها النصر في سائر الميادين بإذن الله . ولا يحسن أحد أن الله
لا يعلم ما تخفي النفوس ، وما تموج به الأهواء ! كلا ! إن الله عليم بذات الصدور ، إن
الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ! كيف ندعو لبناء أمة مسلمة واحدة يحكمها
منهاج الله إذا كان المسلم الداعية لا يخضع لمنهاج الله !؟

وإن أمام كل إنسان موتاً محققاً وبعثاً وحساباً ، فليُنظر كلُّ منا ماذا أعد لغد :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

[الحشر : ١٨]

خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

اللهم إنا نستغفرك من كل ذنب ونتوب إليك ونعوذ بك ونلتجىء إليك ، فاهدنا
سبيل الرشاد ، واهدنا صراطك المستقيم ، واجمع قلوبنا على طاعتك وحبك والجهاد في
سبيلك ، إنك نعم المولى ونعم النصير .

عدنان علي رضا النحوي

الرياض :

١٤١٩/٢/١ هـ

١٩٩٨/٥/٢٦ م

تمهيد

يتطلع كثير من المسلمين اليوم إلى فرجة نور أو بصيص من ضياء من خلال الظلام الدامس الذي يلفّ العالم الإسلامي كله ، بل يلفّ البشرية كلها . ويؤكد واقعنا اليوم أن هنالك غارة مركّزة على العالم الإسلامي ، غارة عسكرية وفكرية ، تهدف إلى نهب ثروات العالم الإسلامي وخيراته ، وإلى إضعافه وتجرّده من القوى الفعالة ، وإلى تخديره بالفتنة والانحلال والفجور ، وإلى طمس معالم الإسلام في الأرض ، وقتل رسالته .

ولقد رأى المسلمون الفشل الذريع الذي أصاب الجهود المبذولة ، ورأى الشعارات تتساقط وتتهاوى ، والهتافات تخفت وتغيب ، ورأى التلاوم والأعذار ومحاولات الهروب من المسؤولية .

وغاب عن بال الكثيرين أنه مهما استطاع الناس أن يُفَلِّتُوا من الحساب في الدنيا ، فلن يُفَلِّتَ أحد بين يدي الله يوم القيامة ، يوم لا يُغني مولى عن مولى شيئاً ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، يوم لا تنفع الأنساب ولا الشعارات ، ولا العشيرة ولا الجماعات ولا الألقاب ولا المناصب .. إنه يوم عظيم ، انه يوم زلزلة الساعة ، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ويوم تضع كذلك كل ذات حمل حملها ، ويوم ترى الناس فيه سكارى ، هكذا تراهم وما هم بسكارى ، ولكنه العذاب الشديد الأليم من عند الله .

في ذلك اليوم يتلفّت الإنسان ليدعو أولئك الذين كان يرفعهم ويظن أن نجاته عندهم ، فلا يجد حوله ناصراً ، ويدعو فلا يسمع دعاءه منهم أحد ، ولو سمعوا ما استجابوا له . إن الأمر كله لله والملك كله لله الواحد القهار :

﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب * إذ تبرا الذين اتَّبَعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منّا كذلك يُريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ [البقرة : ١٦٥ - ١٦٧]

﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون ﴾
[الأنعام : ٩٤]

﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ﴾
[الإسراء : ٥٦]

﴿ ... والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾
[فاطر : ١٣ ، ١٤]

﴿ ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ﴾
[الكهف : ٥٢]

إذن طريق النجاة هي اللجوء إلى الله العزيز الحكيم ، الله الذي له الأسماء الحسنى كلها ، لجوءاً صادقاً لا شريك معه ، لجوءاً نابعاً من صدق الإيمان وصدق العلم بمنهاج الله ، ووعي الواقع ومسئوليات المسلم فيه ، ووعي ذلك كله من خلال منهاج الله .

من هذا المنطلق نذكر بمعالم على طريق النجاة ، منائر وضعها الله لعباده ليهتدوا بها .
أَيُعَقَلُ أَنْ يجعل الله مصير الإنسان إلى جنة أو نار ، ثم لا يبين له بالدقة والتفصيل الطريق إلى هذه وإلى تلك ؟! سبحانه وتعالى إنه هو البرّ الرحيم .

لقد جعل الله الطريق جلياً واضحاً ، وزوّد الإنسان بكل ما يحتاجه ليهتدي إلى الطريق الحق في جميع العصور وفي جميع الحالات : جعل له فطرة أودعها الإيمان والتوحيد ، وجعل الله السمع والأبصار والأفئدة ، وبث آياته في الكون كله وفي أنفسنا ليرينا آياته في الآفاق وفي أنفسنا ، لتذكّرنا بالحق الذي قامت عليه السموات والأرض . ثم بعث برحمته الأنبياء والمرسلين وأنزل معهم الكتب ، وكان محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وجاء القرآن الكريم مصدقاً لما بين يديه ومهيئاً عليه ، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

إن الطريق جليٌّ واضح . ولا تكون فيه العتمة أبداً . إنه مشرق بنور الحق . ولكن العتمة في أنفسنا ، في أبصارنا ، في قلوبنا ، تنشرها الأهواء والشهوات والمصالح ، حتى لا يكاد الرجل يُنصر درب الحق بها كسبت يدها .

إن العمل الإسلامي أخذ فترة كافية في عصرنا الحديث ليثبت نجاحه أو فشله في معركة امتدت قرونًا ، وامتدت مع القرن الأخير . وكانت النتائج على نحو ما نرى .

يريد بعضهم أن يعزل العمل الإسلامي عن الواقع ، فيدرسه بعد عزله ، ثم يرى أن العمل الإسلامي لا يتحمّل مسئولية الأحداث والوقائع والهزائم .

إن العمل الإسلامي رفع شعاراته خلال هذا القرن مدوّية عالية ، حمل هو نفسه بها المسئولية ، وتقدّم لينقذ الأمة ، ويساهم في أحداثها كلها تقريباً ، وبذل جهوداً ضخمة ، وقدم تضحيات كبيرة ، وشهداء مضوا ليلقوا ربهم . فلسْتُ أنا ولا أنت ولا غيرنا يُحمّله المسئولية ، إنه هو نفسه حمل المسئولية وتقدّم بها للناس ، فأين الشعارات التي رفعها الجميع ، نعم ! الجميع ، أين هي اليوم ، ومن التزمها وحوّلها إلى واقع حي ؟ ! أم أنها غابت بين الهزائم والفواجع ؟ أم أنها تبدلت وحالت ؟ !

إن العمل الإسلامي جزءٌ من الأمة ، والأمة كلها مسئولة بين يدي الله ، وكل مسلم مسئول ومحاسب ، فأين المقر ؟ !

لقد كان الخطأ الأكبر الظاهر لنا ، والله وحده أعلم بما في الصدور ، أن من كان يتقدّم لتحمل مسئولية قضية من القضايا ، أو أمر من الأمور ، أو مسئولية الدعوة ، كان في الوقت نفسه يُصرّ على أن ينفرد بالمسئولية لا يريد لأحد أن يشاركه فيها ، كان في الوقت نفسه لا يطرح أمام الناس النهج الواضح العملي ، ولا الخطّة المدروسة ولا مراحلها ، ولا يحدّد الأهداف والوسائل والأساليب . وكان الناس في الوقت نفسه لا يسألون عن النهج أو الخطّة أو الدراسة ، ولا يسألون عن الدرب . كانوا يكتفون بالشعارات والرايات حتى إذا حلت الهزيمة وتوالت الفواجع بدأ التلاوم ، وانطلقت المعارضة التي كانت قبل قليل من أكبر المشاركين في الأحداث . وشلت بذلك طاقة كبيرة من العالم الإسلامي .

الجميع إذن مسئولون ! وكان الذي ينصح أو يذكر أو يعظ يُتهم بالفتنة والانشقاق ، وتطارده الشائعات والافتراءات والأقاويل ، ليكون من ذلك كله باب ابتلاء مُخَصَّص به النفوس والصدور والقلوب ، وتتكشف ماكانت تتسرَّ عليه الشعارات والمظاهر والزخارف وألوان الزينة . فأين المفر ؟ !

لقد أقام الناس لأنفسهم أوثاناً يعبدونها من دون الله . وربما كان ذلك تحت شعار الإسلام وباسم الإسلام .

لقد غاب عن بال الكثيرين أن من ينجو من العقاب في الدنيا لاينجو بين يدي الله أبداً مادام قد أفسد وأساء وظلم ! لاينجو أبداً . ولذلك جعل الله الدار الآخرة ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط وبرحمته ، ويجزي الظالمين بظلمهم وبما كسبته أيديهم ، فأين المفر ؟ !

إن استمرار الواقع على ما هو عليه في العمل الإسلامي : فرقة وشتات ، وصراع وأحقاد ، وحسد وتنافس على الدنيا ، فأَيُّ نجاة يرجوها العاملون ، وأي بلاء يساهمون في صنعه للأمة ؟ !

لقد مرَّ من التجارب والأحداث والفواجع مايقظ الحجارة الأصلاذ ولكن المسلمين مازالوا في غفوة عميقة ، تدور الأحداث من حولهم وهم يغطون في سبات عميق .

فَحَسْبُ المسلمين اليوم غفوة أَنَّهُم يتغنون بأبجاد غيرهم ، وبمن مضوا إلى ربِّهم ، حتَّى كادوا يجعلون منهم أوثاناً ، يتصارعون ويخلفون عليهم ، دون أن يعملوا عملهم ، ودون أن يجعلوا منهاج الله مرجعهم الأول عملياً ، ودون أن يكون محمد ﷺ هو قدوتهم الأولى في واقع الممارسة والتطبيق .

إن الله قويٌّ عزيز ، ينصر دينه أَنَّى شاء . فليس خوفنا على مصير الإسلام ، وللإسلام ربٌّ ينصره على يد من يشاء من عباده . ولكن الخوف والقلق والملح على مصيرنا نحن بين يدي الله ، حين يدور الحساب ويقام الميزان ، ونُسأل عما فعلنا وبذلنا لنصرة دين الله ! فأين المفر ؟ !

ينقضي العمر ، ويُطوى الإنسان في قبره ، لا ينفعه مال ولا بنون ، ولا قوة ولا سلطان ، ولا جند ولا حشود ! لا ينفعه شيء إلا رحمة الله وعمله في الدنيا : كم صدق فيه ربه وأخلص نيته عن وعي وعلم ، لا عن خَدَرٍ وهوى ، وكم طابق عمله منهاج الله :

﴿ ... فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ [ق : ٤٥]

﴿ ... وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [النور : ٣١]

﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ [النساء : ٣٦]

من أجل ذلك أصبح من واجب الفرد المسلم والجماعة والأمة ، من واجب كل حركة إسلامية أن تدع الكبر والغرور ، وتقف مع نفسها وقفةً إيمانية ، تراجع فيها مسيرتها من خلال منهاج الله وحده ، لتعرف أين أخطأت ، ولتزيل جميع مظاهر الشرك الخفي أو الظاهر ، ثم تنوب إلى الله جميعاً توبةً نصوحاً ، ونعود لرسم نهجنا على إيمان وتقوى ، وعلى خبرة ، ونور وبصيرة ، لنحدّد الدرب والأهداف والوسائل ، عن وعي وتدبر ، عسى الله أن يرحمنا بعفوه ومغفرته .

أيها الناس ! أيها المسلمون ! أيها الدعاة ! لا تخافوا على الإسلام ، فإن الإسلام سيتنصر ! ولكن خافوا على أنفسكم لأنكم ستحاسبون ! سينصر الله دينه بعباد أوفوا بعهدهم مع الله ، فيمنّ عليهم بشرف النصر ينزله عليهم . . . ! ولكن خافوا على أنفسكم لأنكم ستسألون عما قدّمتم ، وتحاسبون عما فعلتم ، وأين كان دوركم ، أفي نصرته ، أم في الهزيمة من خلال الفرقة والتمزق ، والكبر والغرور ؟! وكم أوفيتهم بعهدكم مع الله العليّ القدير .

﴿ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين ﴾ [العنكبوت : ٦]

من أجل ذلك نقدّم هذا الموجز للتصور الذي نعتقده للدعوة الإسلامية ، فعسى

أن يكون نقطة انطلاق للقاء المؤمنين الصادقين العاملين . إننا نقدم خصائص الدعوة الإسلامية موجزة لما فصله منهاج الله ، ونقدّم موجز النظرية العامة ، وموجز الأهداف والوسائل والأساليب ، وأهم الموضوعات المرتبطة بهذا النهج والتي تمت دراستها على ضوءه .

إننا نسأل الله سبحانه وتعالى ، وندعوه ، ونلج بالدعاء ، أن يجعل هذا العمل وعملنا كله طاهراً من حَبَث الدنيا ، غنياً بفضل الله ورحمته ، خالصاً لوجهه الكريم ، بريئاً من الجري اللاهث وراء الزخرف والزينة وزهرة الدنيا . وندعو الله أن يجعل فيه صلاح حالنا في الدنيا والآخرة ، ونجاتنا فيهما . وهل يمكن ذلك إلا أن ينبع النهج والتصور والنظرية من منهاج الله ومن التمسك به ، ومن صفاء الإيمان وإخلاص الولاء لله والعمل على نهج تطبيقي تفصيلي يقوم على ذلك ؟!

إننا نقدّم هنا موجز النهج والتخطيط الذي ندعو إليه . ولكل قضية موجزة هنا دراسات مفصلة تقدم الوسيلة والأسلوب لتحقيق الأهداف المحددة والدرب والنهج .

إلا أن تحقيق الأهداف الإيمانية لا يعتمد على سلامة النهج والخطة فحسب ، بل لابد ، مع النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج والتخطيط ، من توافر الطاقة البشرية المؤمنة الصادقة ، والكفاءات المدربة القادرة ، الواعية لمنهاج الله دراسة وتدبراً والتزاماً ، والواعية للنهج والخطة والملتزمة بهما .

إن هذا النهج يغطي جزءاً من ميادين الدعوة الإسلامية . فهناك ميادين أخرى ممتدة تحتاج إلى النهج والتخطيط ، وإلى الطاقة البشرية المؤمنة المدربة الصادقة التي تطرق أبواب الجنة بسعيها ، لانفتحتها زخارف الدنيا وزينتها ، الطاقة البشرية الواعية المدربة القادرة بصفاء إيمانها وقوة علمها وخبرتها وتدريبها أن تدخل هذه الميادين على وعي وبقظة .

من أجل المساهمة في بناء هذه الطاقة البشرية : إيماناً وعلماً ، وفكراً وتصوراً ، ونفسية وعملية . ومنهجاً عملياً تطبيقياً ، من أجل ذلك كله نقدم هذه النظرية العامة

مقدمة

للدعوة الإسلامية ، ونقدم هذا النهج والمناهج التطبيقية والنماذج العملية ، على أوسع ما نستطيعه من الدراسات والتفصيلات .

لقد بدأت هذه الدراسات بصورة مبدئية في ميدان العمل قبل أكثر من ثلاثين عاماً ، ثم أخذت تنمو نظرياً وتطبيقاً ومناهج . وإننا نأمل أن نتابع الجهد بإذن الله ونحن نسعى إلى نموّ الإتيقان والإحسان على أسس راسخة ثابتة إن شاء الله ، نقبل النصيحة ونرجو رضا الله وطاعته ، لأفضل في ذلك إلا الله وحده ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

الباب الأول

الدعوة الإسلامية والأمة المسلمة الواحدة

الفصل الأول الدعوة الإسلامية رسالتها ودعاتها وجنودها

١ - ماهي الدعوة الإسلامية؟! ولماذا يجب أن تقوم؟!

الدعوة الإسلامية هي أمر من الله بدعوة الناس كافة إلى الإيمان والتوحيد ، إلى الله ورسوله ، وتبليغهم رسالة الله كما أنزلها وحياً على الرسل والأنبياء وختمها برسالة محمد ﷺ ، لتظل ممتدة في الأرض كلها ، وممتدة في الزمن حتى قيام الساعة ، تستكمل مراحلها وميادينها من خلال نموّ إيمانيّ طبيعي سليم :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾
[آل عمران : ١٠٤]

الدعوة الإسلامية تحمل أكبر حقيقة في الكون كلّ وفي حياة الإنسان على مدى العصور والأجيال . إنها حقيقة التوحيد ، الحقيقة التي تقوم عليها السموات والأرض بالحق ، والتي يجب أن تقوم عليها حياة كل إنسان .

الدعوة الإسلامية تذكّر الناس بالتكاليف الربّانية التي سيحاسبون عنها بين يدي الله يوم القيامة ، سيحاسبون عن مدى الوفاء بها ، يوم تقوم الموازين القسط ، فيذهب فريق إلى الجنة وفريق إلى النار ، لا يغني مولى عن مولى شيئاً :

﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون . إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين . يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون ، إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم ﴾

[الدخان : ٣٨-٤٢]

وكذلك :

﴿ إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود . وما نؤخره إلا لأجل معدود . يوم يأت لاتكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد . ﴾ [هود : ١٠٣ - ١٠٥]

وكذلك :

﴿ وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ [الشورى : ٧]

فما هي هذه الحقيقة الكبرى في الكون والحياة ؟ ! :

﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون . يُنزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون * خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ﴾ [النحل : ١ - ٣]

هذه هي الحقيقة الكبرى في الكون والحياة : ﴿ لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ .

وكذلك

﴿ سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم * له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير * هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ [الحديد ١ - ٣]

هذه هي الحقيقة الكبرى في الكون والحياة ، وهي جوهر الدعوة الإسلامية وقاعدتها الصلبة ، وهدفها الرباني الثابت الأول ، الممتد معها في جميع مراحلها ، وهي تستكمل ميادينها ، وفي اللحظة التي يتوقف فيها هذا الهدف الرباني الثابت الممتد ، هدف الدعوة والبلاغ إلى الإيمان والتوحيد حتى يستقر في القلوب ، في اللحظة التي يتوقف هذا الميدان تنتهي حقيقة الدعوة الإسلامية ، وتفقد سائر الميادين مسوغ قيامها ومصدر قوتها ونشاطها ، ومصدر شرعيتها .

(١) يراجع كتاب : دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية - الباب الثالث . للمؤلف وسائر كتب الدعوة للمؤلف حول هذا الموضوع الهام .

هذه الحقيقة الكبرى في الكون والحياة ، نوجزها بهذه الكلمات :
 « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ملك السموات والأرض وما بينهما ، وله الحمد كله وله الأمر كله ، وهو على كل شيء قدير ، له الأسماء الحسنى كلها ، وأشهد أن محمداً ﷺ ، عبدالله ورسوله ونبية الخاتم ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة » .

هذه هي الحقيقة الكبرى في الكون والحياة ، من أجلها بعث الله الرسل والأنبياء الذين ختموا بمحمد ﷺ ، ومن أجلها تقوم الدعوة الإسلامية ومن أجلها تمتد مراحلها وميادينها ، وتظل تمتد هذه المراحل والميادين بالقوة والحياة ، والنور والهدى ، فإذا تعطلت هذه الحقيقة ، وتوقف ميدانها ، وأصبحت شعاراً فحسب ، فقدت الميادين كلها مصدر قوتها وفقدت مصدر حياتها ونورها وهذاها .

٢ - من المكلفون والمسؤولون عن النهوض إلى الدعوة الإسلامية :

لقد كان الأنبياء والمرسلون الذين بعثهم الله على مر التاريخ ، ابتداء من نوح عليه السلام حتى النبي الخاتم محمد ﷺ ، هم وأصحابهم يحملون مسؤولية الدعوة الإسلامية في الأرض كلها :

﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾
 [الأعراف : ٥٩]
 وكذلك :

﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾
 [الأعراف : ٦٥]

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره .. ﴾
 [الأعراف : ٧٣]

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره .. ﴾
 [الأعراف : ٨٥]

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً﴾ * ورسلاً قد قصصناهم عليك ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً * رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ . [النساء : ١٦٣ - ١٦٥]

هكذا امتدت الرسل في التاريخ البشري منذ عهد نوح عليه السلام حين ظهر الكفر في قومه . وامتد في العصور التي تلت ، مامن أمة إلا جاءها رسول نذير ، حتى ختموا بمحمد ﷺ :

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾

[النحل : ٣٦]

﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾

[فاطر : ٢٤]

وهكذا مضت الدعوة الإسلامية في الأرض يحملها الأنبياء والرسل ومن آمن واهتدى معهم ، كل رسول يرسل إلى قومه خاصة ، حتى لا يكون لأحد حجة على الله أبداً بعد الرسل :

ومع ذلك فقد بعث الله محمداً رسولاً نبياً للعالمين ، بعثه برسالة جامعة مصدقة لجميع من سبقه من الرسل ومهيمنة على كتبهم ، وخاتم النبيين والمرسلين :

﴿وانزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ [المائدة : ٤٨]

﴿وما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً﴾

[الأحزاب : ٤٠]

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]
وبعثه الله للناس كافة :

﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ... ﴾ [الأعراف : ١٥٨]
﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾
[سبا : ٢٨]

وامتدت الدعوة الإسلامية حتى شملت الجزيرة العربية كلها ، ووجه رسول الله ﷺ رسائله إلى فارس والرومان وإلى الحبشة ، وأخذت تمتد ساحة الدعوة وتتسع . ولما توفي رسول الله ﷺ تابع أصحابه رضي الله عنهم نشر هذه الرسالة وتبليغها لشعوب الأرض ، حتى لا يبقى لأحد كذلك عذر ، بعد أن بعث الله النبي الخاتم بالرسالة الجامعة رحمة للعالمين .

وأصبحت مسؤولية الدعوة الإسلامية وحمل رسالتها في الأرض كلها مسؤولية الأمة المسلمة كلها ، الأمة المسلمة التي بناها رسول الله ﷺ ، أمة مسلمة تمتد في الأرض والزمن ، وجاءت الآيات الكريمة تنذر من يتولّى عن حمل هذه الرسالة بعد وفاة الرسول الخاتم :
﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴾
[آل عمران : ١٤٤]

وهذا هو السؤال الذي يحمل إجابته « .. أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم .. » ؟
أي هل تتخلّون عن الأمانة التي حملتموها والدعوة الإسلامية التي أصبحت من جنودها في مدرسة النبوة الخاتمة ؟

والإجابة المتوقعة من الصادقين : كلا ! لن نقلب على أعقابنا وسنمضي في دعوتنا والوفاء بعهدنا مع الله ورسوله والوفاء بالأمانة التي حملناها .

وجاء التحذير من الله سبحانه وتعالى ﴿ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴾ .

نعم ! إن من ينقلب على عقبيه وتأخذه الدنيا ويترك الدعوة الإسلامية التي هي أساس الأمانة التي يحملها المؤمنون ، فأولئك هم الخاسرون ، ولن يضرّوا الله شيئاً ، وستمضي سنن الله على حكمة بالغة وقدر غالب . وأما الشاكرون فهم الذين يوفون بالعهد والأمانة فسيجزئهم الله الجزاء الحسن .

بذلك أصبحت الأمة المسلمة الواحدة هي المسؤولة عن مضيّ الدعوة الإسلامية في الأرض بعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

وتوالى الآيات الكريمة تؤكد هذه الحقيقة الهامة والمسؤولية الكبيرة :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾
[آل عمران : ١٠٤]

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾
وكذلك قوله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه ﷺ والمؤمنين على مدى الدهر :

﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [النحل : ١٢٥] (١)
وحديث رسول الله ﷺ يرويه حذيفة بن اليمان :

« والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » [رواه أحمد والترمذي] (٢)
وكذلك :

﴿ يا بني اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾
[لقمان : ١٧]

(١) يراجع كتاب : الفقه امتداده وشموله بين المنهاج الرباني والواقع للمؤلف : لمراجعة فقه هذه الآية الكريمة ، وكيف تكون الحكمة ، وكيف تكون الموعظة الحسنة .

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (ط : ٣) - (رقم : ٧٠٧٠) .

نعم ! واصبر على ما أصابك . . . إن الصبر من أهم أسلحة الداعية وهو ماض على صراط مستقيم :

وفي حديث لرسول الله ﷺ يرويه أبو سعيد بن سنان الخدري :
 « . . . ومن يتصبر يُصْبِرْهُ الله ، وما أُعْطِيَ أحدٌ عطاءً أوسع من الصبر »
 [رواه أحمد والشيخان (١)]

وتتوالى الآيات والأحاديث الشريفة تأمر بالدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد . وهذا رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما أعطاه الراية لغزو خيبر ، في حديث يرويه سهل بن سعد : « . . ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم » .
 [متفق عليه (٢)]

نخلص من ذلك إلى أن تبليغ رسالة الله إلى الناس وتعهدهم عليها وبيان أمرها وتكاليفها فرض على كل مسلم وهبه الله الوسع الصادق للقيام بهذا الأمر . فهو الهدف الثابت الأول في الدعوة الإسلامية ، وهو قاعدتها الصلبة وجوهرها ، وهو الحقيقة الكبرى في الكون والحياة ، وهو أخطر قضية وأكبرها في حياة كل إنسان .

إنه تكليف من الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين . فهو واجب كل مسلم قادر وواجب الأمة المسلمة على مدى الدهر ، لا يحلُّ الانشغال عن هذا الأمر بأي قضية أخرى ، فلا قضية أكبر من هذه القضية ولا أخطر منها . ولكن ينطلق المسلم منها وهو مزود بالزاد الحق إلى سائر التكاليف الربانية ، مترابطة متماسكة على صراط مستقيم .

يجب أن يشعر كل داعية أن القضية قضيتها هو ، وأن الدعاة اجتمعوا لأنهم جميعاً قضية ربانية واحدة ، يمشون بها جميعاً على درب واحد ، على صراط مستقيم ، في سبيل الله .

(١) المرجع السابق (رقم ٥٨١٩) البخاري : ١٤٦٩/٥٠/٢٤ ، مسلم : ١٠٥٣/٤٢/١٢ .

(٢) البخاري ٣٧٠١/٩/٦٢ . مسلم : ٢٣٠٦/٤/٤٤ .

إذا لم يلتقوا فلأن هنالك متبوعاً تُعْتَبَرُ القضية قضية وحده ، أو قضية أفراد حوله فقط ، وتابعين لا يشعرون بأن القضية قضيتهم ، شلّت قواهم وتعطلت ، فأصبحوا أشبه بالقطيع الذي يُساق إلى مهلكته .

لابد من تثبيت التصوّر الحقّ للقاء الدعاة ، التصوّر الذي تكون فيه القضية قضية كل فرد منهم ، في القلوب والنفوس ، لأن كلّ داعية مكلف ومسؤول ومحاسب .

يجتمع الدعاة والقضية قضية كل واحد ، يجمعهم على الصراط المستقيم نظام إداريّ نابع من منهاج الله ، يلبي حاجة الواقع الذي يفهم من خلال منهاج الله ، ويجمعهم نهج محدّد مفصل ، يعرف كلّ فرد من خلال النهج والتخطيط ، ومن خلال النظام الإداريّ ، صلاحياته وواجباته ، على تنسيق كريم وتعاون كريم .

الفصل الثاني الدعوة الإسلامية دعوة ربانية

١ - خصائص الدعوة الإسلامية :

لقد تحدثنا في هذا الموضوع في كتاب « واقع المسلمين أمراض وعلاج » وبيناً أن للدعوة الإسلامية خصائص ربانية بيّنها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وفي سنة نبيه محمد ﷺ . وتوجز هنا أهم هذه الخصائص :

إنها تقوم على أساس الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان الحق والتوحيد الصافي ، حتى تكون هذه القضية هي الهدف الثابت الأول للدعوة الإسلامية والمهمة الكبرى . إنها قضية إخراج الناس من عبادة العباد والأوثان إلى عبادة الله ، وتعهدهم حتى يُنزع الشرك من القلوب ، ويثبت التوحيد ويستقر لمن يريد الله له الهداية . إن هذه القضية هي أخطر قضية في حياة كل إنسان ، وأكبر حقيقة في الكون . إن هذه الدعوة يجب أن تنال الدراسة والنهج والتخطيط ، والجهد والبذل ، حتى يوفي الداعية أمانته وواجباته ، وحتى توفي الدعوة الإسلامية مسئوليتها . إن الدراسة والنهج يشملان تحديد أهم مظاهر الخلل في الواقع ووسائل معالجتها ، ذلك كله على أساس من منهاج الله .

إن من أهم ما يجب أن يناله البلاغ والبيان والتعهد والتربية بيان أهمية هذه القضية وخطورتها في حياة الإنسان والبشرية ، وكذلك حقيقة الألوهية والربوبية وعبودية الإنسان لربه وخالقه الله الذي لا إله إلا هو ، وأن هذه القضية هي قضية الفطرة أولاً ، يشهد الكون كله على أنها الحق ، وجاء الرسل والأنبياء ليثبتوها في النفوس ، وأن يكون الولاء الأول لله ، والعهد الأول مع الله ، والحب الأكبر لله ورسوله ، وأن الخشية من الله ، وأن التضرع واللجوء إليه ، وأن هذه القضية قضية مفاصلة وحسم ، وتكاليف والتزام ، ومسئولية وحساب ، كل ذلك من خلال منهاج الله .

الدعوة الإسلامية لها رابطة واحدة هي أخوة الإيمان ، الأخوة في الله . إنها رابطة لا يمكن

أن تتحقق في الواقع إلا إذا تحقق صدق الإيمان والتوحيد ، والولاء الأول لله ، والعهد الأول مع الله ، والحب الأكبر لله ولرسوله ، لينبع من ذلك كل ولاء وعهد وحب يقيمه الإنسان في الحياة الدنيا .

إن هذه الرابطة تنشأ بين المؤمنين بصورة حتمية تلقائية ، حين تتحقق شروط الإيمان كلها من الولاء الأول والعهد الأول وغيرهما ، حتى لا تنشأ عصبية جاهلية يتجه إليها الولاء والعهد والحب ، وحتى لا تنقام أوثان يعبدها الناس من دون الله ، أو يجنونها كحب الله ، فالذين آمنوا أشد حبا لله . وتصبح هذه الرابطة لا تنقف عند حدود العاطفة ولكنها تمتد إلى مسئوليات وحقوق .

إن هذا الولاء الأول لله ، والعهد الأول مع الله ، والحب الأكبر لله ولرسوله ، والموالة النابعة من ذلك بين المؤمنين ، والأخوة الحقيقية في الله ، تحتاج إلى جهود كبيرة صادقة ، وتعهّد دائم مستمر ، يقتضي أثر مدرسة النبوة في الدعوة الخالصة لله ، للإيمان والتوحيد ، وفي التعهّد والبناء ، والجمع والإعداد ، لبناء الأجيال المؤمنة التي تحتاجها البشرية كلها ، حتى يُوفي بحق العبادة لله ، والأمانة ، والخلافة ، والعمارة .

يصبح قيام الدعوة الإسلامية برابطتها الربانية هذه نتيجة حتمية ، وثمرّة مباركة لصدق الإيمان والتوحيد ، ومثانة هذه الرابطة الإيمانية الربانية التي لا تنحرف إلى عصبية جاهلية ، بل تجمع المؤمنين الصادقين صفّاً واحداً كالبنين المخصوص على رابطة ربّانية صادقة يشهد الواقع على صدقها .

بذلك تكون الدعوة الإسلامية دعوة واضحة جلية : لها درب واضح ، وأهداف واضحة ، وأساليب ووسائل واضحة ، نقيّة طاهرة ، لأنها كلها نابعة من منهاج الله مرتبطة به ماضية معه . وبذلك تكون الدعوة إلى الدعوة إلى الله ورسوله على بصيرة ونور ، ويكون جميع جنودها مبصرين ، ليس بينهم قطيع يساق في متاهة وظلمة .

٢ - تحقيق خصائص الدعوة الإسلامية يحتاج إلى الأجيال المؤمنة وإلى النهج والتخطيط :
وحتى تتحقق خصائص الدعوة والبيان ، والتعهد والتربية والبناء ، وإعداد الأجيال

المؤمنة فلا بدّ من النهج والتخطيط لكل خطوة ولكل ميدان ، لابدّ من الإدارة الإيمانيّة الواعية القادرة والإشراف والمراقبة والتوجيه من خلال هذه الإدارة ، والمتابعة والنصيحة والتذكير ، ومتابعة معالجة الأخطاء ، وتجنب الزلل والانحراف ، من خلال نظام إداري مفصل ينمو مع الممارسة والتطبيق .

إن الدعوة والبلاغ ، والتربية والتعهد ، وبناء الأجيال المؤمنة ، يجب أن يظل عملاً متواصلًا ممتدًا في جميع العصور ، لتظل الدعوة الإسلامية تقدّم للبشرية الأجيال المؤمنة دون توقف ، ويظل النهج والتخطيط ، والإدارة والنظام ، والجهد كله ماضياً على درب محدّد مدروس يقود إلى بناء الأمة المسلمة الواحدة في الأرض ، لتتابع حمل مسئولية الدعوة الإسلامية وتجاهد في سبيل الله لبناء حضارة الإيمان والتوحيد ، وعمارة الأرض بها ، على طريق ماضٍ إلى الهدف الأكبر والأسمى - الجنة ورضوان الله .

إنها دعوة للحق والخير والصلاح ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، لتحقيق ذلك ولنشر دين الله ، وتجميع الناس عليه ، وصدّ المجرمين عن إجرامهم والظالمين عن ظلمهم ، وردع أهل الفتنة والفساد الذي يصدون عن سبيل الله . إنها دعوة التزام لمنهاج الله واستقامة عليه ، فلا تركز للظالمين ولا تواليهم ، وتُعدّ من أجل هذا كله ماتستطيعه من قوة كما أمر الله ، وتُعدّ خططها ووسائلها على ضوء الواقع الذي تفهمه من خلال منهاج الله ، على أساس منهاج الله .

٣ - قبسات من القرآن الكريم :

إننا نورد بعض الآيات الكريمة التي تمثل بعض هذه الخصائص الرئيسية للدعوة الإسلامية . ولكن منهاج الله هو وحده الذي يفصل هذه الخصائص كلها بأسلوبه الربّانيّ الميسر للذكر المعجز في عرضه . فلا بد للمسلم من أن يعود إلى منهاج الله ليرى الآيات البينات والتفصيل الكامل :

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾

[فصلت : ٣٣]

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن ابتغى الله وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [يوسف : ١٠٨]

﴿ إنه لقول فصل * وما هو بالهزل ﴾ [الطارق : ١٣ ، ١٤]

﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ﴾ [فصلت ٤١-٤٣]

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [الصف : ١٠ ، ١١]

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ [آل عمران : ١٠٤ ، ١٠٥]

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لاتتظلمون ﴾ [الأنفال : ٦٠]

﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير * ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون ﴾ [هود : ١١٢ ، ١١٣]

﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحتجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾ [الشورى : ١٥]

٤ - الدعوة الإسلامية بين الأحزاب والجماعات :

ترد في منهاج الله كلمة حزب لتجمع خصائص الدعوة الإسلامية كلها ، ولتعبّر عن

حقيقة الدعوة الإسلامية ، الدعوة إلى الله ورسوله ، الدعوة إلى الإيمان والتوحيد ، في تجمع خصائصه بعيدة عما توحيه كلمة «حزب» في واقعنا المعاصر . فليس الاسم هذا أو ذاك هو المهم ، ولكن توافر الخصائص الربانية في واقع الحزب أو الجماعة هو المهم :

﴿ أولئك حزب الله إلا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ [المجادلة : ٢٢]

وترد هذه الكلمة أحياناً في منهاج الله لتعبّر عن التفرق الذي لا يحبه الله وينهي عنه ، من خلال صيغة المفرد «حزب» أو الجمع «أحزاب» ! ولتعبّر عن الصراع والشقاق والتدابير الذي ينأى بالحزب والأحزاب عن المعنى الرباني للدعوة الإسلامية . ولتعبّر كذلك عن طبيعة الانحراف الخطير حين يصبح ولاء الفرد لهذا الحزب أو ذاك ، في غيبة عن الولاء الحق لله ، والعهد الأول مع الله ، والحب الأكبر لله ولرسوله ، وفي ضجيج من الشعارات وأمواج من الزخارف وعواصف من الفتنة :

﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ [المؤمنون : ٥٣]

﴿ أولئك حزب الشيطان إلا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ [المجادلة : ١٩]

﴿ وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ﴾ [ص : ١٣]

لا يحلّ تعدّد الجماعات في الدعوة الإسلامية إذا كانت تمثل شقاقاً وتدابيراً ، وتنافساً على الدنيا ، مهما حلت من شعارات الدعوة الإسلامية . ولكن يجوز التعدّد حين تقوم كل جماعة على ثغر من ثغور الإسلام ، على تناسق وترابط وتساند . ولا يحلّ كذلك تعدّد الجماعات بتعدّد الأقطار إذا أخذت النزعة القومية والإقليمية على صورة من التمزق والانقطاع والصراع ، لا يجمعها إلا طلاء خفيف من أسماء وشعارات . فالدعوة الإسلامية دعوة للإنسان مهما اختلف أرضه أو اختلف جنسه أو لونه . فإن تخلّت الدعوة عن هذه الصورة فقدت صفةً من أهم صفاتها ومصدراً هاماً من مصادر قوتها ، وأخذت لوناً من ألوان الانحراف ، وأوجدت سبباً من أسباب الهزيمة والخذلان .

قدّمنا هنا أهم خصائص الدعوة الإسلامية لاكلها . قدّمناها بصورة موجزة . أما الخصائص الكاملة فهي في منهاج الله يعرضها بتفصيلاتها . ونجد تفصيلاً أوسع في كتابنا : واقع المسلمين أمراض وعلاج .

إن النظرية العامة للدعوة الإسلامية جاءت لتبرز الأسس الربانية التي يمكن أن تلتقي عليها الجماعات الإسلامية ليكونوا صفّاً كالبنيان المرصوص ، أمام أعاصير الفتنة ، ودياجير الظلمة ، وعوامل التمزّق ، ودعاة ذلك كله ، تحت شعارات برّاقة .

إن النظرية العامة جاءت لتذكر بالقواعد والنهج الذي يعين على تجنب الانحراف أو الوقوع في الفتنة التي فُتِحَتْ أبوابها ! .

الفصل الثالث

الأمة المسلمة الواحدة

ومسؤوليتها في الدعوة الإسلامية

١ - الدعوة الإسلامية ممتدة في الأرض والزمن :

الدعوة الإسلامية ممتدة في الأرض والزمن ، ممتدة مع الأنبياء والمرسلين الذين لا يعلم عددهم إلا الله ، منهم من قص الله علينا نبأهم ومنهم من لم يقصص . وبعث الله في كل أمة رسولاً بشيراً ونذيراً :

﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ [النحل : ٣٦]

وكذلك :

﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون ﴾ [غافر : ٧٨]

وكذلك :

﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ [فاطر : ٢٤]

نرى من هذه الآيات الكريمة وغيرها من الآيات امتداد دعوة الله في الأرض والزمن ، حتى كأن هذه القضية هي محور التاريخ البشري كله ، وكأن التاريخ هو قصة الصراع الدائر بين الإيمان وبين الكفر ، وبين الحق وبين الباطل ، وبين الخير وبين الشر .

لقد كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، إلى كل قومه ، إلى كل فرد فيهم وليس إلى فئة محدودة أو طبقة معينة .

ثم بُعث محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأنزل الله عليه الكتاب ، القرآن الكريم ، مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه .

بعث محمد ﷺ للناس كافة ، للبشرية كلها ، وإلى العصور كلها ، يحمل رسالة الله من بعده الأمة المسلمة لتمضي بها في الأرض مع الزمن حتى قيام الساعة . وجاءت الرسالة كذلك لكل إنسان ، لم تكن لفئة محدودة أو طبقة معينة :

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾
[سبأ : ٢٨]

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]

﴿ يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته لتعلمن تهتدون ﴾ [الأعراف : ١٥٨]

ويأتي حديث رسول الله ﷺ ليؤكد هذه الحقيقة الرئيسة في دين الله :

فعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « أعطيت خمساً لم يُعطهنَّ أحد من الأنبياء قبلي : نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر ، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيا رجل من أمتي ادركته الصلاة فليصل ، وأُحِلَّت لي الغنائم ولم تحلَّ لأحد قبلي ، وأُعطيتُ الشفاعة ، وكان النبي يبعثُ إلى قومه خاصة وبعثتُ إلى الناس عامة »

[رواه الشيخان والنسائي] (١)

وهكذا تمتد الدعوة الإسلامية في الأرض والزمن على سنن الله ماضية وحكمة بالغة وقدر غالب . تمتد الدعوة الإسلامية هذا الامتداد بالأنبياء والمرسلين ، وبخاتم الأنبياء والمرسلين ، وبالأمة المسلمة الماضية مع الزمن .

(١) صحيح الجامع الصغير وزيدته : (ط : ٣) - رقم (١٠٥٦) .

٢ - الدعوة الإسلامية دعوة متكاملة :

ولننظر إلى تكامل الدعوة الإسلامية من خلال هذا الامتداد في حديث رسول الله ﷺ :

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مثلي في النبيين كمثلي رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنه لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تمّ موضع هذه اللبنة . فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة » [رواه أحمد والترمذي وغيرهما] (١)

تصل دعوة الله في الأرض وتكامل لتكون في التاريخ الإنساني ظاهرة فريدة هي أمة الإسلام الممتدة كذلك في الأرض والزمن . إنها الأمة المسلمة الواحدة التي تؤمن أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وتؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين ، وتؤمن بأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن كتاب الله الذي أنزل عليه هو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنه مصدق لما بين يديه من الكتاب قبل أن يُحرّف ومهيماً عليه .

هذه الأمة الفريدة في التاريخ البشري حاجة الإنسانية ، حاجة الشعوب كلها . إنها هي وحدها التي تحمل رسالة الحق الذي أنزل من عند الله ، رسالة الإيمان والتوحيد . وهي الأمة التي تنشر الحق والعدل ، والأمن والأمان والخير والصلاح ، وتحارب الشر والفساد ، والفتنة والظلم والعدوان .

ففي سورة الأنبياء ، بعد أن تستعرض السورة مسيرة الأنبياء ، يأتي قوله سبحانه وتعالى يعلن هذه الحقيقة الإنسانية الكبيرة .

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ﴾ [الأنبياء : ٩٢]

وفي سورة « المؤمنون » تتأكد هذه الحقيقة الكبيرة أيضاً فبعد أن تستعرض السورة مسيرة الأنبياء والمرسلين ، يأتي قوله سبحانه وتعالى :

(١) أحمد : الفتح الرباني (ج : ٢١) - (ص : ٢٨٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (ط : ٣) - ح حديث ٥٧٣٣ . الترمذي : ٣٦١٧/٣/٥٠ .

﴿ يَا أَيُّهَا الرِّسْل كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ *
وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون : ٥١ ، ٥٢]

ولقد كتب الله على بني آدم الابتلاء والتمحيص ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، ولتقوم الحجة على كل إنسان يوم القيامة أو تقوم له . ويمضي الابتلاء والتمحيص على سنن الله ماضية في خلقه . وكان من هذه السنن أن اختلف الناس بعد أنبيائهم شيعاً وطوائف ، وفرقاً وأحزاباً ، كل طائفة تحسب أنها وحدها على الحق ، فرحة بها لديها .

ففي سورة الأنبياء نرى هذه السنة الربانية التي يتلي الله بها عباداه جليلة تكشفها لنا الآية الكريمة التي تأتي مباشرة بعد الآية السابقة من سورة الأنبياء :

﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٣]

وبعد الآيتين اللتين ذكرناهما أعلاه من سورة المؤمنون « تأتي آيات تكشف لنا هذه السنة الربانية من الابتلاء والتمحيص وتفصلها :

﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ * أَيُحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ * نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ * إِنْ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يَشْكُرُونَ * وَالَّذِينَ يُوْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ * وَلَا تَكْلَفْ نَفْساً إِلَّا وَسْعَهَا وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٣-٦٢]

هذه صورة مليئة بالحركة والمشاهد ، تكشف لنا حقيقة الابتلاء الذي كتبه الله على عباداه ، حتى ينقسم الناس بصورة عامة إلى فريقين : فريق غرهم الحياة الدنيا وزينتها من مال وبنين : ﴿ أَيُحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ . نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وفريق يخشى الله ويؤمن بآياته : ﴿ إِنْ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾

٣ - الحقيقة الكبرى في الكون والحياة التي من أجلها بُعث الرسل والأنبياء :

وتبرز من خلال هذه الآيات الحقيقة الكبرى في الكون والحياة ، الحقيقة التي من أجلها بعث الله الأنبياء والمرسلين ، وبعث النبي الخاتم محمد ﷺ ، ومن أجلها امتدت أمة الإسلام في الأرض والزمن لتحمل هذه الحقيقة الكونية الإنسانية الكبرى التي تبرز خلال الآيات السابقة من سورة الأنبياء وسورة المؤمنون :

﴿ ... كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ ، ﴿ ... وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾

نعم ! ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ ! هذه هي الحقيقة الكونية الإنسانية الكبرى التي تحملها أمة الإسلام الواحدة الممتدة في الأرض والزمن : ومن أجل هذه الحقيقة الكبرى شرع الله الجهاد في سبيل الله .

ومضى أصحاب رسول الله ﷺ يحملون هذه الأمانة في الأرض ويبلغونها الخلق شرقاً وغرباً . فانظر إلى المغيرة بن شعبه ماذا يقول لرستم قبل معركة القادسية . إنه قال بعد أن دعا رستم وقومه دعوة واضحة إلى الإسلام :

«إنا ليس طلبنا الدنيا وإنما همنا وطلبنا الآخرة . وقد بعث الله لنا رسولاً قال له : إني سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينني فأنا منتقم بهم منهم وأجعل الغلبة لهم ماداموا مقرّين به وهو دين الحق ، ولا يرغب عنه أحد الا ذلّ ولا يعتصم به أحد إلا عز . أما عموده الذي لا يصلح شيء الا به فهو شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء من عند الله ، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله » .

وهذا ربيعي بن عامر يخاطب رستم قبل القادسية أيضاً بعد أن يدعوه للإسلام فيقول :

« إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه حتى يفضي إلى موعود الله » . قالوا وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي » .

وهكذا امتد رواد الدعوة الإسلامية ، رواد الأمة المسلمة الواحدة عبر التاريخ البشري يحملون هذه الحقيقة الكبرى للناس كافة . إنهم يحملون رسالة الله إلى الناس لينقذوا الإنسان من هلاك محقق إن أدبر عن هذه الحقيقة .

٤ - خطران حقيقتان :

إن القضية إذن هي إنقاذ الإنسان من خطرين حقيقيين ، هما :

فتنة الدنيا وبلاؤها ، وعذاب الآخرة . إنها دعوة إلى كل إنسان ، فكل إنسان معرض لخطر فتنة الدنيا ، وكل إنسان سيموت ويبعث ليكون من أهل الجنة أو أهل النار . إن الأمر جلل ، والدعوة إلى الله ورسوله أخطر من أي عمل آخر في هذه الحياة الدنيا . إنها من أجل كل إنسان ، وكل الشعوب ، على مدى العصور والأجيال .

٥ - لماذا ندعو إلى بناء الأمة المسلمة الواحدة :

إن هذه الدعوة وهذه المهمة هي مسؤولية الأمة المسلمة الواحدة في الأرض . من أجل ذلك ، من أجل هذا الأمر الخطير ، كان قيام الأمة المسلمة في الأرض ضرورة بشرية ، ضرورة إنسانية .

وحين ندعو إلى بناء الأمة المسلمة الواحدة على ضوء ماسبق عرضه ، فإننا ندعو إلى ذلك لعدة أسباب رئيسة :

أولاً : إنه أمر الله لعباده المؤمنين أن يكونوا أمة واحدة ، وصفاً واحداً كالبنين المرصوص . بهذه الحقيقة جاءت النصوص الثابتة في القرآن والسنة .

ثانياً : إن النصر من عند الله . والله ينزل نصره على من أوفى بعهده ، أو يبلو الظالمين بعضهم ببعض . ومن أهم شروط الوفاء بالعهد مع الله هو قيام الأمة المسلمة الواحدة بشروطها الربانية ، لتحمل رسالة الدعوة إلى الإيمان والتوحيد .

ثالثاً : إن هذه الأمة المسلمة الواحدة الربانية حاجة ملحة للإنسانية كلها . فلن يكون على الأرض صلاح ولا أمن ولا عدل إلا إذا قامت هذه الأمة لتقود البشرية إلى خير الدنيا والآخرة .

رابعاً : إن كثيراً من المسلمين انحرفوا عن المهمة الرئيسة للدعوة الإسلامية ، مهمة دعوة الناس كافة إلى الإيمان والتوحيد ، إلى الله ورسوله ، إلى الإسلام ، إلى دين الله وإلى عبادة الله الواحد القهار . والله ينزل نصره على من أوفى بعهده ، أو يبلو الظالمين بعضهم ببعض . ومن أهم شروط الوفاء بالعهد مع الله هو قيام الأمة المسلمة الواحدة بشروطها الربانية ، لتحمل رسالة الدعوة إلى الإيمان والتوحيد .

خامساً : لقد انحرف الكثيرون عن المهمة الرئيسة للدعوة الإسلامية ، كما ذكرنا أعلاه ، والتي تهدف ، في جملة ما تهدف إليه ، إلى أن ينجو الناس من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة ، وشغل الكثيرون عن هذه القضية حتى كادت الدعوة أن تتحول إلى عملية تجميع أنصار ومؤيدين ، وحتى تفرقت الدعوة الإسلامية شيعاً وأحزاباً ، تخلى الكثيرون فيها عن حقيقة الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد ، وعن مهمة إنقاذ الإنسان من الخطرين الحقيقيين اللذين ذكرناهما .

لقد تحولت الجهود إلى أمور أخرى لانكر أهمية بعضها ، ولكننا ننكر أن تنفصل هذه الأمور الأخرى عن هذه القضية الربانية الأساسية ، عن مسؤولية الدعوة إلى الله ورسوله ، أو أن تعلق عليها .

إن الفصل بين أي قضية في هذه الحياة الدنيا وبين الدعوة إلى الإيمان والتوحيد يعني الهزيمة والخذلان والفواجع . وإن الارتباط بينهما لا يعني أن تكون قضية الإيمان والتوحيد وما يتبعها شعاراً فحسب . إن الارتباط الذي نعنيه أن تكون كل قضية تتبناها الأمة نابعة من قضية الإيمان والتوحيد ومن منهاج الله ، لِيَرْسُمَ الإيمان والتوحيد ومنهاج الله نهج

تلك القضية وخطتها ، ويحدد تصورها ومسيرتها ، ويقرر خطواتها ومراحلها ، ويظل الارتباط وثيقاً في التصور والتفكير ، وفي النهج والتخطيط ، وفي الممارسة والتطبيق ، وفي الكلمة والرأي والسعي والموقف .

لقد تحولت بعض المواقف إلى مساومات في ميدان العقيدة ، وإلى محاولات تقريب بين الحق والباطل ، فتاهت الخطا واضطربت المساعي وزادت النكبات .

ولننظر إلى التاريخ ففية العبرة والدروس . فما حملت الأمة المسلمة رسالة الله إلى الناس واضحة جليلة إلا أعزهم الله بها وكتب لهم النصر . وما تخلوا عنها إلا أذهم الله بعذاب بئس : هذه الأندلس عبرة ودروس ، وكذلك دولة المغول في الهند ، وكذلك العثمانيون ، وغيرهم كثير . انطلقوا يحملون رسالة التوحيد للناس كافة فأعزهم الله ، فلما انصرفوا إلى الدنيا أخذهم الله بعذابه .

من أجل هذه القضية وغيرها من القضايا الإيمانية التي يفرضها واقعنا اليوم كانت « النظرية العامة للدعوة الإسلامية » ، النظرية التي ندعو لها من أجل انطلاقة سليمة وخطا مباركة على درب الدعوة إلى الله ورسوله ، حيث تقوم هذه النظرية العامة « بركنيها ومشكلات الواقع التي ندرسها وعناصر التنفيذ لها ، تقوم كلها على القاعدة الصلبة ، قاعدة الإيمان والتوحيد والتخطيط لها مع كل واقع ، والدعوة إليها دعوة ممتدة ، لتظل الهدف الثابت الأول في الدعوة الإسلامية ، والحقيقة الكبرى في الكون والحياة ، والقضية الأخطر في حياة كل إنسان .

من أجل هذه الحقيقة الكونية الكبرى خلق الله السموات والأرض وما بينهما بالحق :

﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لآعين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون * إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين * يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم ﴾

[الدخان : ٣٨-٤٢]

وكذلك ﴿ وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزئ كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ﴾
[الجاثية : ٢٢]

وتفصل الآيات في سورة يونس هذه القضية :

﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع الا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ﴾ * إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾
[يونس : ٣ ، ٤]

من أجل ذلك كله ، من أجل هذه الحقيقة الكونية الكبرى ، من أجل هذه المهمة العظيمة التي تحملها الأمة المسلمة الواحدة في الأرض في جميع العصور ، ومن أجل الخصائص الربانية التي يجب أن تتوافر فيها ، من أجل هذا كله ، كانت الأمة المسلمة الواحدة هي خير أمة أخرجت للناس في تاريخ البشرية كلها :

٦ - كنتم خير أمة أخرجت للناس :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم .. ﴾
[آل عمران : ١١٠]

الأمة المسلمة الواحدة ضرورة إنسانية وحاجة للبشرية كلها والدعوة الإسلامية هي للناس كافة ، لكل إنسان في جميع العصور والأقطار . ولقد قصر المسلمون تقصيراً كبيراً بشأن هاتين القضيتين ، فلا بد إذن من استئناف المسيرة على نهج نابع من منهاج الله مرتبط به ، ملبٍ لحاجات واقع المسلمين اليوم .

هذا النهج هو ماتعرضه النظرية العامة للدعوة الإسلامية « لتقدم النظرية والنهج ، وتقدم المناهج والنماذج التطبيقية ، لتعرض الأسس من الكتاب والسنة ، الأسس التي

هذا النهج هو ماتعرضه النظرية العامة للدعوة الإسلامية « لتقدم النظرية والنهج ، وتقدم المناهج والنماذج التطبيقية ، لتعرض الأسس من الكتاب والسنة ، الأسس التي يلتقي عليها المؤمنون نظريّةً وممارسةً ، ونهجاً وأهدافاً :

يجب على المسلمين أن يتعاونوا فيما أمرهم الله أن يتعاونوا فيه ، ويعذر بعضهم بعضاً فيما أذن الله بالاختلاف فيه ، ليظل التعاون والاختلاف ليس مرهوناً برغبات البشر، ولكنه نابع من منهج الله ، خاضع لأحكامه في عبودية لله وإناة وخشوع .

الباب الثاني

**أهم العقبات والمبشرات على طريق
الدعوة الإسلامية**

الفصل الأول المعوقات

١ - تمهيد :

لا نستطيع أن ننكر أن أمام الدعوة الإسلامية اليوم عقبات كثيرة تكاد تحدُّ من نشاطها ، وتوهن قوتها ، وتخفي بعض صفاتها وخصائصها ، وتعطل من أسباب تمكينها .
الدعوة الإسلامية ليست تجمع أعداد تنمو وتتكاثر ، ولا تجتمعاً حول شعارات تملأ الآفاق والحناجر ، ولكنها دعوة تملأ الميدان نهجاً وخطه ، ووعياً وقوة . إنها نهج ممتد مترابط يحمل رسالة الله إلى الناس لتخرج الناس من الظلمات إلى النور .
الدعوة الإسلامية ليست أحزاباً وشيعاً يصارع بعضها بعضاً ، ويوهن بعضها بعضاً . إنها صفٌّ واحد كالبنیان المرصوص كما أمر الله سبحانه وتعالى .

الدعوة الإسلامية دعوة واضحة لتغيير حقيقي في داخل الإنسان وخارجه ، في داخل الأمة وخارجها . إنها تغيير لكل التصورات المادية من إلحاد وشرك ، ومن علمانية وتفلسف ، وفتنة وفساد ، وفاحشة وجريمة ، لإخراج الإنسان من عبادة العباد والأهواء والمصالح إلى عبادة الله الذي لا إله الا هو .

إنها ليست انقلاباً عسكرياً يذهب ببرجال ويأتي ببرجال ، ولا هي ثورة تعصف وتهدم ثم لاتبني إلا فساداً على فساد .

إنها ليست تغيير الوجوه والألقاب والمسميات ، ولا الوقوف عند تغيير بعض المظاهر ! إنها نقلة كبيرة في حياة الإنسان وقفزة واسعة في نشاطه .

إنها تغيير كُلي : في النفس ، في الفكر والتصورات ، في النهج والتخطيط ، في العمل والسعي ، وفي المظاهر التي تتبع ذلك ولا تنفصل عنه ، في العادات والأعراف والتقاليد ، في العلاقات والروابط بين الأفراد ، والأرحام ، وبين الشعوب ، وبين الناس

جميعاً ، في النية والكلمة والخطوة ، وفي كثير غير ذلك . ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴾ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ومالهم من دونه من وال ﴿ [الرعد : ٩- ١١]

لابد أن يستقر مفهوم الدعوة الإسلامية في قلوب الدعاة ونفوسهم وتصوراتهم ، ليعلموا ماهي حقيقة مهمتهم وماهي مسؤولياتهم ، وعلى ماذا سيكون الحساب يوم القيامة . هل العمل الإسلامي في العصر الحديث أوفى بهذه الأمانة والمسؤولية ؟ ! وإذا لم يوف فها هي العقبات التي وقفت أمامه ؟ !

هل حاول دراسة هذه العقبات دراسة إيمانية برد الأمور إلى منهاج الله كما أمر الله ؟ ! وهل حاول وضع الحلول والعلاج لها ؟ وأين نجد هذه الدراسات الإيمانية والحلول والعلاج ؟ !

لابد لنا الآن إذن أن ندرس العقبات التي تقف في واقع المسلمين اليوم أمام الدعوة الإسلامية الربانية الواعية لمهمتها ومسؤوليتها في الدنيا والآخرة .

إننا هنا نقدم موجزاً لهذه الدراسات ، ولكننا نقدم التفاصيل في أماكنها ومراجعتها من الكتب التي صدرت . وستمضي الدراسات ممتدة لا تتوقف مادامت دعوة الله ماضية في الأرض ، تنهض بها الأجيال المؤمنة المتواصلة .

٢ - العقبات الممتدة في واقع الإنسان والماضية مع الزمن :

لقد فصل القرآن الكريم في عرض العقبات التي واجهت الدعوة الإسلامية منذ انطلاقتها ونورد قبسات من ذلك بإيجاز هنا :

أ - سوء الموازنة بين مسؤولية الداعية في بيته وفي دعوته : فعندما كان ينهض المسلم لداعي الجهاد أو الدعوة كان بعض النساء والأولاد يقفون عقبة أمام هذه الاستجابة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنَ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدَوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ * إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم * فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلِيم * عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴿

[التغابن : ١٤-١٨]

تغلب الداعية المسلم أحياناً عاطفة الأبوة وسكنُ الزوجة ، فتضعف العزيمة أمام نداء الله ورسوله ، أمام نداء الآيات والأحاديث ، فيدور صراع داخلي يعلمه الله سبحانه وتعالى ، فيوجه عباده المؤمنين التوجيه الرحيم الواضح ، لينصاع المسلم الداعية أمام الحق ، يجاهد في نفسه ، فينال على قدر جهاده .

ب - سوء الموازنة بين مسؤولية الداعية في تجارته ووظيفته وبين مسؤولياته في الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد :

﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴿ [النور : ٣٦ ، ٣٧]

يغلب على بعض الدعاة أحياناً حب التجارة والبيع ، فتلهيه عن ذكر الله وسائر التكاليف الربانية . يضعف أمام عرض زائل من الدنيا فينساق معه ، وينسى ما عليه من تكاليف ربانية أخرى . فيغرق في دنياه حتى تأكل وقته وجهده وفكره ، وذلك بما كسبت يده . أما الداعية الذي يصدق الموازنة فإنه لا تلهيه تجارة ولا بيع !

وذكر الله في الآية الكريمة لايغني التوقف عند التسبيح والدعاء والركون إلى العجز والكسل والدنيا ، ولكنه يعني صراطاً مستقيماً تمتد عليه التكاليف الربانية متصلة لا تنفصل ولا تنقطع ، كما سنفصل في فصل آخر .

ج - حب الدنيا وشهواتها وزينتها : تسيطر على بعض الدعاة حتى يضعف أمامها بما كسبت يدها :

﴿ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون . فلما نسوا ما ذكروا به أنجبنا الذين ينهاون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾

[الأعراف : ١٦٤ ، ١٦٥]

فما الذي أنجى هؤلاء ؟! أنجاهم أنهم كانوا ينهاون عن السوء ، يدعون إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد . ولو أنهم تخلّوا عن هذه المسؤولية العظيمة لأخذتهم الفتنة والعذاب ، كما تعرض لنا الآية الكريمة من سورة الأنفال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تُحشرون . واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ [الأنفال : ٢٤ ، ٢٥]

صورتان متباينتان : الأولى أنجى الله الذين كانوا ينهاون عن السوء ، وفي الثانية عم العذاب الطالحين والصالحين لأنهم ركنوا إلى القعود وأغفلوا التكليف الربانيّة التي أمرهم الله بها .

وفي واقعنا اليوم نرى الأحداث تمضي على سنن الله الثابتة هذه . نراها جليّة واضحة لتكون لنا عبرة ، عسى أن نفيق !

وشهوات الدنيا وزينتها ممتدة تزرع الفتنة في الأرض لتكون ابتلاءً منه سبحانه وتعالى وتمحيصاً لعباده ، وهو أعلم بهم ، ولتقوم الحجة لهم أو عليهم يوم القيامة . إن الدنيا دار ابتلاء وتمحيص ، وشهواتها ممتدة يحملها شياطين الإنس والجنّ ، ليفتنوا بها الناس . فأمّا الذين يستجيبون لله وللرسول فهم في حمى الله . والاستجابة ليست لأمر واحد أو بعض الأمور ، ولكنها استجابة تمثّل ، كما ذكرنا ، صراطاً مستقيماً هو سبيل الله ،

ولأسبيل سواه ، سبيل يحمل التكاليف الربانية المتناسكة المترابطة .

شهوات الدنيا وزينتها ممتدة : المال ، البنون ، الزوجات ، الثروة وجمعها ،
والمصالح المادية ، النساء ، حبّ الظهور ، وما تثيره بين الناس من تحاسد وضغائن
وأحقاد ، وتنافس عليها وصراع علنيّ وخفيّ .

ويصدق هذا الأمر على الأفراد والشعوب والدول . ويمحص هؤلاء جميعاً على سنن
الله ثابتة ماضية ، وحكمة بالغة ، وقدر غالب .

د - أعداء الله من منافقين ومشركين وكافرين ، وأهل كتاب ، بمنّ خان منهم
ذمة الله وذمة المؤمنين وعهدهم ، فأذاهم ووقف مع المنافقين والمشركين والكافرين .
ويعرض القرآن الكريم تفصيل أساليبهم وكيدهم ومكرهم . ويظل هذا الكيد والمكر
يرتدّ عليهم مادام المؤمنون صادقين مع الله ، يستجيبون لله وللرسول كامل الاستجابة .

وحب الدنيا ظاهرة ممتدة مع العصور . فمن تاب وعاد وأتاب غفر الله له ماكان من
إسرافه . ومن مضى تلهيه الدنيا عن الاستجابة لله وللرسول فحسابه عند الله :

﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم
تعلمون * واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم * ياأيها
الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله
ذو الفضل العظيم * وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ [الأنفال : ٢٧-٣٠]

وكذلك :

﴿ وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربّنا أخّرنا إلى أجل
قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال *
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم
الأمثال * وقد مكروا مكرمهم وعند الله مكرمهم وإن كان مكرمهم لتزول منه الجبال *

فلا تحسبنَّ الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام * يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار * وترى المجرمين يومئذٍ مقرنين في الأصفاد * سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار * ليجزي الله كلَّ نفس ما كَسَبَتْ إن الله سريع الحساب * هذا بلاغ للناس ولِيُنذَرُوا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكَّر أولوا الألباب ﴿

[إبراهيم : ٤٤-٥٢]

وتمضي الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تكشف مكر هؤلاء الأعداء وكيدهم ، فئة فئة ، وتعد المؤمنين بالنصر ماداموا يستجيبون لله وللرسول ، ويمضون على صراط مستقيم ، يحملون أمانة الوفاء بالعهد مع الله ، والنهوض إلى التكاليف الربانية على تكاملها وتربطها ، وبالإسراع إلى التوبة والاستغفار وتصحيح النية والمسيرة :

﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذا تحسّونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ماتحبّون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾

[آل عمران : ١٥٢]

﴿ .. منكم من يريد الدنيا ... ﴾ ! ولكن الله عفا عنهم : ﴿ .. ولقد عفا عنكم .. ﴾ !

بعد أن تابوا وأنابوا وأدركوا الخطر الذي سببه الدعوة الإسلامية حين أقبلوا على الدنيا وغنائمها .

ونحن اليوم ، أقبل الكثيرون على الدنيا ، وتخلّوا عن مسؤولياتهم التي كلفهم الله بها ، وربما تركوا الميدان لينزل أعداء الله فيه ، ويمتدوا في ساحاته .

لقد أثر هذا الإقبال على الدنيا على واقع الدعوة الإسلامية تأثيراً كبيراً ، تأثيراً سيئاً . وأسوأ ما فيه أن أولئك الذين يقبلون على الدنيا يظنون في قلب العمل الإسلامي ويرفعون شعاراته كلما استدعى الأمر ، فيوهنون النفوس ، ويضعضعون الصفوف ، ويزيدونها خبالاً .

ومن خلال هذا الإقبال على الدنيا فُتحت ثغرات كثيرة ، واختُرقت الصفوف ، وعاث المفسدون وهم مختلفون ، حتى اختلط الحابل بالنابل ، ومن خلال هذا الإقبال على الدنيا اختلطت الأمور واضطربت الموازين .

هـ - الضعفاء من المسلمين :

الضعفاء إيماناً أو علماً أو تجربة ، ربما يكونون أحياناً ساحة لنشاط أعداء الله ، يستغلّون ضعفهم ليتسلّلوا من خلاهم إلى صف المؤمنين لينشروا الفساد والفتنة .

من واجب الدعوة الإسلامية أن ترعى نواحي الضعف وتمضي في معالجته وحماية الدعوة من أخطاره بالدعوة المستمرة على نهج سليم ، وبالتربية والتعهد والبناء والتدريب ، وبالنظام الإداري الذي يضع كل طاقة في مكانها ، وينزل كل مسلم منزلة الأمانة ، والذي يوفر نظام الإشراف والمراقبة ، والتوجيه والمتابعة .

وهذا أمر مستمر في واقع الدعوة الإسلامية ، فلا يمكن أن يكون المسلمون كلهم على مستوى واحد من الوسع والطاقة . ولا بد للدعوة أن ترعى هذه الظاهرة بالدراسات والمعالجة السليمة .

ولقد قدمنا دراسات متعدّدة عن الوسع ، وعن منازل المؤمنين ، وقدمنا ميزان المؤمن ليكون الوسيلة الأمانة لإنزال الناس منازلهم ، وقدمنا نظام الإشراف والمراقبة ، والتوجيه والمتابعة .

وجعلنا النية والنصيحة وقضايا الإيمان والتوحيد ، وقضايا الإشراف والمتابعة ، والتقويم ، وغير ذلك ، جعلنا هذا كله بنوداً ثابتة ماضية في مناهج التربية والإعداد والتدريب .

٣ - العقبات الذاتية من واقع المسلمين :

أ - اضطراب التصوّر لمعنى الدعوة الإسلامية : لقد نسى كثير من الدعاة أن أساس الدعوة الإسلامية هو الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد ، إلى دين الله

ورسالته ، مع امتداد التكاليف الربانية الثابتة وترباطها وتناسقها . فَشُغِلَ بعضهم ببعض الأعمال الجزئية ، معزولة عن التكاليف الربانية الثابتة ، التي تؤلف الصراط المستقيم الممتد إلى الهدف الأكبر والأسمى - الجنة والدار الآخرة ورضوان الله - .

فتحولت الدعوة عند بعضهم إلى النشاط السياسي وحده ، حتى شُغِلُوا به عن أي نشاط آخر . وربما حسبوا الشعائر وحدها مع السياسة كافية لتمثل نهج الدعوة الإسلامية .

وشغل آخرون بالدعوة إلى الديمقراطية والاشتراكية والعلمانية ، والحدائث ، والمذاهب الغربية الفكرية والأدبية ، والبنوية والأسلوبية والتفكيكية ، والقومية ، والوطنية ، والإقليمية وكثير غير ذلك . ومن المؤسف أن تخرج بعض هذه الدعوات مغلفة بشعارات الإسلام ، يسمعها الناس من بعض الدعاة المسلمين ، فتختلط في نفوسهم صورة الإسلام وتناسق مبادئه وتماسك نهجه .

وتبرز العصبية الجاهلية وتمتد في واقع المسلمين ، حتى تزيد التصور اضطراباً .

ويكون من ثمرة ذلك خلافات وصراع وتمزق يأكل الجهود والأوقات ويزيد الضعف والوهن ، وتظل الجهود المبذولة لدعوة القلوب إلى ربها وخالقها ، إلى حقيقة الإيمان والتوحيد ، جهوداً ضيقة لاتكاد تستطيع أن تقف أمام طوفان الفتنة والصد عن سبيل الله .

فأخذ نشاط الدعاة المسلمين أشكالاً مختلفة متنافرة ، تلتقي فئة مع فئة ، وتفرق فئة عن فئة ، وتضيع الجهود بين اللقاء والفراق .

غاب عن بال بعضهم أن الدعوة الإسلامية حمل رسالة ربانية ، هي الحقيقة الكبرى في الكون والحياة ، ومن أجلها بعث الله الرسل والأنبياء ، ومن أجلها تقوم الدعوة الإسلامية في الأرض .

إذا لم يشعر الداعية والدعاة بأنهم يحملون قضية كبرى ، يحملون رسالة في الحياة ، هي قضية دعوة الناس إلى صدق الإيمان وصفاء التوحيد وإلى منهاج الله ، إذا لم يشعر

الدعاة بأن هذه قضيتهم ورسالتهم التي تستحقّ منهم بذل جهدهم ووقتهم ومالهم ، وأنها هي التي تستحقّ الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس ، إذا لم يشعروا هذه الشعور ، فكيف تقوم الدعوة الإسلامية ؟!

إن التصوّر السليم للدعوة الإسلامية ، التصوّر الربّاني ، التصوّر الذي يجعل كل مسلم عامل وداعية يوقن بأن القضية قضيتّه هو كما هي قضية غيره ، وبأن الدعوة في الأرض يجتمعون صفّاً واحداً على قضية الدعوة لإسلامية الواحدة ، قضية واحدة وتصوراً واحداً نابعاً من الإيمان الصادق والتوحيد الصافي ومن منهج الله .

إن سائر قضايا المسلمين مهما عظمت تدخل في قلب التصوّر الأكبر والأشمل للدعوة الإسلامية ، لتتمسك القضايا كلها تماسكاً إيمانياً ، على نهج وخطة ، وتأخذ كل قضية مكانها ومنزلتها ومرحلتها في النهج العام والخطة العامة ، ولا تعلو قضية أبداً على قضية الإيمان والتوحيد والدعوة إليها دعوة مستمرة لاتتوقف .

إن توقف الدعوة إلى الإيمان والتوحيد ، وتبليغ الناس رسالة الله ، على نهج وخطة ، إن توقف هذه الدعوة يعني اضطراب جميع قضايا المسلمين وتفككها وانفصالها ، لتتبه كل قضية في متاهة قومية أو إقليمية ، أو عائلية أو مصالح مادية ، معزولة كلها عن قضية الإيمان والتوحيد .

ب : الصورة الحزبية للعمل الإسلامي :

لقد أخذ العمل الإسلامي صورة أحزاب متفرقة وجماعات متنافرة ، يدور بينها الصراع والشقاق بصورة مؤلمة محزنة مفزعة . ولقد امتد الصراع بين هذه الأحزاب زمناً طويلاً ضاعت فيه جهود وأوقات وأموال وثارَت الضغائن والأحقاد والافتراءات في أجواء مشحونة لايرضاها الإسلام .

ثم أخذ كل حزب يولّد حزباً جديداً ، وتوالدت الأحزاب وتوالدت الخلافات والصراع والشقاق . وامتلات الساحة بالشعارات ، كل شعار ينافس الشعار الآخر .

وأصبحت الجهود الحقيقية تبذل حتى يثبت كل فريق وجوده في الساحة ، ويقوم بأنشطة
لا حاجة للناس فيها ولكنها تعين على وجوده في الساحة . واشتد التنافس !

ماهو الوجود الذي يُريد كل فريق أن يثبت نفسه فيه ؟! إنها ساحات لو تريت
المؤمنون قليلاً ، ولو وجدوا الناصحين ، لابتعدوا عن كثير منها ، فهي ساحات وحول
وتيه واضطراب ، ولانطلقوا يوجدون ساحات النور والإشراق للدعوة الإسلامية .

شغلت الجهود من خلال العمل الحزبيّ عن الدعوة إلى الإيمان والتوحيد وتثبيتته في
القلوب ، حتى يكون القاعدة التي تجمع المؤمنين في الأرض ولا تفرّقهم . وانصرفت
الجهود إلى التنافس على التجميع تحت شعارات الإسلام ، واستغلال الوسائل المختلفة
للتسابق إلى كسب الأفراد ، دون توافر نهج وخطّة إيمانية ، إلا كسب الولاء للحزب ، ولو
كان الولاء ظاهرياً .

لقد أصبح الولاء للحزب هو سقف الولاء ومنتهاه ، ولم يعد الولاء الأول لله إلا شعاراً
في كثير من المواطن . وأصبح العهد والبيعة للحزب هي أعلى عهد وأكبر بيعة ، ولم يعد
العهد الأول مع الله هو أساس البناء والتربية وإعداد المناهج . وأصبح ميزان الحبّ هو
التحابّ في داخل الحزب وفي أطره . ولم يعد الحبّ الأكبر لله ولرسوله ، لينبع منه كل
حبّ في الدنيا .

وبذلك أصبحت الأخوة أخوة في الحزب وولاء للحزب وعهداً مع الحزب ، ولم تعد
الأخوة أخوة في الله كما أمر الله ورسوله :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ . . . »

« الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ . . »

هذا أمر من عند الله ومن عند رسوله ﷺ . ولكنه لم يعد هو الأمر الذي يصوغ
الرابطه في الواقع . لقد أصبحت الرابطه الحزبية هي إطار الأخوة ، ولم تعد رابطه الأخوة
في الله ممتدة بين المسلمين ، ولم يعد المسلم عملياً أخاً المسلم ! وإنما أصبحوا شيعاً وأحزاباً
متفرّقين :

﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زُبْراً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ [المؤمنون : ٥٣]

﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ [الأنعام : ١٥٩]

وكذلك :

﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ [آل عمران : ١٠٥]

لم تعد الفرقة والتمزق والاشيع والأحزاب تثير أي اعتراض في كثير من النفوس . لقد استمر التفرق دهوراً حتى ألفه الناس واعتادوه ، ونسوا أن هذا التفرق عليه عذاب عظيم عند الله . لم يعد هذا العذاب العظيم يثير خشية في النفوس .

وظن كل فريق أنه هو الرائد ، وأن على الجميع أن يتبعوه وحده . فهو أبو الدعوة وأبو العمل ولا سواه . ومع هذا الظن كيف يكون اللقاء .

وانخذ كل فريق أنداداً من دون الله يعطونهم عملياً الحب الأكبر والولاء الأول ، فاقترب بعض الناس بذلك من الشرك ، وتكون تابع عطلت قواه وشلت ، ومتبوع يأمر وينهى :

﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ [البقرة : ١٦٥-١٦٧]

لم يعد المسلمون يلتقون على نهج واضح محدد نابع من الكتاب والسنة ومن حاجة الواقع . فتعددت مايسمى بالمناهج ، وتعددت السبل ، وتعددت الولاءات ، وكثرت الفتاوى والآراء ووجهات النظر في جو محموم من الخلافات .

وتجمّعت الأخطاء حين لم تجد القادرين على معالجتها ، ولا الوقت لمعالجتها ، ثم فُقدت الرغبة بالعلاج . وانقطع التناصح ، وأصبحت النصيحة مصدر خصومة وعداء ، أو اتهام بالعداء والانشقاق ، وماتت المحاولات للإصلاح ودفنت .

وخفّ العلم بالكتاب والسنة . وانتشرت آراء فردية أو مذهبية أو حزبية ، وكثرت الاتهامات والتراشق بالسهام ، دون توافر فرصة من الروية والهدوء ، للقيام بدراسات جادة للمشكلات ولعلاجها .

ولكن من خلال هذه الأجواء ظلّ هنالك الصالحون الصادقون العاملون يعملون بكل ما يستطيعون لإخراج الأمة من ظلمتها ووهبتها . لن تخلو الأرض أبداً من الصالحين الصادقين ، فتلك سنة الله في الحياة وقضائه وقدره :

فعن ثوبان عن الرسول ﷺ قال : « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » [رواه مسلم والترمذي وابن ماجه ^(١)]

هذه الطائفة ممتدة مع الزمن . لم تتحدّد بجنسية ولا بعرق ولا بلون ، ولكنها تحدّدت بخصائص ربّانية : «ظاهرين على الحق» ، والحق هو منهاج الله ، يمسكون به . ويردون كل أمورهم صغيرها وكبيرها إليه ، عن إيمان مشرق وتوحيد صاف وعلم وافر ، ووعي للواقع من خلال منهاج الله .

وهذه الطائفة تعمل من ناحية أخرى بين أمواج من ملايين المسلمين المنصرفين عن الدعوة الإسلامية ، والذين لا يكاد يربطهم بالإسلام إلا الهوى والهوى تكاد تختفي .

ج - غياب النهج والتخطيط :

وبغياب النهج والتخطيط غابت الأهداف الحقيقية ، وتضاربت الأهداف المعلنة ، وصارت الأهداف شعاراً ينادى به دون رصيد واضح في الواقع . واضطربت الوسائل

(١) صحيح الجامع الصغير زيادته : (ط : ٣) - (رقم : ٧٢٨٩) .

والأساليب وتناقضت . وأصبحت الأفعال والمواقف أقرب إلى ردود الفعل والارتجال منها إلى الموقف المدروس المحكم .

وكان هذا الحال مع وجود العلل التي سبق عرضها . فتجمعت كلها لتوفر للأعداء فرصاً كبيرة يتسللون من خلالها ، أو يوجهون ضربات موجعة أو يديرون المجازر وأعمال الإبادة ، وتسقط الديار .

وأصبح من الواضح أن جهود قرن من الزمان تقريباً لم تورث الأمة إلا الهزائم والنكبات والفواجع ، على صورة متتالية . ثم أخذت الفواجع تتسارع والنكبات يلاحق بعضها بعضاً ، وكأن الناس سكارى ، أو مخدرون أو مشلولون لا يقوون على عمل شيء .

لو أن أحداً فقد مبلغاً كبيراً من المال لأقام الدنيا وأقعدها ، يقيم الدعوى بعد الدعوى ، ويلجّ في طلب حقّه ، ويأخذه الهمّ والغم والأسى . ضاعت فلسطين وامتدت الفواجع ، في معظم انحاء العالم الإسلامي ، ومع ذلك فإنّك ترى البذخ والإسراف في الأعراس والحفلات وسائر شؤون الحياة ، وترى الناس كأنهم لم تصبهم فاجعة .

إن غياب النهج والتخطيط وما يتبعه من تحديد المراحل والأهداف والوسائل والأساليب وغير ذلك ، جعل بعض المسلمين يدخلون بعض الأنشطة ارتجالياً دون أن يعدّوا لها أي نهج أو خطة إلا : الشعارات والحشود المؤيدة والهاتفات .

إذا جاء وقت الانتخابات يبدأ عندئذ بعض المسلمين يفكرون ويتنافسون : أيدخلون الانتخابات أم لا يدخلونها ؟! وتتناقض الآراء والاجتهاد ويقع الصراع .

وإذا دخل فريق الانتخابات تحت شعارات محدّدة ، مضت السنون ولم تتحقّق الشعارات ولا الأهداف . ويبدأ الخلاف من جديد ، ويبدأ التلاوم .

قضايا كبرى في حياة المسلمين لم تجد حتى اليوم النهج والخطة ، ولكنها وجدت الشعارات والمناورات والمحاولات ، والارتجال وردود الفعل . ومع مضيّ الزمن وانكشاف الفشل ، يظّل الكبر في النفوس ، وتظل المحاولات لتغطية الفشل ، وكأن العمل

مسرحة لها أدوار ، كان أجدر بالمسلمين أن يتجنبوها ، ويبحثوا عن نهج إيماني رباني يجمع القلوب والنفوس ، ويحيي الهمة والعزيمة ، ويبني الجيل المؤمن المتراص .

لقد أورث هذا كله خللاً وأمراضاً يصعب عدها وحصرها ، ولكن ساحة الواقع تكشف أكثر مما يُمكن أن يُسطر على الورق .

ج- طاقة هائلة معطلة في المسلمين :

هذه ملايين من المسلمين ، الملايين المعطلة بين الجهل والفقر والأمراض ، أو اللامبالاة أو الانصراف إلى الدنيا ، هذه الملايين من الأغنياء والفقراء ، والأقوياء والضعفاء ، والمتعلمين والجهلاء ، أصبحت مرتعاً خصباً للدعوات غير الإسلامية ، وأصبحت قوى يستفيد منها أعداء الله ، ولايستفيد منها المسلمون بشيء ، أو يستفيدون بالنذر القليل .

لقد ضاعت هذه القوى الكثيرة حين تحجر العمل الإسلامي على صورته الحزبية ، وحين لم تنجح محاولات الامتداد العالمي إلا من خلال شعارات ومؤتمرات وتجمعات ، امتد معها الصراع والفراق والتمزق .

الدعوة الإسلامية يجب أن تكون للناس كافة ، ويجب أن تستفيد من جهد كل مسلم وطاقة كل مسلم ، حين لا تتنافر القلوب وتتباعذ العزائم .

و - اضطراب الروابط الإيمانية وتمزقها :

وكان من أثر ذلك كله أنك أصبحت ترى الأحلاف التي تجمع المسلم مع غير المسلم والداعية مع خصمه ، وفي الوقت نفسه لا يستطيع المسلم أن يتحالف مع أخيه المسلم .

من العجيب أن ترى هذا التجمع الإسلامي يقف صفّاً واحداً مع تجمّع غير إسلامي ، يناشد الإسلام وأهله ، ولا يستطيع هذا التجمع الإسلامي أن يتآلف مع

التجمع الإسلامي الآخر . امتد الصراع وامتدت الأحقاد ، وأُعلنت مواقف يفرح فيها المسلم بمصيبة أخيه المسلم ، ويحنو على غير المسلم يمدّه بعونه وماله وقوته .

إن الروابط الإيمانية أمر من عند الله ، جعلها أقوى الروابط وأوثقها وأعلاها ، كلها تقوم على أساس الولاء الأول لله والعهد الأول مع الله والحب الأكبر لله ولرسوله . هنا ، عند هذه النقطة الثابتة التي تمثل سقف الولاء والعهد والحب ، هنا تلتقي جميع الولاءات الإيمانية وترتبط بها وتتغذى منها وتسير على نهجها . إذا لم يتحقق في نفس المؤمن هذا الولاء الأول والعهد الأول والحب الأكبر فكيف تنشأ أخوة الإيمان ؟ ! إنها لن تنشأ أبداً حتى يتحقق هذا الولاء الأول لله وحده ، والعهد الأول مع الله وحده ، والحب الأكبر لله ولرسوله ، وحتى تتحقق كذلك سائر قواعد الإيمان والتوحيد التي فصلها منهاج الله . ولن تنشأ كذلك سائر الروابط الإيمانية التي شرعها الله حتى يتحقق ذلك كله . إنها تتحول إلى عصبية جاهلية تمزق المسلمين شيعاً وأحزاباً إذا غابت قواعد الإيمان والتوحيد .

إن الإسلام نظم الروابط الإيمانية بين الأفراد والأرحام والشعوب تنظيمياً ربانياً دقيقاً . فيجب أن يكون من أهداف الدعوة الإسلامية والتربية الإيمانية بناء هذه الروابط ، دون السقوط في شرك المنافقين والمخادعين والأعداء ، واخللة الضعفاء ، ذلك حتى ينهض الصف المؤمن كالبنيان المرصوص .

لقد تحولت رابطة الأرحام لدى بعض المسلمين إلى عصبية جاهلية في كثير من الأحيان .

لقد استفاد أعداء الله كثيراً من اضطراب الروابط الإيمانية بين المسلمين في الأرض . استفادوا كثيراً وأضرّوا بالمسلمين كثيراً .

فمن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها . وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأصفر . وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من

سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم . وإن ربي قال لي : إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرد . وإني أعطيتُ لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، أو قال من بين أقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً » [رواه الترمذي (١)]

يكشف لنا هذا الحديث الشريف الحماية الربانية التي وعد الله بها عباده المؤمنين ، وكشف لنا كيف أن هذه الحماية تزول حين تتمزق الروابط الإيمانية : « . . حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً . . . » فإلى الروابط الإيمانية أيها المؤمنون !

٤ - ظهور صورتين متناقضتين لا يرضى بهما الإسلام : الغلو والتفريط في التصور والممارسة :

لقد كان من مظاهر اضطراب التصورات أن انفرد بعض المسلمين بأعمال تحمل شعار الإسلام دون إخضاعها إلى شرعه وأحكامه . وقد أخذ هذا الاضطراب صورتين : صورة تبتعد عن شرع الله بالغلو والتطرف دون دليل من كتاب أو سنة يسوّغ هذا الموقف والغلو . وقد نهى الإسلام عن الغلو كثيراً . ولكن الغلو لم يكن الصورة الوحيدة للابتعاد عن شرع الله . لقد كانت الصورة الثانية أبعد أثراً في واقع المسلمين ، وأشد خطراً على الدعوة الإسلامية ، وحملت معها التجارب المريرة من المذلة والهوان . إنها التنازل والتساهل والمرءاة بغير حق وباسم الإسلام والإسلام بريء من ذلك .

وفي الحقيقة كلتا صورتين أثرت وتعاونت مع الصورة الأخرى في الإضرار .

لقد ظنّ بعضهم أنه بمسايرة أعداء الله مسايرة تحمل بعض التنازلات ، مع رفع شعارات غير إسلامية ، والمناذاة بها والدفاع عنها ومحاولة تزيينها أمام الرأي العام المسلم ، وتأويل الآيات والأحاديث تأويلاً فاسداً لإيجاد المسوّغ لهذه المواقف المتهاوية ، ظنّوا بأنهم يرضون هؤلاء الأعداء ويأمنون شرهم ، أو يحققون بعض المصالح . ولقد أخطأوا في ذلك خطأ كبيراً .

إن للإسلام سيلاً واحداً بيننا لنا وفصله منهاج الله ، وبلغه لنا رسول الله ﷺ ، ومضت الدعوة الإسلامية يقودها محمد ﷺ على هذا السبيل الواحد ، ممارسة وتطبيقاً لمنهاج الله ، وسار صحابة رسول ﷺ على هذا السبيل نفسه ، لم يبدلوا ولم يغيروا ، ولم يراؤوا ولم يتنازلوا! ومضى كذلك الصالحون من أئمة الإسلام على هذا السبيل لم يغيروا . فالسبيل واضح جلي ، لا يضطرب إلا مع النفوس المضطربة .

وجاء الواقع من خلال عصور كثيرة تكشف لنا أن الذين تنازلوا عن دينهم ، أو عن جزء منه ، ومالوا أعداء الله ، وظنوا أنهم بذلك يحمون أنفسهم ، جاء الواقع ليكشف لنا أنهم كانوا هم أول ضحايا هؤلاء الأعداء الذين وثقوا فيهم . فما أن انتهوا منهم وقضوا مصالحهم عن طريقهم ، حتى رموهم تائهن في الأرض ، أو جثاً مطروحة في العراء ، أو هياكل تحنقها السجون ، على غضب من الله وذلة بين أيدي الكافرين ، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين ! .

إن من أهم أسباب التطرف بالغلو أو التفريط نقاطاً نوجزها بما يلي :

- أ - الأخذ بالشعارات من الإسلام أكثر من أخذ العلم الحق من الكتاب والسنة .
- ب - عدم ردّ الواقع إلى منهاج الله ردّاً أميناً واعياً عن إيمان راسخ وعلم وخبرة .
- ج - عدم وجود منهج يرسم الدرب ومراحله وأهدافه ووسائله وأساليبه مع المسيرة كلها ، ومجابهة الأحداث مجابهة آنيّة ارتجالية تحمل ردود الفعل والهزائم النفسية أكثر مما تحمل من إيمان و يقين وعلم .
- د - العقبات التي سبق ذكرها ، كل عقبة كان له دور في ذلك .

« إن الوسط أو الوسطية ، وإن التيسير وعدم التعسير ، وإن عدم الغلو ، إن هذا كله لا نبغّه إلا بممارسة منهاج الله ممارسة إيمانيّة . إن منهاج الله نفسه هو الصورة الوسط ، وهو التيسير ، وهو عدم الغلو وعدم التفريط . وإلى ذلك تشير الآية الكريمة : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... ﴾ [البقرة : ١٤٣]

لقد وضع الإسلام ضوابط دقيقة للفرد والجماعة والأمة كلها ، حتى تنضبط في الوسط الذي يحبه الله ورسوله ، وحتى لاتقع في الغلو ، وحتى تنجو من التفريط .

إن غياب منهاج الله عن واقع كثير من المسلمين دفع إلى التطرف والانحراف ، تحت شعار من شعارات الإسلام ، شعار بعيد عن النهج والتخطيط والدراسات الأمنية الدقيقة .

إن التزام قواعد الإيمان والتوحيد والتزام منهاج الله هي النقطة الأولى التي يجب الانطلاق منها ، لِيَعُودَ منهاج الله يؤدّي الدور الذي كان يؤدّيه في مدرسة النبوة .

هـ - اضطراب الروابط والعلاقات في واقع الأمة :

لقد نظم الإسلام حقوق كلّ فئة أو طائفة تقيم في ظل حكم الإسلام وشرعه ، وبين واجباتها . ومضت ممارسة هذه الحقوق والواجبات خلال تاريخ طويل ، ضرب الإسلام فيه المثل الأعلى للعدالة والحق ، وخاصة مع أهل الكتاب .

ونظم الإسلام العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، على أن يلتزم كلّ منهما شرع الله ، وأن تلتزمه الأمة كلها ، حتى تكون كلمة الله هي العليا في واقع تطبيق التشريع والممارسة .

لقد تنازل بعض المسلمين عن شرع الله في واقعهم ، وأخذ هذا التنازل صورة قانونية ، وبقي للإسلام بعض الشعارات التي لاتبني جيلاً مؤمناً ولاتحقق مهمة الإسلام في الأرض .

واعتماد بعض المسلمين ذلك وألفوه حتى صاروا ينادون به ويدعون إليه .

كان الإسلام في مرحلة هو وحده مصدر التشريع في الأمة . ثم أصبح بنص القانون أحد مصادر التشريع ، أو أهمها . ثم أصبح الفقه من مصادر التشريع ، واستمرّ التنازل في معظم أقطار العالم الإسلامي ، واضطربت الروابط والعلاقات في واقع الأمة . وأصبح منهم من يرى أن الديمقراطية هي طريق النصر ولكنها خيّبت الآمال وجاءت بالهزائم والفواجع . وظن بعضهم أن الإسلام يحتاج إلى «تحديث» وإلى «عصرنة» ، فجاء

التحديث بالفتنة والفاحشة والفساد ، وجاءت العصرنة بالمذلة والهوان والاستسلام ، والفرقة والتمزق !

ورأى بعضهم أن العلمانية تحمي المسلمين وتعطيهم حقوقهم . فضاع المسلمون وضاعت حقوقهم ، وغرقوا في خلافات وشُغِلوا بالفتنات . وامتد الزمن والمسلمون يزيدون شعارات ومؤتمرات وهتافات ، والهزائم تتوالى والفواجع تتدافع ، والمجازر والدماء تتدفق !

ويعجب بعضهم كيف أن بعض الحكام يؤذون المسلمين أو يعدّونهم !

ماذا يريد المسلمون من حماية بعد أن رُفِعَ شرع الله ولم يعد هو الذي يحكم ؟! من أين يرجو المسلمون العدالة ودين الله لم يعد هو الذي يصوغها ويقررها ؟ واضطربت العلاقات بين الحاكم والمحكوم !

حتى الشعارات بدأت تتحوّل وتبتعد عن شعارات الإسلام في بعض البلاد ، وأخذت تتحول إلى شعارات العلمانية أو الإقليمية ! فكيف تستقرّ روابط الأمة وليس لها ما يجمعها : شيع وأحزاب ، وكتل وجماعات ، وفرق ونحل ومذاهب !

٦ - آثار الجوّ النفسي العام :

لقد أورث العمل الإسلامي والنتائج التي وصل إليها إحباطاً في كثير من النفوس ، حتى أصبح من الناس من لا يثق بالعمل الإسلامي ، أو ينفر من الدعوة إليه .

إن آثار الفشل من ناحية ، وآثار الإرهاب العنيف الذي صُبَّ على العمل الإسلامي من سجون وتعذيب وإجرام لا يكاد يتصوره العقل ، لقد أورث هذا كله إحباطاً وخوفاً في النفوس . وآثر الكثيرون الركون والانعزال . ففقد العمل الإسلامي طاقات كثيرة كانت تستطيع أن تبذل وتعين .

لأنكر أن أعداء الله خططوا بإحكام لضرب العمل الإسلامي وتمزيقه وإخفاء عيوبه حتى تظل تعمل في تمزيق القوى والصفوف .

ولكننا لانتعب على أعداء الله . فهم أعداء الله فماذا ينتظر المسلمون منهم ؟ هل يريد المسلمون من أعدائهم الإنصاف أو النصر أو الخير أو بلوغ الحق أو العدالة ؟ !
إن أعداء الله دائماً هم المعتدون :

﴿ لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ﴾ [التوبة : ١٠]

إنما العتب على أنفسنا نحن المسلمين . لقد وعدنا الله بالنصر من عنده ، إن أوفينا بعهده ، وحذرنا من أعداء الله ، فأبى بعضهم إلا أن يظن أن النصر من عند هؤلاء وليس من عند الله . فتنازعتهم القوى وتفرق أمرهم .

إن الإحباط والخوف وتوقع الفشل دفع بعضهم إلى ملاذ غير ملاذهم وإلى مأوى غير مأواه . فدخل جحور الذئاب والثعالب ، وذاق مرارة التجربة غير الإيمانية ، يَرْجُو النجاة هناك فخاب أملة :

﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴾ [المائدة : ٥٢]

إن للإسلام سبيلاً واحداً للنصر ، بينه الله لعباده المؤمنين ، ولا سبيل لهم سواه فَلْيَسِّبُوا السَّبِيلَ .

الجو النفسي العام لم يعد في صالح أحد من المسلمين . لقد أصبح الخوف له تأثير سيء في بعض النفوس . لم تعد الخشية من الله هي التي تحرك المؤمن وتوجهه . لقد أصبح الخوف خوفاً من البطش ، أو خوفاً من مصائب الدنيا ، أو خوفاً من انقطاع الرزق ، وغاب صدق السعي وجميل التوكل على الله .

إن هناك قوى تخطط ليل نهار لإشاعة الإحباط والخوف على صورة دنيوية انهزامية متطرفة في الانهزام . إنها تخطط لذلك في جميع الميادين الاقتصادية والسياسية ، والعسكرية والاجتماعية ، والنفسية والفكرية .

إن أول وسائل العلاج التركيز على قضية الإيمان والتوحيد ، وتغذية النفوس بها وتثبيتها ، لتكون عملاً ممتداً في جميع المراحل ، عملاً منهجياً متكاملًا مع سائر الأهداف . وإن العودة إلى منهاج الله عودة منهجية متكاملة صحبة عمر وحياة ، هي الخطوة المرافقة للخطوة الأولى ، ومن هاتين الخطوتين تنطلق الدرب والمراحل والأهداف ، على صراط مستقيم ، في سبيل الله ، إلى الهدف الأكبر والأسمى - الجنة - .

٧ - الأفكار الباطلة والعادات السيئة والبدع مما ورثناه عن عصور سلفت :

إن بعض الأفكار والعادات التي استقرت في واقع المسلمين ، والتي حملتها لنا قرون طويلة ، هي أفكار وعادات باطلة ليست من الإسلام في شيء ، ولكن كثيراً من الناس ألفها واعتادها حتى أصبحت لديه جزءاً من تصوره وفكره . وهذه تقف عقبة كبيرة أمام الدعوة الإسلامية . ولقد كانت من أهم العقبات التي أشار إليها القرآن الكريم :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠]

وتتوالى آيات كثيرة تؤكد هذا المعنى وتبين أثر هذه العقبة في طريق الدعوة وما تحتاجه من جهود .

واليوم تبرز هذه العقبة بشكل كبير . ولا مجال هنا لأن نعدّد جميع الأفكار الباطلة المستقرة في أذهان الكثيرين ، ولا البدع الممتدة في نواحي كثيرة من الحياة ، حتى كأنك ترى أن الإسلام أخذ يعود غريباً كما بدأ في كثير من الأقطار .

والمؤسف أن هذا « الغث » يجعله بعضهم من التراث ، من تراث الأمة ، ومن تراث الإسلام ، والإسلام منه بريء .

إننا بحاجة إلى أن « نغربل » تراثنا حتى ننفّض عنه ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وحتى يبقى تراث الإسلام جواهر ولآلىء ممتدة في تاريخ الإنسان .

لن نستعرض هنا كل هذه الانحرافات وأفكار الضلال وعادات البدع ، ولكننا نشير إلى قليل منها لأهميته اليوم .

فكثير من المسلمين استقرَّ في ذهنه أنه تكفيه الشهاداتان ولا حاجة له إلى الشعائر أو غيرها . واستقرَّ في ذهن الآخرين أن الشعائر وحدها تكفيه وأن مسؤوليته في دين الله لا تتجاوز حدود بيته وأسرته ، وأنه لا عليه إن ترك تبليغ رسالة الله وهو قادر على ذلك .

فتعطلت طاقات كثيرة أخلَّت الساحة ، والساحة في أشد الحاجة إلى كل طاقة عاملة . وأصبح لهذا التصور دعاة يُحذِّلون الهمم والعزائم وينشرون الوهن والضعف .

وطائفة أخرى تقول ليس عليك أن تدرس منهاج الله . فمنهاج الله هو للعلماء والعباقرة وليس للناس عامة . وظهر لهذا التصور دعاة ينشرون الجهل ويعدون الناس عن منهاج الله وعن لغته .

وآخرون يرون أنه حسب المسلم أن يأخذ آية من هنا وآية من هناك مع توافر الوسع للدراسة المنهجية . فلا تعود علاقة المسلم سليمة مع منهاج الله كما كانت في مدرسة النبوة . هذا خلاف البدع في العادات والتقاليد التي تستهلك وقت الأمة وطاقاتها وبعض ثرواتها .

وكان من أثر ذلك أن غابت المسؤولية الفردية ، حتى أصبح كثير من المسلمين الذي يحملون الشهادات العلمية لا يعرف من كتاب الله إلا النزر اليسير أولاً يعرف شيئاً ، ويدع ذلك كله إلى العلماء ، كلما احتاج أمراً هُرِعَ يستفتيهم في أمر حكمه صفحة أو أقل أو أكثر في كتاب من كتب السنة ، أو آية محكمة جلية ، لا تستغرق دراستها إلا وقتاً قصيراً .

لقد ساء الحال حتى لم يعد بعض المسلمين يفكرون ، ولا يتأملون ، ولا يتدبَّرون أمور دينهم . فشلت قدرة التفكير ، أو اتجهت إلى الدنيا كلها .

امتد الجهل بالكتاب والسنة بين ملايين المسلمين ، وتعطلت قوى التفكير ، وانصرف الكثيرون لا يحملون من الدين إلا أمانياً وإن هم إلا يظنون .

٨ - تنافس بعض الدعاة على لعاعة من الدنيا :

كلّ يريد أن يُثبت نفسه وأن يُعزّي النجاح ، إن حصل نجاح ، إليه وحده ، ويُعزّي الفشل وما أكثره إلى غيره . لم يعد هناك بين الدعاة تنسيق للجهود ، فتنافرت الجهود والقلوب وتضاربت الأفكار ، وتباعدت الدروب . ومن أسوأ مظاهر التنافس أن يسطو بعضهم على أفكار بعضهم الآخر ، فيأخذ ما يحلو له وينشره باسمه حرفياً أو يعيد صياغته ليُخفي جريمته وكأنه في هذه الكلمة أو تلك بلغ المراتب العلا ! خَفَّت التقوى أو اختفت من بعض القلوب ، بين دويّ من الشعارات . لم يَعُدْ يُرعى للكلمة أمانة ، ولا للفكرة أمانة ، ولا للكتاب أو المقالة أمانة .

يقول أحدهم : لو أني أخذت فكرة أعجبتني من كاتب آخر ، ثم أعدتُ صياغتها ونشرتها باسمي ، أفي ذلك إثم ؟!

فقلت له : لو أنك سَرَقْتَ سَيّارة ، وأعدت طلاءها وغيّرت رقمها وسرت بها بين الناس ، ألا تكون سارقاً ولصّاً ؟! وسواء أعرف الناس أم لم يعرفوا ، ألا يعلم الله ما فعلت وما أخفيت ؟! أو ليس عقاب الله أشد من عقاب الناس ؟! أو ليس أشد عقاب عند الله بعد الكفر هو إضاعة حقوق الناس ، أو الاعتداء عليها ؟

أولى الناس أن يراجعوا أنفسهم ومسيرتهم هم الدعاة ! وأسوأ الدعاة من يظنّ أنه لا يخطئ ولا حاجة له إلى محاسبة نفسه والبحث عن عيوبه والتوبة إلى الله . أسوأ الناس من يأخذه الكبر والغرور ، يفرح بما عنده ، ويحقر ما عند غيره ، فلا يقبل النصيحة ولا هو ينصح ! تتزايد أخطاؤه مع مسيرته ، وتزداد آثامه ، ولا يجد من يعالج ويراجع ، ولا من يشرف ويقوّم ويوجّه !

تنافس الدعاة على لعاعة من الدنيا شغلهم عن العمل الجاد والصراط المستقيم . شغلوا أنفسهم بالفتات وشغلوا الآخرين ! وحساب الجميع عند الله ! وليت الأمر وقف عند هذا الحد . ولكن زاد الأمر سوءاً حين أصبح المسلم يكيّد لأخيه المسلم في عتمة الليل ، أو يعطل مصالحه المشروعة ، أو يسدّ أمامه باب السعي الحلال .

لقد أصبح الكتاب الإسلامي عرضة لأن يحاربه المسلم أكثر مما يحاربه عدو الإسلام .
فهذا يحارب كتاب ذاك ، وذاك يحارب كتاب هذا ، وأصبحت القضية ليست تنافساً على
طلب الآخرة ، ولكن تنافساً على لعاعة من الدنيا .

لقد هبط المستوى في كثير من الأحيان إلى درجة متدنية تفرض علينا النصح والتذكير ،
وإعادة النصح والتذكير .

٩ - بروز نواح متعددة من الخلل في قضية الإيمان والتوحيد والدعوة لها ، نوجز
ذلك بما يلي :

أ - لم يضعها كثير من المسلمين على أنها أخطر قضية لكل إنسان وأكبر حقيقة في
الكون ، ولم يبذلوا الجهد الحق لها .

ب - اضطراب الفطرة لدى الكثيرين فاضطرب الإيمان والتوحيد لأنها قضية الفطرة أولاً .

ج - الخلل في تصور الألوهية والربوبية عند الكثيرين ، والخلل في تصور العبودية لله
رب العالمين ، واضطراب التناسق والتكامل بين تصور هذه وتلك وترباطها .

د - غياب التصور للعهد الأول مع الله ، والولاء الأول لله ، والحب الأكبر لله ولرسوله ،
ولمعنى الخشوع والتصرع واللجوء إلى الله ، والخنشية منه ، فلم يعد ترتبط عهود
الدنيا والولاء والحب فيها مع العهد الأول لله والولاء الأول له والحب الأكبر له .

هـ - الخلل في تصور معنى النية الخالصة لله ، والتصور الذي يهب اليقظة والوعي
ومعرفة الدرب والأهداف .

و - لم تعد قضية الإيمان والتوحيد قضية مفاصلة وحسم ، ولا قضية تكاليف والتزام
ولا قضية مسؤولية وحساب .

ز - هجر منهج الله حتى لم يعد مصدر المفاصلة والحسم ، والتكاليف والتزام ،
والمسؤولية والحساب .

ح - بسبب هذا الخلل الممتد قامت الصعوبات أمام معالجة الشوائب والأمراض ،
وضعف الحافز الإيماني للنهوض للتكليف الرباني بتبليغ رسالة الله إلى الناس
وتعهدهم عليها ، والنهوض إلى سائر التكاليف الربانية .

الفصل الثاني المبشرات

إذا كان أمام الدعوة الإسلامية عقبات كثيرة ، فإن أمامها كذلك مبشرات أكبر وأوثق . إن معظم العقبات نابع من الإنسان على سنن الله ماضية وحكمة بالغة وقدّر غالب . إنها الحياة الدنيا دار ابتلاء وتمحيص ليرى الله من عباده من هو أحسن عملاً ، وهو أعلم بهم . ولكن لتقوم الحجة لهم أو عليهم يوم القيامة .
ولكنّ المبشرات تشرق من وعد الله ، ومن أصدق من الله قيلاً ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ ! .

ولنسمع إلى إشراقه البشريات من آيات الله البينات :

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرَ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر : ٥١]

وعد حقّ من الله ، لا يتطلب إلا أن نصدق الله في إيماننا ، وأن نتبع سبيله الحق .

﴿ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً

وَلَنُجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧]

حياة طيبة ! طيبها في طهارتها وصدقها ، وأمنها وأمانها ، حين يكون المؤمن مع ربّه

على صراط مستقيم .

﴿ ... وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّاي فَارْهَبُونَ ﴾ [البقرة : ٤٠]

وكذلك :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ * والذين

كفروا فتعسأ لهم وأضلّ أعمالهم ﴾ [محمد : ٧ ، ٨]

وكذلك :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴿ [النور : ٥٥ ، ٥٦]

وكذلك :

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴿ [يونس ٦٢-٦٤]

وكذلك :

﴿ ... ونزلنا عليك الكتاب تبلياً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل : ٨٩]

وكذلك :

﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهو يستبشرون ﴾ [التوبة : ١٢٤]

وكذلك :

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴿ [التوبة : ١١١ ، ١١٢]

وتتوالى الآيات الكريمة تسوق البشرى بعد البشرى للمؤمنين ، ولا يكلفهم الله إلا بأمرين يشملان كل التكاليف : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ ﴾

ويفصل منهاج الله الإيمان والعمل الصالح تفصيلاً يجعل منهما درباً ممتداً ، ونهجاً متماسكاً ، وصراطاً مستقيماً ، ورحمة وهدى وبشرى للمسلمين .

إن الله سبحانه وتعالى جعل باب النصر يُفْتَحُ للمؤمنين أبد الدهر ، لمن يريد أن يلججه ويمضي على الصراط المستقيم . إن باب النصر يقود إلى الصراط المستقيم ، إلى السبيل الواحد الذي لا سبيل سواه . ومفتاح هذا الباب النية الصادقة الخالصة لله ، النية الصادقة الواعية التي تعرف الدرب والأهداف والوسائل والمراحل .

النية الصادقة هي أول الدرب ليمتد إلى الهدف الأكبر والأسمى - الجنة والدار الآخرة ورضوان الله - .

كل خطوة فيه بشرى للصادقين ، وهم وغمّ للمنافقين ولأعداء الله !

أيها الدعاة ! فإلى بشرى ممتدة مترابطة من عند الله !

وفي واقع الحياة ، مهما أظلمت الأيام وتوالت المصائب ، ووقف اليائسون ، وتراجع الضعفاء ، في واقع الحياة بشرى كثيرة ، من أهمها الطائفة الظاهرة الماضية مع الزمن على الصراط المستقيم في سبيل الله :

فعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » .

[رواه مسلم والترمذي وابن ماجه (١)]

البشرى للمؤمنين العاملين الصادقين ! فإذا لم تأت فلنراجع أنفسنا ، فإنه ابتلاء من الله ليمحص الذين آمنوا ويظهر من أوفى بعهده مع الله .

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (ط : ٣) - (رقم : ٧٢٨٩) .

الباب الثالث

**أمام المسلمين سبيل وحيد
ولاسبيل سواه**

الفصل الأول

أمام المسلمين سبيل وحيد ولا سبيل سواه

﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣]

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيماً » ، وخط عن يمينه وشماله ثم قال : « هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ثم قرأ الآية : « وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا . . » [رواه أحمد وأحمد والنسائي وغيرهما (١)]

وكذلك :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨]

إنه سبيل واحد للمؤمنين . وللمشركين سبل عدة ، على كل سبيل شيطان يدعو إليه . وقد جعل الله للمؤمنين سبيلاً واحداً لا سبيل سواه ، حتي يجمع هذا السبيل المؤمنين كافة في كل عصر ، وكذلك في جميع العصور . ولقد مضى على هذا السبيل محمد ﷺ : « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي . . » ، وكذلك أصحابه : « أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي . . » ، وجميع من اتبعوه وآمنوا بالله ورسوله وكتابه على مدى الدهر . وكذلك يجب أن يمضي المؤمنون اليوم على هذا السبيل ، فلا سبيل لهم سواه .

والمضي على هذا السبيل هو المضي على الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه أمراً ماضياً مع الزمن كله : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ .. ﴾ . والمضي عليه هو القيام

(١) أحمد : الفتح الرباني : ١٨ / ١٤١

بالتكاليف الربانية على بصيرة ، التكاليف الربانية الممتدة على الصراط كله ، التكاليف المتناسكة المترابطة التي ترسم بتماسكها الدرب ، ومحور هذه التكاليف هو الدعوة إلى الله ورسوله إلى الإيمان والتوحيد ، دعوة الناس كافة : « . . أدعو إلى الله . . » !

ويبتدىء هذا السبيل في حياة المؤمن بصدق الإيمان وصفاء التوحيد والشهادتين ، لينطلق من هذا كله إخلاص النية لله سبحانه وتعالى ، إخلاصاً يربط المسيرة كلها ، ونية تمتد على السبيل كله ، وعلى الصراط المستقيم كله . ثم ينطلق من ذلك القيام بالشعائر أداءً وخشوعاً ، ثم طلب العلم الذي جعله الله فريضة على كل مسلم ، العلم الذي أوله وجامعه هو العلم بمنهاج الله - قرآنًا وسنة ولغة عربية - .

فإذا حمل المسلم هذا الزاد الرئيس في مسيرته على الدرب ، انطلق بزاده إلى الدعوة إلى الله ورسوله ، دعوة تمتد مع النية وأداء الشعائر وطلب العلم على الدرب كله ، انتقل من هدف رباني إلى هدف رباني ، على درب ممتد إلى الهدف الأكبر والأسمى - الدار الآخرة ورضوان الله والجنة - .

ولقد سار على هذا الدرب أئمة المسلمين الأعلام : الخلفاء الراشدون والصحابة ومن تبعهم بصدق وإحسان إلى يوم الدين ، على نهج النبوة الخاتمة ، كما أوصى بذلك النبي الخاتم محمد ﷺ :

فعن العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها الدموع ووجلّت منها القلوب . فقال رجل : إن هذه موعظة مودّع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله ؟ قال : «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي . فإنه من يعيش منكم يرى اختلافاً كثيراً وإياكم ومحدثات الأمور ، فإنه ضلالة . فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين . عضّوا عليها بالنواجذ » [رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه (١)]

(١) أبو داود : ٤٦٠٧ / ٦ / ٣٤ - الترمذي : ٢٦٧٦ / ١٦ / ٤٢ - ابن ماجه : المقدمة / ٣٥ .

نعم ! صدق رسول الله ﷺ . . . فإنه من يعيش منكم برّ اختلافاً كثيراً . . . ! ولقد رأى المسلمون في تاريخهم الطويل اختلافاً كثيراً ، ومروا بتجارب شتى . أما اليوم فيمرّ المسلمون بمرحلة خطيرة ، لا تقتصر مشكلاتها على الاختلاف الكثير ، ولكنها امتدت إلى التمزّق والصراع ، أو قل إلى التفتّت والتناحر ، وإلى الضعف والهوان . ولانكاد نجد وصفاً لواقع المسلمين اليوم أبلغ ولا أعمق من حديث رسول الله ﷺ :

فعن ثوبان عن الرسول ﷺ قال :

« يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها » قيل : يا رسول الله ! فمن قلة يومئذ ؟ قال : « لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، يُجعل الوهنُ في قلوبكم ، ويُنزَع الرعب من قلوب عدوكم ، لحبكم الدنيا وكرهية الموت » [رواه أحمد وأبو داود] ^(١)

وفي رواية أبي داود : « . . . ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن » فقال قائل : يا رسول الله ! وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكرهية الموت » .

وعند أحمد يتساوي النصّ في آخره مع نصّ أبي داود ، ومع نص صحيح الجامع الصغير في كلمة « من كل أفق » .

وإذا استعرضنا أوضاع المسلمين اليوم نجد عظمة هذا الوصف ، ونجد المحن بعد المحن تدور في واقع المسلمين .

ليس الهدف هنا استعراض الواقع الذي يمرّ به المسلمون اليوم فالأمثلة كثيرة جداً ، أكثر من أن يحيط بها كتاب . ولكننا هنا بصدد عرض موجز للنهج العام في الدعوة الإسلامية ، والنظرية العامة في الدعوة الإسلامية ، من خلال المنهاج الرباني والواقع ، عسى أن يكون فيما نعرضه إضاءة لدرب طويل للخروج من ظلمات الواقع الذي يعيشه المسلمون. ^(٢)

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (رقم : ٨١٨٣) والنص منه . أبو داود : ٣١ / ٥ / ٢٩٧ أحمد : المسند : ٢٧٨ / ٥ ، ٢٧٨ ، الفتح الرباني : ٢٤ / ٣١ / ٣٩ .

(٢) لدراسة واقع المسلمين تراجع الكتب للمؤلف التالية : « دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية » : الباب السابع ، « واقع المسلمين أمراض وعلاج » ، « الصحوّة الإسلامية إلى أين » « المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية ، الملاحم ، وغير ذلك .

من هذا الواقع يجب أن يخرج المسلمون إلى العزة والقوة ليحملوا رسالة الله إلى الناس ،
ليكونوا شهداء على الناس ، وليكونوا القوة الكبرى في الأرض :

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾
[البقرة : ١٤٣]

وليكونوا خير أمة أخرجت للناس :

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله..﴾
[آل عمران : ١١٠]

من هذا الواقع يجب أن يخرجوا ليسعوا إلى الأهداف الربانية الثابتة على طريق ممتد إلى
الهدف الأكبر والأسمى - الدار الآخرة ورضوان الله والجنة - .

من هذا الواقع يجب أن يخرجوا ليكونوا القوة الكبرى في الأرض تأمر بالمعروف وتنهى
عن المنكر وتؤمن بالله !

فهل بلوغ ذلك ممكن !؟

نعم ! إنه ممكن ، ذلك لأنهم ، إن صدقوا ، فمعهم أكبر قوة في الكون ، معهم القوة
التي هي وحدها تهب النصر : الله الذي لا إله إلا هو ، الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر ! .

﴿ولاتهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون
وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً﴾
[النساء : ١٠٤]

نعم ! ذلك ممكن ، والدرب مفتوح ميسر بإذن الله ، وسبيله أن يصدق المسلمون
ربهم ويوفوا بعهدهم مع الله .

﴿.. وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم...﴾
[البقرة : ٤٠]

فالمهمة اليوم إذن هو البحث عن « السبيل » للخروج ، وعن « الصراط المستقيم »
الذي بينه الله لنا في كتابه المبين .

هناك سبيل واحد للمؤمنين لاسيلا ولا أكثر . سبيل واحد ، جعله الله واحداً حتى يلتقي المؤمنون عليه صفاً واحداً كالبنيان المرصوص . سبيل واحد ولا سبيل سواه . إنه سبيل واحد يتدىء بصدق الإيمان والتوحيد ، يحمل البشرى للمؤمنين ، ويحمل الأمن والعزة بالله .

﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [آل عمران : ١٣٩]
سبيل واحد ولا سبيل سواه . سبيل يمضي عليه المؤمنون المتقون أولياء الله :

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴿ [يونس : ٦٢-٦٤]

هذا هو السبيل الوحيد : لا خوف ولا حزن ، إيمان وتقوى ، وبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

هذا هو السبيل الذي جعله الله للمؤمنين ، لينالوا به العزة ، فالعزة كلها لله ، يهب الله العزة للمؤمنين الصادقين :

﴿ ولا يحزنك قولهم . إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم ﴾ [يونس : ٦٥]

﴿ ... والله العزة ولسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ [المنافقون : ٨]

وإذا كان للمؤمنين سبيل واحد للنصر ، ولا سبيل سواه ، فلا شك أن الله يبين هذا السبيل لعباده المؤمنين حتى لا يضلوا ، وفصله تفصيلاً ، كما ذكرنا قبل قليل :

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [يوسف : ١٠٨]

﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ [الأنعام : ١٥٣]

ويأتي بيان « هذه السبيل » و « وهذا الصراط » بياناً مفصلاً في المنهاج الرباني - قرآناً وسنة ولغة عربية - ولكن معرفة هذا السبيل يحتاج إلى تدبر منهاج الله تدبراً واعياً في صحبة منهجية ، صحبة عمر وحياة ، صحبة لا تتوقف (١) .

فمن منهاج الله ومن تدبره نعرف السبيل للخروج من ظلام الواقع إلى اشراق النجاة والعزة . ويمكن أن نلقي بعض الأضواء على هذا السبيل . (٢)

* * * *

لابد أن يعي المسلم منذ البداية دوره في الحياة ، وأن يعي المسلمون كذلك ، وأن يدركوا أن الله لم يخلق الإنسان عبثاً :

﴿ أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة : ٣٦]
 ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون : ١١٥ ، ١١٦]

فالإنسان لم يخلقه الله عبثاً ، وإنما جعل له مسؤوليات وتكاليف في هذه الحياة الدنيا ، سيسأل عنها يوم القيامة ويحاسب عليها ، فيدخل الجنة من آمن وأوفى ، ويدخل النار من كفر وخان عهده مع الله .

إن الشرط الأول للقيام بهذه المسؤولية والتكاليف هو الإيمان . فالكافرون لا يستطيعون القيام بهذه المسؤولية ، لأن المسؤولية والقيام بها نابعان من الإيمان مرتبطان به .

* * * *

ولننظر في هذه المسؤوليات والتكاليف في إطارها العام من كتاب الله ، من الآيات الكريمة . فكتاب الله أنزل ليبين للناس هذه المسؤوليات والتكاليف . وتدبر منهاج الله

(١) يُراجع كتاب « دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية » المؤلف .

(٢) يُراجع كتاب : أضواء على طريق النجاة » للمؤلف .

نجد أن هذه المهمة عرضها القرآن الكريم من خلال أربعة تعبيرات ربّانية ، كل تعبير يعرض التكاليف من ناحية ، حتى تتكامل الصورة والعرض :

أولاً : العبادة : عبادة الله وحده دون شرك أبداً :

﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٥]

وكذلك :

﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين ﴾ [النحل : ٣٦]

وتتوالى الآيات الكريمة في القرآن الكريم لتؤكد هذه الحقيقة وتُفصّلها حتى تكون حياة الإنسان المؤمن كلها عبادة لله .

ثانياً : الأمانة : التي حملها الإنسان بإذن الله ، فإن أوفى بها كان عادلاً أميناً غير جاهل ، وإن لم يوفِ كان ظلوماً لنفسه ولغيره جاهلاً بعظمة الأمانة وأهميتها : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ [الأحزاب : ٧٢]

ثالثاً : الخلافة في الأرض : ليظل الإنسان جيلاً يخلف جيلاً ، يطبق شرع الله في الأرض لتكون كلمة الله هي العليا في واقع الإنسان : ﴿ وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة .. ﴾ [البقرة : ٣٠]

﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴾ [الأنعام : ١٦٥]

رابعاً : عمارة الأرض بحضارة الإيمان :

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم

من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب ﴿ هود : ٦١ ﴾
 هذه هي مهمة الإنسان التي خُلِقَ لها ، ليؤديها في حياته الدنيا ، أفراداً وجماعات
 وشعوباً وأممًا . كلهم مسؤولون عن الوفاء بهذه المهمة التي نجد عرضها من خلال هذه
 الصور الأربع المتكاملة المتناسقة : العباداة ، الأمانة ، الخلافة ، العمارة . وكل واحد
 من هذه التعبيرات يُعبّر عن المهمة ذاتها من جوانبها المختلفة .

والإنسان يؤدي هذه المسؤولية من خلال الابتلاء الذي كتبه الله على بني آدم ،
 ليُمَحِّصَ الله كل إنسان وكل أمة ، ولتقوم الحجة له يوم القيامة أو عليه . والله أعلم بما في
 سريرة كل إنسان . ولكن رحمة الله وحكمته ، وقضائه وقدره ، قضت أن تقوم الحجة
 ليراها الإنسان نفسه . فالابتلاء في الحياة الدنيا قضى به الله ليمضي من خلال سعي
 الإنسان وجريه في الحياة الدنيا :

﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾ الذي خلق الموت والحياة
 ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ﴿ الملك : ١ ، ٢ ﴾

يجب توعية المسلم لهذه الحقيقة ، لهذه المهمة العظيمة التي خلقه الله لها في الحياة
 الدنيا .

يجب غرس ذلك في قلبه من خلال الآيات والأحاديث ، ليعلم مهمته ومسؤوليته
 علماً يقينياً نابعاً من إيمانه مرتبطاً به . وليعلم كذلك أن مرجعه إلى الله محاسب عن هذه
 المسؤولية . فهو لم يُخلَق عبثاً لا في الدنيا ولا في الآخرة . فتمتد في قلبه ووعيه مسؤولياته
 وهو يصاحب منهاج الله مصاحبة عمر وحياة . وإذا صدق إيمانه نهض إلى هذه
 التكاليف بحافز إيماني ، وهب ليوفي عهده مع الله سبحانه وتعالى ، صابراً على ما يلقاه
 من عنبٍ ومعاناة ، مطمئناً بذكر الله :

﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا
 الألباب ﴾ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾ والذين يصلون ما أمر

الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب * والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية ويدرون بالحسنة السيئة أولئك هم عقبى الدار * جنّات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعمى عقبى الدار ﴿﴾ [الرعد : ٢٤]

من ظل هذه الآيات نلمح المؤمن في صورة جليلة ، وهو ماض ليوفي بعهده مع الله : يصل ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشى ربه ويخاف سوء الحساب ، بمضي صابراً يبتغي وجه ربه ، ويقيم الشعائر وعلى رأسها الصلاة ، ويتفق في سبيل الله سرّاً وعلانية ، ويدفع السيئة بالحسنة .

إنها صورة تمثل العمل الصالح في الأرض وهو يمتد في ممارسة إيمانية عظيمة ، حتى كأن هذه هي مهمة الإنسان التي عرضناها قبل قليل من خلال تعبيرات . إنها هي المهمة نفسها ، ترد تفصيلاتها في كتاب الله ، لتبين كيف تكون العبادة ممتدة في حياة الإنسان في جميع ميادين حياته ، وكيف يكون الوفاء بالأمانة والخلافة ، وكيف تكون عمارة الأرض بحضارة الإيوان .

فنستطيع إذن أن نقول اليوم إن العهد مع الله والأمانة والخلافة والعمارة ، كل ذلك يعني : ممارسة منهاج الله في الواقع البشري . هذه هي الممارسة الإيمانية ^(١) .

فالممارسة الإيمانية إذن هي نهج ممتد يمثل امتداد العمل الصالح في واقع الحياة .

نستطيع الآن ، وقد عرفنا بصورة عامة مهمة الإنسان في الحياة الدنيا ، نستطيع أن نعيد ونوجز المسؤوليات والتكاليف التي تنشأ عن هذه المهمة : ^(١)

١ - التفكير واتخاذ القرار بالإيمان أو عدمه وتحمل مسؤولية كل قرار ونتيجته .

٢ - الإيمان والتوحيد ، إذا آمن وهداه الله ، والشهادتان .

(١) يراجع كتاب التوحيد وواقعنا المعاصر للمؤلف : الباب الثالث - الفصل الرابع .

(٢) يراجع كتاب بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية - للمؤلف : الباب الخامس .

٣ - الشعائر ، لتكون هي والشهادتان الأركان الخمسة .

٤ - تدبّر منهاج الله ودراسته دراسة منهجية صحيحة عمر وحياة، ودراسة الواقع ووعيه من خلال منهاج الله .

٥ - الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد ، وتبليغ رسالة الله إلى الناس .

٦ - المضي على «صراط مستقيم» لتحقيق الأهداف الربانية الثابتة في الواقع البشري ، وممارسة منهاج الله ممارسة إيمانية في كل ميدان يخوضه المؤمن ، من نفسه خاصة ، وبيته وأسرته ، ووظيفته وعمله وتجارته ، وغير ذلك ، ماضياً داعية يبلغ رسالة الله إلى الناس ويتعهدهم عليها .

أما الأهداف الربانية الثابتة فنوجزها بنقاط :

الدعوة إلى الله ورسوله ، التعهّد والتربية والتدريب ، بناء لجيل المؤمن ، الجهاد في سبيل الله ، أن تكون كلمة الله هي العليا ، وعمارة الأرض بحضارة الإيمان .

فالإيمان والتوحيد إذن ليس مجرد شعور وعاطفة فحسب ، وإن كانت العاطفة والشعور جزءاً منه ، ولا مجرد تفكير وتأمل ، وإن كان التفكير والتأمل جزءاً منه ، ولكن الإيمان والتوحيد مع هذا كله :

مفاصلة وحسم ،

وتكاليف والتزام ،

ومسؤولية وحساب .

لابدّ أن يعي المسلم هذه الحقائق في مدرسة الدعوة الإسلامية ، من خلال الآيات والأحاديث ، ومن خلال التأمل في الكون وتدبّر آيات الله فيه ، ومن خلال التدبّر في تاريخ الإنسان وسنن الله فيه ، ومن خلال الواقع وأحداثه وعبره حين يتدبّر ذلك كله من خلال منهاج الله ، ومن خلال ردّ الأحداث والأمور كلها إلى منهاج الله ردّاً أميناً واعياً .

* * * *

من خلال الواقع الذي يمرّ فيه المسلمون ، لابدّ من مسيرة محدّدة للخروج من الواقع المظلم إلى العزّة والقوّة ، العزّة بالله ، والقوّة بالإيمان والوفاء بالعهد والصدق مع الله .

ومن أجل ذلك ، من أجل هذه المسيرة ، من أجل ممارسة منهاج الله في الواقع البشريّ ممارسة إيمانيّة ، لابدّ من النهج والتخطيط حتى لا يظلّ العمل ردود فعل وارتجالات ، ولا شعارات وصراخاً ، ولا اضطراباً وقلقاً .

لابدّ من النهج والتخطيط الذي يقوم على دراسات جادة أمينة دقيقة ، دراسات جادة تقوم على أساس من منهاج الله وعلى وعي الواقع من خلاله .

إن هذه الدراسات يجب أن تمتدّ إلى جميع ميادين الحياة ، وأن تمتدّ مع الزمن كله لاتتوقف ، حتى تظلّ نامية متجدّدة تلبي حاجات الواقع المتجدد .

ومع نمو الدراسات وامتدادها تظلّ الأسس التي تقوم عليها الدراسات ثابتة ، حتى لا تنحرف الدراسات بالنهج ، وحتى لا تخرج عن « الصراط المستقيم » الذي أمرنا الله باتباعه وعدم الخروج عنه .

إن النهج والتخطيط ضرورة هامة في حياة المسلمين ، وفي مسيرة الدعوة الإسلامية ، على أن ينضبط النهج والتخطيط بالقواعد الربانيّة الأساسية التي تحميه وتغذيه . (١)

من هذه الدراسات التي استغرقت عدداً غير قليل من الكتب المنهجية في موضوعات متعددة خرجت النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، لتجمع في صورة مبسطة منهج هذه الدراسات وترابطها وتناسقها ، ولتوجه العمل والجهد على « الصراط المستقيم » وإلى أهداف محدّدة جليّة في الحياة الدنيا ، أهداف ربانيّة ثابتة ، تمتدّ إلى الهدف الأكبر والأسمى - اللجنة -

(١) يراجع كتاب « النظرية العامة للدعوة الإسلامية - نهج الدعوة وخطة التربية والبناء » الباب الثالث : الطبعة الثالثة . ، [ص : ٧١ - ص ١٠٤] للمؤلف .

ولا بد أن نوضح أن القضية ليست محصورة في حل مشكلاتنا في الحياة الدنيا ، وأن نخرج من ظلام الواقع إلى إشراقه العزة فيها . إنها تمتد إلى أبعد من ذلك . ولتوضيح الأمر نقول إنها ثلاث مسؤوليات عامة في وقت واحد ، تضي الثلاث معا دون انفصال .

أولاً : مسؤولية الفرد المسلم في أن ينجو من فتنة الدنيا حتى ينجو من عذاب الآخرة ، وحتى يدخل الجنة برحمة من الله .

ثانياً : مسؤولية الأمة المسلمة في أن تنهض من غفوتها لتخرج من ظلام الواقع إلى إشراقه العزة بالله .

ثالثاً : إخراج الناس من عبادة الأوثان والأهواء والعباد إلى عبادة الله وحده ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، والمضي على صراط مستقيم إلى أهداف ربانية ثانية تمتد إلى الهدف الأكبر والأسمى - الدار الآخرة ورضوان الله والجنة - .

كثير من الناس ينسى القضية الأولى والثالثة : ينسى أنه هو نفسه سيموت ، وأن الموت حق ، وأنه هو نفسه سيُبعث ويحاسب ، ويدخل الجنة أو النار . وأنه ليس أمامه إلا فسحة الحياة الدنيا لينجو بنفسه . وينسى كثير من المسلمين أنهم مسؤولون أفراداً وأمة عن إبلاغ الناس رسالة الله ، ودعوتهم إلى الإيمان والتوحيد وسائر مقتضياته ومسؤولياته .

هؤلاء الذين يموتون على الكفر ، والمسلمون لم يبلغوهم دعوة الله ورسالته ، ألا يحمل المسلمون جزءاً من المسؤولية عن هؤلاء ؟!

كيف يرضى مؤمن صادق الإيمان أن يرى الناس تتهاوى في جهنم وهم يموتون على الكفر ويظل مشغولاً عن هذه المسؤولية العظيمة ؟!

إن هذه المسؤوليات الثلاث تضي مترابطة معاً ، متماسكة ، لا يجوز فصل واحدة عن الآخرين .

إن هذا يعني أن مسؤولية الأمة كلها لا يمكن أن تتحقق إلا إذا تحققت المسؤولية الفردية للمسلم ، حين يعي ما عليه من تكاليف سيحاسب هو نفسه عليها .^(١)

من هنا يأتي دور النهج والتخطيط ، والإدارة والنظام ، ودور النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، لتذكر هذه كلها بهذه المسؤوليات وبتربطها وتناسقها ، ولوضع الخطة العملية والمناهج التطبيقية لتحقيق ذلك في الواقع البشري .

فإلى سبيل الله أيها المسلمون ، إلى الصراط المستقيم ، لنستقيم عليه ونتوب إلى الله :
﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير . ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾
[هود : ١١٢ ، ١١٣]

وكذلك :

﴿ ... وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [النور : ٣١]

(١) يراجع كتاب «منهج المؤمن بين العلم والتطبيق للمؤلف : الباب الخامس - الفصل الثالث وكتاب «بناء الأمة المسلمة الواحدة . . .» للمؤلف - الباب الخامس .

الفصل الثاني الجيل المؤمن والصراط المستقيم

﴿اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليكم ولا الضالين﴾ [الفاتحة : ٦ ، ٧]

الصراط المستقيم هو النهج الرباني الذي أمر الله عباده أن يسلكوه ولا ينحرفوا عنه ،
لينجوا في الدنيا وينجوا في الآخرة :

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ
سَبِيلِهِ ذَلِكَ وَمَا كُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٣]
وكذلك :

﴿وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾
[الأنعام : ١٢٦]

ولا يُعقل أن يأمرنا الله سبحانه وتعالى باتباع صراطه المستقيم ، دون أن يبينه لنا بياناً
شافياً لا يترك حجة لضعف المنحرف أبداً ، ودون أن يفصله تفصيلاً يقطع الطريق على كل
مجادل بالباطل .

إن الله رحيم بعباده ، لا يظلم أبداً ، ذو مغفرة للناس على ظلمهم ، فيسّر برحمته
للإنسان كل ما يحتاجه ليهتدي إلى الصراط المستقيم ، وكل ما يحتاجه لاتباعه والتزامه
وجعل مع ذلك الميول والشهوات ابتلاءً منه سبحانه وتعالى ، حتى يُمحّص عباده ، وهو
أعلم بهم ، وحتى تقوم الحجة من خلال الابتلاء والتمحيص للإنسان أو عليه .

وقدّر الله أن تكون المعركة الأولى للإنسان مع نفسه ، في صراع بين الحق الذي ولد

عليه في فطرته ، وبين نزعات الشهوات التي غرست فيه ، على موازنة دقيقة أمينة ، ينظمها الإيمان المغروس في الفطرة بين مختلف الميول والغرائز والقوى العاملة في داخل الإنسان .

وعلى أساس من ذلك كله ، وضع الله على الإنسان مسؤوليات وتكاليف أمره أن ينهض إليها ليفي بها .

وهذه التكاليف هي محور الأمانة التي حملها الإنسان ، وأساس العهد الذي أخذه الله من بني آدم . فأصبح الإنسان مكلفاً بالوفاء بعهده مع الله ، وبالأمانة التي يحملها .

فمن أهم ما يجب على المسلم أن يعرفه إذن التكاليف الربانية الملقاة على عاتقه ، والتي هي محور الصراط المستقيم الذي أمر باتباعه ، والتي سيحاسب عليها بين يدي الله .

إن المسؤوليات تبتدىء بواجب التفكير ، التفكير الواعي النابع من الفطرة ومن القوى التي أودعها الله فيها ، ليقرر الإنسان نفسه أيؤمن أم يكفر وليتحمل مسؤولية قراره بعد ذلك .

فإن آمن بدأت مسؤولياته الأخرى التي تبتدىء بالأركان الخمسة : الشهادات والصلاة والصوم والحج والزكاة . ثم تتوالى المسؤوليات والتكاليف الربانية وتمتد : طلب العلم ، وأساسه المنهاج الرباني - قرآناً وسنة ولغة عربية - ، ثم تبليغ رسالة الله إلى الناس لإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة الأوثان والأهواء والعبادة إلى عبادة الله وحده ، الله الذي لا إله هو له الأسماء الحسنى . وتمضي التكاليف بعد ذلك وتمتد .

والنظرية العامة للدعوة الإسلامية تُبرز الخطوط العامة لهذه المسؤوليات في الرسم الهيكلي لها ، وتبرز تفصيلات المسؤوليات في دراساتها المختلفة .

إنها تعرض صورة واضحة «للسراط المستقيم» الذي أمر الله عبادة باتباعه ، وتعرض التكاليف الواجبة على المسلم وعلى الأمة أثناء المضي على هذا الصراط المستقيم ، ليكون ذلك كله نهجاً متداً من نقطة الانطلاق إلى الهدف الأكبر والأسمى - الدار الآخرة ورضوان الله والجنة - .

وإذا تحدّد « الصراط المستقيم » : نقطة انطلاق ، ودرباً ممتداً جلياً ، تحدّد كذلك معنى « في سبيل الله » ، ليظلّ عمل المؤمن على هذا الصراط المستقيم ، على هذا الدرب ، متجهاً إلى الهدف الأكبر والأسمى .

مهما حمل العمل من زخرف وزينة ، ومظاهر مغرية من الحسن ، والخير الظاهري ، فهو غير مقبول عند الله إذا خرج عن الصراط المستقيم ، ولم يرتبط بالهدف الأكبر والأسمى . ذلك لأن ارتباط العمل والقلب بالهدف الأكبر والأسمى يحدّد النية ويجعلها خالصة لوجه الله ، والمضيّ على الصراط المستقيم الذي فصله الله سبحانه وتعالى في المنهاج الرباني هو الذي يجعل العمل مطابقاً لمنهاج الله . وهذان هما الشرطان الضروريان في أيّ عمل حتى يقبل عند الله :

أولاً : صدق النية وإخلاصها لله سبحانه وتعالى ، كما بيّنت لنا ذلك الآيات والأحاديث :

﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ [الأنعام :]

﴿ قل، إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له ديني ﴾ [الزمر : ١١]

﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني ﴾ [الزمر : ١٤]

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ [الزمر : ٢]

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ [البينة : ٥]

وعن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ من عمله ما نوى . . . » [رواه الشيخان] ^(١)

(١) البخاري : ١ / ١ / ١ ، ٥٤ / ٤ / ٢ ، وفي كتب أخرى من صحيحه . مسلم : ١٩٠٧ / ٤٥ / ٣٣ .

ثانياً: أن يكون العمل مطابقاً للكتاب والسنة ، فإن خالفها فهو مردود على صاحبه لا يقبله الله :

« من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ » [رواه الشيخان وغيرهما] (١)

لا بد إذن من توافر الشرطين معاً في وقت واحد ، حتى يقبل العمل عند الله . فإذا فسدت النية بطل العمل ، وإذا خالف العمل منهاج الله بطل كذلك .

هذه قضية أساسية في التصوّر الإيماني ، وفي التربية والبناء ، وفي الإعداد والتدريب . ولا بد أن تأخذ مدرسة الإسلام ، مدرسة الدعوة الإسلامية ، هذه القضية أخذاً جاداً في نهجها ومناهجها ، وفي النهج والتخطيط ، حتى ترسخ هذه القاعدة في العقول والقلوب والنفوس ، وحتى يسهل على المسلم ممارستها في واقع الحياة .

وكيف تصدق النية وتخلص لله سبحانه وتعالى حتى يُقبل العمل عند الله ؟!

وكيف يكون العمل مطابقاً لمناهج الله حتى يُقبل عند الله ؟!

إن أساس هذين الشرطين هو صدق الإيمان والتوحيد . فإذا صدق الإيمان صدقت النية وأخلصت لله سبحانه وتعالى . وإذا صدق الإيمان والتوحيد ، استجابت الفطرة السوية السليمة إلى أمر الله ، وهُرعَتْ إلى التكليف الربانية ، تنهض إليها لتوفّي بالتزامها العهد والأمانة .

وكيف يعرف المسلم التكليف الربانية بصورتها الحقيقية دون مغالاة أو قصور أو انحراف ؟!

إن مصدر ذلك هو مصدر رئيس واحد ، هو منهاج الله - قرآناً وسنةً ولغة عربية - ينهض المؤمن الصادق إليه بعزيمة وقوة ، ولهفة وشوق ، ليتدبره ويعي منه التكليف الربانية التي وضعها الله في عنقه ، والتي سيحاسب عليها بين يدي الله يوم القيامة .

(١) البخاري : ٢٦٩٧/٥/٥٣ ، مسلم : ١٧١٨/٨/٣٠ ، أبو داود : ٤٦٠٦/٦/٣٤ ، ابن ماجه المقدمة ١٢/ . ابن حبان : تحقيق أحمد محمد شاكر : (ص: ١٦٢-١٦٤) .

يُقْبَلُ المؤمن على مناجاة الله ليتدبَّره تدبُّراً واعياً ، ليدرك مسؤولياته ، وهو يعلم خطورة الأمر وأهميته . يعلم ذلك من إيمانه الصادق وتوحيده الصافي لله سبحانه وتعالى .

فإذا وجد المؤمن عقبات في الواقع ، أخذ يجاهد حتى يزِيل هذه العقبات دون أن يستسلم لها . ذلك لأن طلب العلم بمناجاة الله مسؤوليته هو أولاً : فذلك فرض فرضه الله عليه ، لا مجال للتخلف عنه ولا للتقصير فيه في حدود وسعه الصادق :

فعن أنس عن النبي ﷺ قال « طلب العلم فريضة على كل مسلم . وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء ، حتى الحيتان في البحر » [رواه ابن عبد البر في العلم] (١)

طلب العلم فريضة على كل مسلم . والذي فرض طلب العلم هو الله سبحانه وتعالى ، وبلغنا رسوله ﷺ هذا الفرض والأمر والتكليف .

الذي فرض طلب العلم هو الله سبحانه وتعالى ، وهو الذي فرض الصلاة والشعائر كلها ، وهو الله الذي فرض سائر التكاليف الربانية ، وربَّها ترتيباً جلياً .

الإيمان والتوحيد يدفعان المسلم إلى الشهادتين وإلى الشعائر كلها ، لتكون هذه هي الأركان الخمسة التي يقوم عليها الإسلام ، وتقوم عليها سائر التكاليف الربانية :

فعن عبدالله بن عمر عن الرسول ﷺ :

بني الإسلام على خمس : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »

[رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي] (٢)

نعم ! بُنِيَ الإسلام على خمس . فهذه الخمس هي أساس البناء وأركانه . وعليها يقوم سائر البناء ، أو سائر التكاليف الربانية . ولا تُقْبَلُ التكاليف عند الله دون الأساس

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (ط : ٣) : (رقم : ٣٩١٤) .

(٢) المصدر السابق : (رقم : ٢٨٤٠) .

والأركان . فمن هذه الأسس والأركان القائمة على صدق الإيمان وصفاء التوحيد ، تنطلق النية الخالصة لله سبحانه وتعالى .

وبهذه النية الخالصة لله سبحانه وتعالى يُقبل المسلم على كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ ، كما جاء باللغة العربية ، إقبال شوقٍ ورغبة بحافزٍ إيمانيٍّ لبحث عن التكليف الأخرى مفصلةً في منهاج الله ، ثم ينطلق إلى هذه التكليف طاعة لله وعبادة له واستجابة لأمره .

من هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ندرك بيسر وسهولة معنى «الصراط المستقيم» كما بيّنه لنا منهاج الله .

فنقطة الانطلاق هي النية الصادقة النابعة من الإيمان والتوحيد ، ثم يمتد الصراط المستقيم بالأركان والأسس ، بالشهادتين والشعائر ، ثم يمتد الصراط المستقيم مباشرة إلى طلب العلم بمنهاج الله - قرآنًا وسنةً ولغة عربية - دراسةً وتدبراً وحفظاً ، دراسةً منهجيةً صالحةً عمر وحياة .

وبهذه الانطلاقة على «الصراط المستقيم» : بالنية الصادقة ، والشهادتين والشعائر ، وتدبرٍ منهاج الله ، يتوافر الأساس الضروري لتحقيق الشرط الثاني لقبول العمل ، ألا وهو مطابقته لأحكام منهاج الله . فتدبرٌ منهاج الله يعرف المسلم مسؤولياته وحكمها وفقهها ، ويصبح عمله ، إذا صدق ، مطابقاً لأحكام منهاج الله . وبذلك يتوافر الشرطان الضروريان لقبول العمل عند الله سبحانه وتعالى . وينطلق بذلك المسلم إلى العمل وهو مزود بالزاد الحق .

ويمتد «الصراط المستقيم» بعد ذلك ، حين ينهض المسلم إلى سائر التكليف الربانية ، مزوداً بالزاد الحق ، صادق النية ، واعياً للدرب ، راکضاً إلى أهداف ربانية ثابتة جليلة .

ويمتد «الصراط المستقيم» بالسعي إلى تحقيق هذه الأهداف الربانية الثابتة في

الواقع البشري ، بحافز إيماني ، ماضياً إلى الهدف الأكبر والأسمى - الجنة ورضوان الله والدار الآخرة .

ولا بد هنا من وقفة مع ظلال « النية » ومعناها وحكمها وأثرها في حياة المسلم .

النية طاقة عظيمة ، تبعث الوعي واليقظة في حياة المسلم ، وتُذهِبُ عنه الغفلة ، والغفوة والخدر . إنها تحصين متين ضد الخدر وضد الغفلة وضد وسوسات الشيطان . إنها نعمة من الله على المؤمن لتكون النية وما يرتبط بها حارساً بإذن الله للمؤمن .

والنية ليست تمتمة شفاه ، ولا حركة رؤوس . ولكنها حركة في ضمير المسلم ، وقوة في نفسه وداخله ، وطاقة في وعيه وعقله .

والنية الصادقة توفر هذا كله لأنها تعني أن المسلم يمضي على هدى ونور ، بعد أن عرف أهدافه في الحياة هدفاً هدفاً ، وعرف أن هدفه الأكبر والأسمى هو الجنة ورضوان الله والدار الآخرة ، وبعد أن عرف الدرب الذي يوصل إلى الأهداف ليلبغها ، والذي يربط الأهداف فيما بينها ويربطها بالهدف الأكبر والأسمى ، بعد أن عرف أن هذا الدرب هو « الصراط المستقيم » الذي بينه الله لنا وفصله في كتابه المبين .

وإذا مضى المسلم على « هذا الصراط المستقيم » ، كان عمله بإذن الله « في سبيل الله » بعد أن توافرت كافة الشروط الإيمانية لذلك ، فتصدق نيته عندئذ وقد عرف الدرب والأهداف ، وصدقت عزيمته بالمضي على الصراط المستقيم دون توقف ولا انحراف .

ويصبح عمل المسلم بذلك عملاً منهجياً غير ارتجالي ولا هو ردود فعل ، ولا هو تيه ولا حيرة ولا تردد . إنه نهج وتخطيط ابتداء بالنية الصادقة ثم تحديد الدرب التي توصل إلى الأهداف ، وتحديد الوسائل والأساليب ، وكل أسس النهج والتخطيط !

إن المؤمن لا تُخَذَّرُ الشعارات إلا حين تكون هي في اتجاه ، وعمله ومسيرته في اتجاه آخر ، ولارصيد للشعارات في الواقع . لا تُخَذَّرُ الشعارات حين يكون محصناً قوياً بالإيمان والعلم والنهج الذي يرسم الدرب كله .

إنه ماضٍ على « صراط مستقيم » لاتفته الزخارف والزينة على جوانب الطريق لتخرجه عن الطريق وتحرفه عنه أو توقفه وتعطله .

إنه مطمئنٌ يشعر بالأمن والأمان ، وهو في حمى الرحمن ، على « صراط مستقيم » لايزيغ عنه إلا هالك . إنه مطمئن لصدق نيته وصدق عزيمته ولأنه عرف الأهداف والدرب ، والبداية والنهاية . فأَيُّ أمن أوسع من ذلك ، وأيُّ أمان أوثق ، وأيُّ اطمئنان أشد :

﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾
[الأنعام : ٨٢]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لقد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض » [رواه الحاكم ^(١)]
والمسلم ، حين يمضي على « الصراط المستقيم » ، مستوفياً كافة الشروط الإيمانية :
نهجاً وخطوة ، علماً ويقظة ، فإنه لا يُخدَع ولا يستدرج لباطل ولا يفتن ، وإذا أخطأ فإنه يتوب وينيب ، ويظلُّ على خير في كل أحواله ، ذاكراً لله سبحانه وتعالى ، بقلبه ولسانه وعمله ، يحميه الله ويحفظه الله :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ :

« المؤمن غرٌّ كريم . والفاجر خب لئيم » [رواه أبو داود والترمذي والحاكم ^(٢)]

وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لست بالخب ولا الخب يخدعني » . وعن ابن عباس عن النبي ﷺ : « المؤمن بخير على كل حال تُنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله » [رواه النسائي ^(٣)]

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (ط : ٣) - (رقم : ٢٩٣٧) .
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (ط : ٣) - (رقم : ٦٦٥٣) .
(٣) صحيح الجامع الصغير (رقم : ٦٦٥٢) .

وعن عبدالله بن بسر أن رجلاً قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي ، فأخبرني بشيء أتشبّث به ، قال : « لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى . »

[رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم ^(١)]

وتأتي الآية الجامعة تصف المؤمنين والمؤمنات وهم يمضون على الصراط المستقيم :

﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾ [التوبة : ١١٢]
وكذلك الآية الجامعة :

﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً ﴾ [الاحزاب : ٣٥]

وتتوالى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تبين خصائص المؤمنين وهم يمضون على الصراط المستقيم « وتفصلها تفصيلاً دقيقاً . ولا نستطيع أن نجمع ذلك كله هنا ، ولكن هذه الخصائص بتفصيلاتها يجب أن تُدرّس وتُحفظ ، وتوضّع المناهج التربوية لتحقيقها في الإنسان المؤمن وتدريبه عليها في مدرسة الإسلام .

ولن نجد هذه التفصيلات إلا في منهاج الله - قرآناً وسنة ولغة عربية - بالأسلوب الرباني المعجز ، الميسر للذكر .

نؤكد ثانية أنها مسؤولية الطاقة البشرية لوضع النهج والتخطيط لكل مرحلة وخطوة ولكل ميدان ، من أجل تحقيق هذه الخصائص الربانية الإيمانية في «الجيل المؤمن» الذين يمضي على «الصراط المستقيم» يحمل الأمانة التي سيحاسب عليها .

(١) المصدر السابق : (رقم : ٧٧٠٠) .

لابدّ من المضي على « الصراط المستقيم » حتى يدرك المسلم الهدف الأكبر والأسمى - الجنة - فلا يوجد سبيل آخر لبلوغ ذلك . إنه السبيل الوحيد .

وقد جعله الله سبيلاً واحداً حتى يتميز بيسر وسهولة عن السبل الأخرى ، فلا يضلّ عنه المؤمن ، ولا تختلط عليه الدروب والطرق .

وقد جعله الله سبيلاً واحداً ، وجعل للكافرين سُبلًا شتى متعددة ، حتى يجتمع المؤمنون على درب واحد ، ليكونوا أمة واحدة ، أمة مسلمة واحدة ، لا أحزاباً متفرقة متصارعة .

وقد جعله الله سبيلاً واحداً مشرقاً بيتاً واضحاً حتى تقوم الحجة على من يتركه أو ينحرف عنه ، أو يتوقف ولا يتابع ويمضي .

ومع هذا المضي على « الصراط المستقيم » يكون البذل والجهد والمعاناة ، ويكون « التدريب المستمر » الذي تنمو به الخبرة والزاد والتجارب .

ومع هذا المضي بشروطه الكاملة يتميز الجهد والبذل بأمرين أساسيين مع النية واتباع منهاج الله ، هما : الإتيان والإحسان :

فعن عائشة رضي الله عنها عن الرسول ﷺ قال : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » . [رواه البيهقي في شعر الإيثار] (١)

وكذلك :

عن شداد بن أوس عن الرسول ﷺ قال :

« إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرْح ذبيحته » [رواه أحمد ومسلم] (٢)

إن المضي على الصراط المستقيم ، مع نمو الزاد والخبرة سيوفر هذين الأمرين : الإتيان والإحسان .

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (رقم : ١٨٨٠) .

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم : ١٧٩٥)

وعلى هذا الصراط المستقيم قد يتعرض المسلم لخطرين : التوقف والانحراف .
والتوقف يُعطل متابعة الأهداف الربانية وتحقيقها تعطيلًا يتعارض مع وفاء الداعية
المؤمن بعهدته مع الله . فالداعية تقدم بنفسه إلى حمل أمانة الدعوة والمضي بها ، فإن
توقف فقد أساء وظلم وحسابه عند الله .

والأساس أن يكون كل مسلم داعية إلى الله ورسوله على قدر وسعه وطاقته وفي
ميدانه ، على الصراط المستقيم ، إلا من قصر به وسعه عن ذلك .

أما الانحراف عن « الصراط المستقيم » فهو الهلاك والضياع ، فلا يقبل من أحد
عمل إلا أن يتوب ويعود إلى « الصراط المستقيم » . وأنى لمن انحرف وخرج عن
الصراط المستقيم أن يبلغ الهدف الأكبر والأسمى .

إن التوقف يعني توقف الزاد . فزاد الداعية زاد نام يمضي لينمو الإتقان والإحسان في
العمل كله . إن التوقف عن المضي على الصراط المستقيم يولد صورة أو أكثر من صور
التراجع ، والتراجع يزيد فقد الزاد وينقص العطاء وقد يدفع هذا وذاك إلى الانحراف ثم
الهلاك .

إن هذا السبيل الوحيد للمؤمنين ، الصراط المستقيم ، يمضي عليه المؤمن وهو
مطمئن واثق بالله صادق التوكل ، حين يرافقه في مسيرته كلها زاد عظيم وعدة عظيمة
تهبه القوة والثبات والقدرة على المضي بإذن الله . هذا الزاد وهذه العدة التي ترافق المؤمن في
مسيرته كلها ، مسيرته المنهجية ، نوجزها بما يلي :

١ - صدق النية وإخلاصها وتجديدها حتى تظل مصاحبة للمؤمن من نقطة
الانطلاق حتى لقاء الله ، وكذلك الشعائر .

٢ - مصاحبة منهاج الله مصاحبة عمر وحياة ، مصاحبة منهجية ، تلاوة وحفظاً
وتدبراً ، ومصاحبة المنهاج الفردي .

٣ - ذكر الله مع كل خطوة ، حتى يدفع ذكر الله الخطوات كلها على الصراط

المستقيم في سبيل الله دون توقُّف ولا انحراف ، وحتى تكون كل خطوة ، هي نفسها ،
ذكرًا لله غنيًا بالقلب واللسان والعمل .

إن هذا الزاد الغني الكريم يجمع المؤمنين على وعي وبصيرة على الصراط المستقيم :
﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما
أنا من المشركين ﴾ [يوسف : ١٠٨]
وكذلك :

﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عن
سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ [الأنعام : ١٥٣]

٤ - مجاهدة النفس ابتداء من نقطة الانطلاق حتى لقاء الله . ومجاهدة النفس تعني
مراقبتها ومحاسبتها وردّها إلى منهاج الله حتى يكون هواها تبعاً لما جاء به محمد ﷺ ،
وحتى يكون رسول ﷺ أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ، وحتى يكون الله
ورسوله أحبّ إليه مما سواهما . إنها مجاهدة للنفس ماضية .

فعن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال : « المجاهد من جاهد نفسه في الله »
[رواه الترمذي وابن حبان ^(١)]

(١) الترمذي : ١٦٢١ / ٢ / ٢٣ . صحيح الجامع الصغير زيادته : (ط : ٣) - (رقم : ٦٦٧٩) .

الفصل الثالث

هل المسلمون اليوم قادرون

على بناء مصنع الأجيال المؤمنة

لقد سبق أن عرضنا موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية في عدد من الكتب التي صدرت ، وجاءت تفصيلات كل جزء منها في سائر الكتب . ويإيجاز فإن جميع الكتب التي صدرت تمثل « النظرية العامة للدعوة الإسلامية » موجزاً وتفصيلاً ، وسترتبط الكتب التي تصدر بعد ذلك بهذه النظرية العامة . فالكتب والدراسات جميعها كتبت منهجية ، تعرض النظرية والنهج ، وتعرض كذلك المناهج التطبيقية والنماذج العملية ، سواء أكان ذلك في الفكر والتصور ، والإيمان والتوحيد ، أم مشكلات الواقع الفكرية وأحداثه ووقائعه ، أم الأدب وقضاياها ، أم الفقه وامتداده ، أم الدعوة والبلاغ ، أم التربية والبناء ، أم النهج والتخطيط والإدارة والنظام ، وغير ذلك .

ولكننا نقدم موجز النظرية العامة في هذا البحث ، بناء على طلب بعض الإخوة أن يُعرض موجز هذه النظرية في كتاب خاص به ، حتى يسهل دراسة هذا الموجز ، ثم يعود من يشاء إلى تفصيلاتها في كتبها الأخرى .

ومن المفروض أن تمتد الدراسات المنهجية القائمة على أسس راسخة ثابتة ، نابعة من المنهاج الرباني ، مرتبطة به مع امتدادها ، ملبية لحاجات الواقع ، لتمثل في ذلك كله ناحيتين هامتين : المضي على الصراط المستقيم ، الذي بينه الله لنا وفصله ، والنمو والتطور في الجهد البشري على أساس من الإيمان والتوحيد ومنهاج الله ، النمو والتطور الذي نسميه ونصطلح عليه : « بالإتقان والإحسان » .

ومن خلال هذا النهج المتناسك نستطيع أن نستفيد من التجارب البشرية المفيدة في ميدان الصناعة والعلوم التطبيقية ، لنعيد صياغتها ونهجها وأهدافها ، لتصبح جزءاً من

النهج الإيماني الحق . أما بالنسبة للتصورات المتعلقة بالحياة والموت ، والكون وآفاقه ، فنحن -المسلمين- نملك التصور الحق الذي أمرنا أن نبْلِّغه للعالم كله ، للناس كافة ، وأن نجاهد من أجل ذلك في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالقوة والعزّة ، وبالقتال إذا استدعى أمر الله ذلك وتوافرت شروطه الإيمانية .

إن الدعوة الإسلامية مدرسة للإنسان ومصنع للأجيال ، تمضي مع الزمن كله لاتتوقّف ولا تتعطّل ، تقذف بالأجيال المؤمنة مع الدهر مواكب متتابعة مترابطة ، لتنشر الحق والعدل في الأرض كلها ، وتنشر الأمن والأمان والسلام ، والصلاح والخير ، والطهر والحرية الأمانة والمساواة العادلة ، ولتتعارف الشعوب في الأرض تحقيقاً لأمر الله ، في ظل الإيمان والتوحيد وإعلاء كلمة الله لتكون هي العليا ، وليكون عندئذ خير الناس وأكرمهم عند الله أتقاهم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣]
وكذلك :

﴿ ... وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠]

على هذا الأساس يجب أن يكون تعارف الشعوب ، على أساس التقوى ، ولتكون التقوى هي أساس الموزانة والمفاضلة ، وليكون الأتقى هو الأكرم عند الله .

وعندما تمضي الدعوة الإسلامية على أسسها الربانية ، فإنها تحقّق بإذن الله ، التكاليف الربانية والأهداف الإيمانية في الواقع البشري ، حين تصبح كلمة الله هي العليا وشرعه هو الذي يسود ويحكم .

ذلك كله لمنع الفتنة والفساد في الأرض ، وإيقاف الجرائم ، وتجفيف منابع الكفر ، ليشرق الإيمان والتوحيد في القلوب وكذلك في الأرض ، خيراً وبشرى وعزّة للإنسان .

لقد أراد الله أن يتبلي الإنسان في الحياة الدنيا بهذه المسؤوليات والتكاليف لِيُمَحِّصَهُ ، ولتقوم الحجة له أو عليه يوم القيامة ، والله أعلم به ، بما يعمل وبما ينوي ، بما يعلن وبما يُسِرُّ . أراد الله لحكمة يعلمها أن يمضي ذلك بالجهد البشري ، بالطاقة البشرية ، ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً ، ومنع الفساد في الأرض :

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠]

إنها مسؤولية الطاقة البشرية أن تضع كافة ما وهبها الله من نعم وقوى عبادة الله وطاعة له ، لتحقيق هذه التكاليف الربانية ، لنشر الصلاح في الأرض ، والأمن والعدل ، ولدرء الفتنة والفساد والإفساد ، ولجمع الناس والشعوب على كلمة الإيمان والتقوى ، والتوحيد والعمل الصالح ، ليسعد الناس في الأرض ، في الحياة الدنيا ، بعد أن بين للناس طريق ذلك ووسائله ، ووفر لهم ما يحتاجونه لتحقيق ذلك .

إن البشرية كلها ، إن الشعوب كلها ، إن الإنسان حيثما كان وفي أي عصر كان ، إن الناس كافة ، بحاجة إلى الإسلام ، بحاجة إلى دعوة الإيمان والتوحيد ، بحاجة إلى منهج الله كله ، حتى ينجو الإنسان من فتنة الدنيا ، وينجو من عذاب الآخرة .

عندما يتصور الداعية المسلم الدار الآخرة حق التصور إيماناً و يقيناً لا خلل فيه ولا ريبة ، ويتصور أن الكافر الذي يموت على كفره سيُلْقَى في جهنم ، في عذابها ، خالداً مخلداً فيها ، حين يتصور المسلم هذه الحقيقة تصوراً صادقاً إيماناً و يقيناً ، فإنه لا يملك إلا أن ينطلق يدعو إلى الإيمان والتوحيد ، مستجيباً لأمر الله ، لينقذ الناس من عذاب جهنم ، ولينقذ نفسه وزوجه وولده وأرحامه وأهله جميعاً ، والناس جميعاً .

إن الداعية لا يدعو إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد ، في محاضرة فحسب ، أو كلمات يلقيها في مجلس طارئ ، أو كتاب يوضع على الرف ، ولكنه يتابع العمل في خطواته المتكاملة المترابطة . إنه ، بعد أن يبلغ ويدعو ، يتعهد ويربّي ، ويدرب ويبني ، ليمضي العمل نهجاً متكاملاً متماسكاً ، ترابط مراحل وأهدافه وساحاته ، لاتنزل مرحلة عن مرحلة ، ولا هدف عن هدف .

إنه العمل المنهجي الذي ينطلق من نقطة ، ثم يمضي على الصراط المستقيم الذي بيّنه الله لنا وفصله ، إلى هدف بعد هدف ، ثم إلى الهدف الأكبر والأسمى - الدار الآخرة ورضوان الله والجنة - .

إن هذا العمل كله ، بجميع خطواته ومراحله ، تكليف ربّاني ، وأمرٌ من عند الله وعلى المسلمين بعمامة ، وعلى الدعاة بخاصة . وعلى كل مؤسسة معنّية ، أن تضع النهج والخطّة لتنفيذ هذا التكليف الربّاني على ضوء الواقع الذي يمضي العمل فيه .

من هنا تنشأ ضرورة النهج والتخطيط على أسس ربّانية ثابتة . ومن هنا توضع النظرية في هذا الميدان أو ذاك ، من خلال الجهد البشريّ المؤمن ، لتيسير الممارسة الإيمانية بشمولها وامتدادها ، وممارسة منهاج الله في الواقع البشريّ في كل ميدان مهما صغر أو امتدّ وكبر .

المسلم الفرد مكلف بتطبيق منهاج الله في حدود مسؤولياته التي سيحاسبُ عليها يوم القيامة . والأسرة مكلفة كذلك بتطبيق منهاج الله في بيتها وشؤونها وفي علاقات أفراد الأسرة ومسؤولياتهم . والأمة كلها مطالبة بذلك ، وكل مسلم مطالب بذلك : فالمهندس يجب أن يمارس منهاج الله عن إيمان وعلم في واقع عمله الهندسي ، والطبيب في طبّه والتاجر في تجارته .

والدعاة كذلك مطالبون بتطبيق منهاج الله في نشاطهم ودعوتهم ، وفي النهج والتخطيط لذلك ، وفي الإدارة والنظام ، وفي تحديد الرأي والموقف ، وغير ذلك من أوجه النشاط .

هكذا يبرز دور الجهد البشريّ المؤمن في ممارسة منهاج الله في الواقع البشريّ في جميع ميادين وحالاته ، وتوضح المسؤولية ، مسؤولية الفرد والجماعة والأمة ، ويتضح لنا «الصراط المستقيم» الذي بيّنه الله سبحانه وتعالى لنا ، حتى يسير المؤمن على بيّنه ونور .

من خلال هذا الجهد في الدراسات على أساس من الإيمان والتوحيد ومنهاج الله ، تطرأ مصطلحات جديدة لتعبّر عن خطوة أو نهج ، أو فكر أو عمل ، حسب ما يتطلبه الواقع الذي ندرسه من خلال منهاج الله . وإننا لنرى مثل ذلك في جميع مراحل التاريخ

الإسلامي ، حين ينطلق علماء المسلمين والأئمة الأعلام في دراساتهم وأبحاثهم في ميادين مختلفة من الحياة ، يثرون التاريخ بزاد كريم من الفكر والمصطلح والنظريات .

ولا بد أن يستأنف المسلمون مسيرتهم في يقظة وإفاقة ، ونية وعزم ، وإرادة وتصميم ، وإيمان ويقين .

إنها مسؤولية المسلمين أنفسهم ، مسؤولية كل مسلم في الأرض ، ثم تشتد المسؤوليات كلما ارتفع مستوى المسلم ووسعه ، وكلما ارتفع مكانه ومركزه . وأشد الناس مسؤولية في الدنيا والآخرة الدعاة الذين قدّموا أنفسهم إلى الناس دعاءً ، وعاهدوا الله والناس على أن ينهضوا إلى ما أمرهم الله ، إلى بناء مدرسة الإسلام ، لتصنع الأجيال المؤمنة التي يريدها الله سبحانه وتعالى ، الأجيال المؤمنة التي تحمل الخصائص الإيمانية التي فصلها الله في المنهاج الرباني ، الأجيال المؤمنة التي وعدّها الله أن ينزل نصره عليها ، ويوفي بعهددها إن هي صدقت وأوفت بعهددها مع الله .

هل المسلمون اليوم قادرون على بناء مدرسة الإسلام ومصنع الأجيال المؤمنة ؟

هل المسلمون اليوم قادرون على النهوض إلى الأمانة التي يحملونها ليوفوا بها ؟!

إن هذا كله يحتاج إلى قلوب أخلصت لله وعزائم اشتدت وقويت في طاعة الله ، وقدرات تضيء الطريق بالدراسات الإيمانية والجهود الصادقة !

إن النظرية العامة للدعوة الإسلامية باب من أبواب هذه الدراسات المنهجية ، مع ما يرافقها من دراسات تفصيلية لكل بند من بنودها ، وجزء من أجزائها .

إن النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، بخطوطها العامة ، توجه الجهود وتوضح الدرب . إنها صورة من صور النهج والتخطيط الذي فقدناه طويلاً في حياتنا ، والذي لا بدّ أن نستأنف النشاط به اليوم ، لننفي عن أنفسنا الارتجال وردود الفعل وضياح الجهود والأوقات ! .



الباب الرابع

المسؤولية الفردية

الفصل الأول

جوهر المسؤولية الفردية ومحورها والأسس التي تقوم عليها

١ - «الأمانة» التي حملها الإنسان هي محور المسؤولية والحقوق والواجبات :

لماذا نطرح قضية المسؤولية الفردية اليوم؟! نطرحها لأن صورتها اضطربت في أذهان الكثيرين تحت ضغط الأفكار المتناقضة الوافدة ، ولأن الملايين من المسلمين تخلّوا عن مسؤولياتهم الفردية وأصبحوا مرتعاً خصباً لأعداء الله . ولأن حقوق الإنسان التي تطالب بها هيئات كثيرة عزلت هذه الحقوق عن المسؤوليات . والحقوق والمسؤوليات مترابطة لا يمكن فصل بعضها عن بعض إذا أردنا حياة متوازنة سليمة للإنسان ، فلا يستطيع الإنسان أن يوفي بمسؤولياته إذا جُرد من حقوقه ، ولا يستطيع أن يستوفي حقوقه إذا أضع مسؤولياته .

إن جميع حقوق الإنسان ومسؤولياته تنطلق من قاعدة رئيسة يقرها الإسلام ليميز بها الإنسان عن سائر مخلوقات الله . تلك القاعدة هي أن الإنسان يحمل أمانة في هذه الحياة الدنيا لا يحملها غيره من المخلوقات :

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴿ [الأحزاب : ٧٢ ، ٧٣]

ونعتقد أن هذه «الأمانة» هي ممارسة منهاج الله في واقع حياة الإنسان على الأرض وحين يحمل الإنسان هذه «الأمانة» ويمضي بها في الحياة الدنيا يتوب الله عليه ويغفر له ،

فهو من المؤمنين والمؤمنات . أما إذا ترك هذه «الأمانة» وتخلّى عنها فيكون ظلوماً جهولاً . إنه جاهل بعظمة هذه الأمانة ، ظالم لنفسه بتركها وظالم لغيره .

لذلك وهب الله الإنسان كل ما يلزمه لحمل هذه الأمانة ، وتميّز ببعض ذلك عن سائر المخلوقات ، كما تميّز عنها «بالأمانة» التي يحملها . ومن أهم ذلك السمع والبصر والفؤاد ، لتكون المنافذ التي يستقبل بها آيات الله المبثوثة في الكون ، ويستقبل بلاغ الأنبياء والرسل ، ولتظّل فطرته تتلقّى النور الفياض الذي يجلوها ، ويحافظ على توازنها ، فيعي الإنسان حقيقة الأمانة التي يحملها ، فيؤمن بها ويمضي للوفاء بها :

﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾

[الملك : ٢٣]

وحين تتعطل هذه القوى عن أداء مهمتها ، وتتغلق هذه المنافذ ويتوقف استقبالها للنور من آيات الله ومن بلاغ الأنبياء ، يهبط الإنسان إلى درك الأنعام بل إلى أضلّ من ذلك ، في غفلة وضياح وظلام :

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون﴾

[الأعراف : ١٧٩]

وتمضي الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة توضح قضية الإنسان ومهمته في الحياة الدنيا ومسؤولياته فيها . وإذا تدبّرنا منهاج الله فإننا نجد أن منهاج الله عبّر عن مهمة الإنسان ودوره في هذه الحياة الدنيا بأربعة ألفاظ ، كلّ منها يدلّ على نفس المهمة والدور والمسؤولية ، ولكن بظلال مختلفة . وهذه الألفاظ أو الكلمات هي : العباداة ، الأمانة ، الخلافة ، العمارة . ويُفصّل منهاج الله المهمة كلها وظلالها .

ثم يؤكد منهاج الله أن هذه المهمة والمسؤولية وظلالها المختلفة التي تمّدها الكلمات الأربع ، يمضي بها الإنسان من خلال سنّة الابتلاء التي كتبها الله على الإنسان ، ليمحصّه وهو أعلم به ، ولتقوم عليه الحجة يوم القيامة أو تقوم له .

ويؤكد منهاج الله أن هذه الأمانة والعبادة والخلافة والعبارة تتمثل بتكاليف ربّانية مفصلة بيّنها منهاج الله وبيّن أن هذه التكاليف تُمثّل الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه ، وأن هذه الصراط المستقيم هو سبيل الله ولا سبيل للمؤمنين سواه .

٢ - حقوق الإنسان منحة من الله ونعمة منه وليست منّة من البشر : (١)

فالإسلام ، وهو دين الله ورسالته إلى خلقه وعباده ، حمله الأنبياء والمرسلون الذين خُتموا بمحمد ﷺ ، وبلغوه وبيّنوه ليعالجوا به مشكلات الإنسان على الأرض ، وليدعوا الناس إلى الحق من عند الله لينجوا من عذاب الله في الآخرة ، وليستقيموا على أمر الله فيسعدوا في الدنيا ويأمنوا ، ويقوم بينهم ميزان العدل والأمن والحرية ، ميزاناً أميناً لا يقف عند الشعارات ، وليعيدوا إلى الإنسان حقوقه التي سلبها المجرمون في الأرض ، والتي شرعها الله رب العالمين .

س سلاماً يرعاه دينٌ وصيد	يارسول الهدى حملت إلى النا
كم أضاعته فتنة وجحودُ	أنت أرجعت لابن آدم حقاً
تاه في الدرب جائع وطريدُ	وعتاةً بغوا على الناس حتى
الحق ! سواه فباطل مردود	ياحقوق الإنسان ! هذا هو
لم تُشرّعه عصبة وعيْدُ (٢)	إنها منحة من الله حق



وحملت الأمة المسلمة بعد النبوة الخاتمة رسالة الله إلى عباده لتمضي بها في الأرض ممتدة مع الزمن جهاداً ووفاء بهذه الأمانة العظيمة .

وكان الإنسان وصلاحه ، حقوقه ومسؤولياته وواجباته ، لقاءه وفراقه ، تعاونه

(١) يراجع كتاب : «المسلمون بين العلمانيّة وحقوق الإنسان الوضعية» ، للمؤلف : الباب الخامس : (ص : ٢٩٦-٢٤١) . وكتاب : «التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الإنشاء الصادق إلى الإسلام» للمؤلف : الباب الثالث .

(٢) من ملحمة الأقصى للمؤلف - (ط : ٢) .

وخصامه ، محور هذه الرسالة الربانية العظيمة ، ليكون الإنسان عبداً صالحاً لله رب العالمين .

لا يعقل أن تكون حقوق الإنسان في الأرض ، في الحياة الدنيا ، منحة من إنسان أو هيئة أو سلطان ، أو ثمرة فلسفة بشرية يصوغها الإنسان من خلال ضعفه وجهله وكبره وغروره .

إن حقوق الإنسان نعمة من الله على الإنسان ، ومنحة منه له ، ورحمة من رب العالمين ، من الله الذي لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى كلها ، شرعها الله للناس جميعاً ، على مختلف المستويات والقدرات والمواهب ، حتى لا يتمييز الناس في ميزان الله بالأنساب والدم وأشباه ذلك ، ولكن يميزون بالوسع والموهبة والقدرات ، بالكفاءة والبذل والعطاء ، والتنافس في ميدان الحق والصالح في سبيل الله ، حين يضم ذلك كله التقوى الجامعة في ميادين الحياة كلها ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات : ١٣]

٣ - الحق الأول للإنسان : حماية فطرته ، وهو الحق الذي أهملته النظم البشرية : (١)

لقد كان من أهم ماعالجه رسالة الإسلام أخطر قضية في حقوق الإنسان ، وأول حق من حقوقه . إنه ذلك الحق الذي أهملته شرائع الناس ، وأهملت لجان حقوق الإنسان وجمعياتها وهيئاتها ، وقتلته وأخفته في طيات الشعارات والزخارف ، ودويّ الفتنة والفساد .

إن هذا الحق الأول للإنسان هو حماية فطرته التي فطره الله عليها ، والتي أودعها برحمته الإيمان والتوحيد ، وسائر الطاقات والميول ، لتعمل هذه الطاقات متصلة بالإيمان والتوحيد مبرورة من نبعه الغني ، وليكون عمل الإنسان بعد ذلك عملاً صالحاً . أما إذا انعزل العمل عن هذا النبع أو جفّ النبع فلم يروّه فيكون العمل فتنة وفساداً .

لذلك نرى أن الفلسفات التي أقامت نظمها في مختلف أنحاء الأرض ، لم تول

(١) يراجع كتاب : «المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية» الباب الخامس - الفصل الخامس من أجل تفصيلات موسعة عن هذا الحق الأكبر للإنسان . وكذلك كتاب «التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتباه الصادق إلى الاسلام» للمؤلف : الباب الثالث - الفصل الرابع .

قضية حماية فطرة الإنسان التي فطره الله عليها عناية ، ولم تحرص على توفير الجو الذي يحتضنها . بل على العكس من ذلك شوّعت الفطرة وأذتها وأفسدتها حين قطعت عنها ربيّ الإيمان والتوحيد ، وأحاطتها بالفتنة والفجور ، وألهبتها بالشهوات والأهواء ، وخدرتها بالسكر والخمور . أو أفسدتها بالرعب والإذلال ، والخنق والأغلال ، حتى انحرف السلوك ، وتاهت الكلمة أو اختفت .

إن هذا الحق الأول للإنسان هام وضروريّ . فمن خلاله يستطيع الإنسان أن يجابه الخطر لينجيّه الله بفضلّه ورحمته وعونه ، فأمام كل إنسان خطران حقيقيان لا وهم فيهما ولا يمكن أن يتجاهلهما إلا غاف أو تائه . هذان الخطران هما :

الأول : فتنة الدنيا بزيتها وزخرفها ، ومصائبها وما سنّ الله فيها من ابتلاء حقّ للإنسان .

الثاني : بعد النزول إلى القبر والدخول في عالم الغيب وحيداً منفرداً ، ليلقى حالاً جديداً ، وليلقى بعد ذلك البعث والحساب ، فإما إلى جنة وإما إلى نار .

سلامة الفطرة وحمايتها هي الباب الأول للنجاة في الدنيا والآخرة . فهي السلاح الأول في الحياة الدنيا أمام الفتنة ، وهي المنفذ والدرب إلى الخير والصلاح ، والنور واليقين . وبذلك تصبح هي الحق الأول للإنسان ، وواجب القوى كلها أن توفر هذه الحماية لها : إنها واجب الوالدين أولاً والأسرة وأجواء البيت ، وواجب المعاهد والمؤسسات ، وواجب الإعلام ، وواجب العلماء والدعاة وأولي الأمر ، وواجب اللجان والهيئات القومية والدولية ، وواجب القوى كلها أن توفر « الحضانة » الطاهرة الآمنة للفطرة ، وواجب الدعوة الإسلامية .

إن حماية الفطرة ورعايتها لتوفير سلامتها تمثل القاعدة الأولى التي تقوم عليها نظرية التربية الإسلامية ، في تربية الأطفال ورعايتهم وحمايتهم ، وتربية الفتيان والفتيات والشباب والشابات ، وبناء الأجيال المؤمنة الصالحة الطاهرة في الأرض رجالاً ونساء .

إنها محور التربية الإسلامية ومدارها : ولا بد أن تثبت هذه الحقيقة الهامة في

قلوب الدعاة والعلماء والحركات الإسلامية ، وفي المعاهد وكل من يلي أمراً من أمور التربية والبناء للأطفال خاصة وللأجيال كلها عامة في الساحة الإسلامية ، فكلهم محاسبون يوم القيامة عن ذلك بين يدي العزيز الجبار .

هذه هي القضية الأولى التي تقوم عليها سائر حقوق الإنسان ، وتنطلق منها ، وتبنى عليها المسؤوليات كلها من حقوق وواجبات . فإذا سلمت الفطرة واستقامت على أمر الله نجا الإنسان والمجتمع والأمة ، وتوازنت الحقوق والواجبات ، وأصبح الإنسان قادراً على استقبال رسالة الله ، ووعي مسؤولياته وتكاليفه وحقوقه كما شرعها الله لعباده في أمرهم كله .

٤ - الأسس التي تحدّد بها مسؤوليات المسلم : واجباته وحقوقه :

تحدّد مسؤولية المسلم في واقع الحياة الدنيا على أسس أربعة ، تتوازن من خلالها الحقوق والواجبات :

أ - **المنهاج الربّاني** : فالمنهاج الرباني يحدّد التكاليف الربانية من تفكير وتدبر ، واتخاذ قرار ، وإيمان وتوحيد والشهادتين وأداء للشعائر وتدبّر لمنهاج الله والدعوة إلى الله ورسوله ، وغير ذلك من تكاليف مفضّلة يحاسب عليها المسلم يوم القيامة ، مما لا يمكن تفصيله وعرضه هنا . وهذه التكاليف منها فرائض ، على كل مسلم أن يقوم بها إلا من كان له عذر شرعيّ ، كالمرض الذي يمنع عن الجهاد في سبيل الله ، ومنها ما يتحدّد على ضوء الأساس الثاني والثالث لتحديد المسؤوليات والحقوق والواجبات . والمنهاج الرباني هو الركن الأول في النظرية العامة .

ب - **الوسع** : إن التكاليف الربانية هي في حدود وسع الإنسان عامة . ولكن يضيق الوسع أحياناً في بعض الناس فيأتي من بعض التكاليف من غير الفرائض ما يطبق ويقوى عليه ، وتتوالى الآيات والأحاديث في المنهاج الرباني لتبين هذه القاعدة الهامة وهي الوسع الصادق للإنسان ، الوسع الذي وهبه الله له ، والذي سيحاسبه عليه يوم القيامة . ونكتفي هنا بذكر آية وحديث ، ليعود المسلم إلى منهاج الله فيأخذ الصورة بتكاملها :

﴿ ولا تكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ﴾

[المؤمنون : ٦٢]

نعم ! لا يُظلم أحد أبداً . فالله أعلم بوسع كل إنسان ، وأعلم بما وضع عليه من تكاليف يحاسب عليها ، وأعلم بما عمل ، وبأي نية بذل وعمل ، وعلى أي نهج سار .

وعن أبي هريرة عن الرسول ﷺ أنه قال : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عنه فاجتنبوه » [رواه الشيخان ^(١)]

والذي نود أن نؤكد هنا ماسبق شرحه حول قضية الوسع في كتب أخرى من كتاب الدعوة ، ألا وهي قضية الوسع الصادق والسع الكاذب . فالوسع الصادق هو الوسع الذي وهبه الله للإنسان والذي سيحاسبه عليه . وأما الوسع الكاذب فهو الذي يدعيه الإنسان لنفسه ليسوّغ تقصيره وعدم قيامه ببعض التكاليف الربانية دون عذر شرعي مقبول . ولقد فصلنا في هذا الموضوع في كتاب : « النظرية العامة للدعوة الإسلامية نهج الدعوة وخطة التربية والبناء » .

ج - النظام الإداري والخطة والنهج : الذي تضعه الطاقة البشرية المؤمنة على أساس من المنهاج الرباني والواقع ، والذي يبين تحديد الصلاحيات والمسؤوليات في كل مستوى إداري في الأمة . ويستمد هذا الأساس شرعيته من أنه قائم فعلاً على منهاج الله ، نابع منه ، مرتبط به ، خاضع له ، ومن أنه مع هذه الخصائص يلبي حاجة الواقع للمؤمنين .

ففي هذا النظام الإداري ، أو الخطة والنهج ، يجب أن تتحدّد بشكل واضح صلاحيات كل مستوى ومسؤولياته ، وأن تتحدّد أشكال المراقبة والإشراف والتوجيه والمتابعة . ويدخل في ذلك التكاليف أو التعليمات الصادرة في أي مستوى من مستويات

(١) تفسير ابن كثير لسورة الحشر ، حيث جاء قوله : وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الحديث أعلاه » مجلد (٤) طبعة دار المعرفة بيروت - [ص : ٣٣٦] .

النظام الإداري ، التي تكون نابعة من الأسس الثلاثة السابقة ، مرتبطة بها خاضعة لها بصورة جلية .

د - الواقع : والواقع هو الركن الثاني في « النظرية العامة للدعوة الإسلامية » وهو يؤثر كثيراً في مفهوم الواسع ، وفي النظام الإداري والخطـة والنهج ، والتعليـيات والتكاليف الصادرة عن ذلك ، ويساهم هذا الركن في تحديد المسؤوليات والحقوق والواجبات بصورة متوازنة عندما يدرس الواقع ويفهم من خلال المنهاج الرباني .

إنَّ الأسس الثلاثة الأخيرة يجب أن تكون مرتبطة بالمنهاج الرباني نابعة منه خاضعة له ، حتى تتوافر الموازنة الأمانة بين الحقوق والواجبات . وبمقدار ما تصدق الطاقة البشرية في إيمانها وعلمها وخبرتها يصدق النظام الإداري والنهج والخطـة والتعليـيات ، ويصدق النمو والتطور في الجهد البشري في ساحة الإيمان والتوحيد .

الفصل الثاني المسؤوليات والتكاليف الربانية على الإنسان

١ - المسؤولية الأولى والتكليف الأول على الإنسان التفكير المنهجي الذي يقود إلى الإيمان :

إن أول المسؤوليات والتكاليف التي عليه من الله هي التفكير والتأمل والتدبر حتى يؤمن . فإذا كانت «حماية الفطرة التي فطر الله الناس عليها» هي الحق الأول والأخطر للإنسان ، فإن أول واجب عليه وأول تكليف رباني أن يفكر ويتأمل ويتدبر وأن ينظر في نفسه وفي السموات والأرض وفي مسيرة التاريخ ، استجابة للفطرة التي فطره الله عليها . وقد وفر الله سبحانه وتعالى للإنسان جميع وسائل التفكير الإيماني المنهجي . وفر له السمع والبصر والفؤاد ، وهب له الفطرة السوية السليمة ، وبث آياته في الكون كله ، وبعث الأنبياء والرسل حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . إن هذا التكليف الأول للإنسان بالتفكير والتأمل والتدبر تفكيراً هادفاً يؤدي بصاحبه إلى الإيمان والتوحيد :

﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾ [سبا: ٤٦]
وكذلك :

﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقلنا عذاب النار ﴾ [آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١]
هذه هي المسؤولية الأولى : «أن تقوموا لله . . . استجابة للفطرة ثم تفكروا وتنظروا ، ثم تستمعوا إلى دعوة الرسل الذين ختموا بمحمد ﷺ .

وكذلك :

﴿ وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون . وفي السماء رزقكم وما توعدون . ف ورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾
[الذاريات : ٢٠-٢٣]

وكذلك :

﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾
[يونس : ١٠١]

وكذلك :

﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ [الحج : ٤٦]
وضرب الله لنا أمثلة كثيرة ونماذج من منهج التفكير الإيماني . فهذا إبراهيم عليه السلام ينظر في ملكوت السموات والأرض يتأمل ويتفكر استجابة للفطرة السليمة :

﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين * فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحبُّ الآفلين * فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهْدني ربي لأكوننَّ من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ [الأنعام : ٧٥-٧٩]

هكذا نظر إبراهيم عليه السلام في ملكوت السموات والأرض ، يتأمل ويتفكر في صفاء وصدق . ويضرب لنا القرآن الكريم نماذج من وقفات إبراهيم عليه السلام ، ومن نظره وتأمله وتدبره في ملكوت السموات والأرض ، وكيف كان نهج تفكيره نهجاً إيمانياً انتهى به إلى القرار ، إلى إعلان إيمانه .

ويضرب لنا القرآن الكريم مثلاً آخر بمؤمن آل فرعون في سورة غافر وهو يواجه موقفاً خطيراً حين دعا موسى عليه السلام فرعون إلى الإيمان ، ومال فرعون إلى قتل موسى عليه السلام . فتصدى رجلٌ مؤمنٌ من آل فرعون يكتم إيمانه ليدافع عن موسى عليه السلام ويدعو قومه إلى الإيمان : ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾ * يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من باس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴿ [غافر : ٢٨ ، ٢٩]

ثم يعرض هذا الرجل المؤمن نهج تفكيره والأسس التي يقوم عليها نابعة من الفطرة السليمة :

﴿ وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ﴾ * يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار . من عمل سيئة فلا يُجْزَى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ * ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ﴾ * تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ﴾ * لأجرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار ﴾ * فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴿ [غافر : ٣٨-٤٤]

وفي الحوار بين الرسل وأقوامهم نماذج من التفكير الإيماني لدى الرسل ومن تبعهم ، ونماذج من التفكير المضطرب لدى الكافرين . وفي حياة الصحابة رضي الله عنهم نماذج أخرى . فسلمان الفارسي رضي الله عنه طوّف في الأرض يبحث عن الحق . يستمع إلى هذا وذاك ، ويفكر ويتأمل ويتدبر ، حتى جاء المدينة ورأى الرسول ﷺ فهده الله .

ونجد في الكتاب والسنة الإلحاح على الإنسان بالتفكير والتأمل والتدبر .
وهذه المسؤولية ممتدة مع الإنسان لا تتوقف حتى يوارى في قبره . ويظل الإنسان يتحمل مسؤولية تفكيره ، ومسؤولية ما يصاحب التفكير من نية وعزيمة .
إن منهج التفكير الإيماني يتميز أولاً بالنية الصادقة عند الإنسان والعزيمة الأكيدة للبحث عن الحق ، فلا يعصف به الهوى ولا تجرفه المصالح ولا ينحرف عن النهج السليم .
ويتميز كذلك بأنه نابع من الفطرة السليمة قبل أن تتشوه ، مرتبط بها وبالقوى العاملة فيها ارتباط توازن وعدالة .

٢ - المسؤولية الثانية أن يتخذ قراراً ويتحمل مسؤولية قراره :

هذه هي المسؤولية الثانية على الإنسان ، وهي مرتبطة بالمسؤولية الأولى : مسؤولية التفكير والتأمل والتدبر . فعلى الإنسان أن يتخذ قراراً نتيجة لتفكيره وتأمله : هل يؤمن أم يكفر ؟ فإن اتخذ قراراً بالإيمان والتوحيد ، فذلك استجابة لفطرته السليمة التي فطره الله عليها وغرس فيها الإيمان والتوحيد ، وذلك بهداية الله له . وإن كان غير ذلك فهو استجابة لفطرة غير سليمة ولاسوية ، واستجابة لهوى ضال سيطر على فكره وقلبه فأضلّه الله بها كسبت يده . والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء على حكمة بالغة وقضاء نافذ وقدر غالب . والله يقضي بالحق فلا يظلم أبداً . فقضاؤه حق فيمن فكر واهتدى ، وقضاؤه حق فيمن ضل وكفر . وكان من قضاء الله وقدره أن يتحمل الإنسان نتيجة قراره :

﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعاً ﴾ * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً * أولئك لهم جنات تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفعاً ﴾

[الكهف : ٢٩-٣١]

نعم ! هذه هي سنة الله التي سنّها لعباده ، والتكليف الذي قضى به . إنه : ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..﴾ !

إنها مسؤولية اتخاذ القرار بعد التفكير والتدبر . ثم يأتي بعد ذلك مسؤولية تحمّل نتيجة القرار الذي يتخذه . فالمؤمن نتيجة قراره الجنة في الآخرة وعون الله في الدنيا . والكافر نتيجة جهنم ، نارٌ يحيط بهم سرادقها في عذاب دائم .

من مسؤوليات المؤمنين ، كما سنذكر بعد قليل ، أن يبلغوا الناس رسالة الله كما بلغها محمد ﷺ « وقل الحق من ربكم » والناس يستمعون إلى هذه الدعوة ويُفكّرون ، ويتخذ كل إنسان قراره ويتحمل مسؤولية قراره . فلا إكراه في الدين - يجب أن يكون الإيمان ذاتياً ، نابعاً من فطرة الإنسان وقناعته ، متحملاً مسؤولية ذلك :

﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ * الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿ [البقرة : ٢٥٦ ، ٢٥٧]

يجب أن يكون الإيمان نابعاً من أعماق الإنسان ، فلا يفيد المكر والخداع والنفاق ، فإن الله مطلع على ما في القلوب وما ضمته الصدور .

﴿ لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ [البقرة : ٢٨٤]

﴿ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير ﴾ [آل عمران : ٢٩]

لكل قرار يتخذه الإنسان نتيجة ومصير ، ونهاية ومآل ، لاحجة للإنسان بعد ذلك

أبداً ، حين يأتيه الموت ، وينكشف الغطاء ، ويرى الحق الذي دعي إليه فأنكره وكفر به .
﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ﴾ لعلّي أعمل صالحاً فيما
تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴿
[المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠]

﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا
ونكون من المؤمنين ﴾ [الأنعام : ٢٧]

هنا تطوى الفلسفات التي اغترّ بها هؤلاء فأهلكتهم . فرحوا بها في الحياة الدنيا حتى
انكشف أمرهم وقامت عليهم الحجة وحقت عليهم كلمة ربك أنهم أصبحوا بفسقهم
أصحاب النار .

٣ - المسؤولية الثالثة للإنسان المؤمن :

إذا فكّر الإنسان وتأمّل وتدبّر ، فاهتدى وآمن واتخذ قراره بذلك ، فتصبح
مسؤوليته بعد ذلك أن يعلن إيمانه وذلك بالشهادتين يعلنهما واضحتين صريحتين :
« أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله »

يعلنهما المؤمن مدوّيتين في أعماق الزمان وفي أعماق الإنسان وفي آفاق الكون ،
ليكون الإيمان عملاً جلياً مشرقاً لا يعتوره لبس ولا غموض . ويستثنى من ذلك طبعاً
الحالات الخاصة التي قد يأذن فيها الإسلام بكتمان الإيمان فترة لاتدوم .

يجب أن يعلن المؤمن هاتين الشهادتين لتكونا العلامة التي يعرفه الناس بها ،
والسمة البارزة فيه ، وليشهدوا عليه بها في الدنيا والآخرة .

إن اللحظة التي يعلن فيها المؤمن إيمانه لحظة فريدة في حياته وفي مسيرة الإنسان ،
إنها تمثل النقلة الواسعة الهائلة في حياته ، حين ينتقل بها من الجاهلية إلى الإيمان ، ومن
الظلمات إلى النور ، ومن عبادة العباد والأوثان والشهوات إلى عبادة الله الذي لا إله الا هو .

هذه اللحظة تتميز بهذه النقلة العظيمة الهائلة ، النقلة التي يرتبط بها المؤمن بربه وخالقه الله ، وتتعلق أنظاره بالجنة ، ويتغير ما بنفسه من تصورات وآمال ورغاب . هذه النقلة لا يعرفها إلا المؤمن الذي صدق إيمانه ، كما عرفها أصحاب رسول الله ﷺ وهم يعلنون إيمانهم بالله ورسوله ، بالشهادتين ، يعلنونها مدوية في آفاق مكة والكعبة ، لتسمعها الدنيا ، ولتمضي بها مواكب الإيمان صادقة على صراط مستقيم ، على درب ممتد إلى الجنة والدار الآخرة ورضوان الله .

هذه اللحظة الفاصلة في حياة المؤمن الصادق ، لاتكون فاصلة في حياة الذي نطق لسانه وما آمن قلبه . إن المنافق يحسب أنه قادر على أن يخدع الله وأني له ذلك . إنها لحظة آنية ، ولنسم الإسلام حينئذ إسلاماً آتياً ، لانملك نحن المسلمين المؤمنين إلا أن نقبل هذا الإعلان وهذا الإسلام «الآتي» . ولانملك نحن البشر أن نتهم من نطق بالشهادتين أنه كاذب لحظة نطقه بهما . فالله وحده يعلم ما في نفسه وصدوره . ولكننا في الوقت نفسه نملك أن نطالبه بالوفاء بحقوق الشهادتين وشروط الإيمان . نطالبه بالوفاء بذلك في الدنيا . فإن قام بذلك كان أمره إلى الله وحسابه عند الله ، ويظل المؤمن مع المؤمن يُذكر ويعين وينصح ، ويمضي المؤمنون على الوفاء بحق الشهادتين .

أما إذا نطق بالشهادتين واكتفى بهما وأبى أن يؤدي الشعائر وأن ينهض إلى التكليف الربانية ، فلا نملك أن نُقرّه على ذلك ، فنذّكره وننصحه ، فإن أبى وأصرّ على عدم الوفاء بحق الشهادتين ، فلا نملك أن نحكم له بالإسلام ولا بالإيمان ، وتطبق عليه أحكام الإسلام وشريعته وحسابه عند الله .

إن حكمنا عليه حكم في الدنيا ، لأننا مكلفون أن نطبق شرع الله على ظاهر ما نرى والله أعلم بالسرائر . والله يحكم بين عباده يوم القيامة ويفصل بينهم فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .

إن إعلان الشهادتين إعلاناً جلياً أمر في غاية الأهمية في حياة المؤمنين . فعلى أساس هذا الإعلان نستطيع أن نحاسب ونطبق على من يعلن ذلك أحكام الإسلام وشرع الله ، ونطالبه بالوفاء بها نطق وأعلن .

إن بعض الناس يتوهمون أنهم تكفيهم الشهادتان ليصبحوا مسلمين ، دون أن يُطالبوا بالوفاء بحقوق الشهادتين والتزام قواعد الإيمان والتوحيد . إن هذا وهمٌ قاتل . فالإسلام لا يأذن للمسلمين أن يُقرّوا أحداً على ترك الشعائر والتخلّف عن سائر التكاليف الربانية التي تؤلّف كلها درباً ممتداً إلى الجنة . فمن توقّف عند الشهادتين ولم يمش على الدرب فأنى له أن يبلغ الجنة . ولكننا نظل نقول إننا نطبق عليه شرع الله وحكمه في تحلّفه وعدم وفائه في الدنيا ، وحسابه يوم القيامة عند الله .

إن من أهم أسباب هذا الوهم لدى بعض الناس أنهم يأخذون جزءاً من الإسلام ، آية أو حديثاً ، يعزلونه عن سائر الآيات والأحاديث ، ثم يبنون عليه فقهاً مريضاً . ومن الأسباب لهذا الوهم ابتعاد الناس عن الكتاب والسنة ، وأخذ الدين كلمة من هنا وكلمة من هناك ، دون أن تكون هذه الكلمات علماً حقاً . ثم إنها وسوسة شياطين الجن والإنس ، وتسلل أفكار المنافقين والمشرّكين والكافرين إلى قلب المجتمعات الإسلامية ، ابتلاءً من الله سبحانه وتعالى ليمحص عباده ولتقوم لهم الحجة أو عليهم ، وليفتن المنافق وينجو المؤمن الصادق .

إن المؤمن ، حين يعلن الشهادتين بصدق وإخلاص ، فإنه يعلن للدنيا كلها أن ولاءه الأول لله ، وأن عهده الأول مع الله ، وأن حبه الأكبر هو الله ولرسوله ، وأنه من هذا الولاء الأول والعهد الأول والحب الأكبر ينشأ كل ولاء وعهد وحب في الدنيا . إنه يعلن بهاتين الشهادتين أن روابطه وعلاقاته مع الناس جميعاً روابط إيمانية يصوغها الإيمان والتوحيد ، وأنه يحب في الله ويبغض في الله .

وبهاتين الشهادتين يعلم المؤمن أن الإيمان والتوحيد مفاصلة وحسم ، وتكاليف والتزام ، ومسؤولية وحساب ، وأن ذلك كلّ مفصل في منهاج الله - قرآناً وسنة ولغة عربية .

وبهاتين الشهادتين تنعقد في قلبه النية الخالصة لله ، النية التي تظل مصاحبة له في

مسيرته كلها ، النية التي تعني أولاً الإخلاص لله سبحانه وتعالى ، وثانياً أنها عزيمة على المضي على صراط مستقيم .

وبهاتين الشهادتين ، وبهذه النية ، وبهذا التصور لقضية الإيمان والتوحيد ، يبدأ الجهاد في سبيل الله ، جهاداً في نفسه حتى تستقيم على أمر الله . جهاداً يظل ممتداً حتى يلقي الله سبحانه وتعالى :

﴿ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنيّ عن العالمين ﴾ [العنكبوت : ٦]

﴿ وجاهدوا في الله حقّ جهاده .. ﴾ [الحج : ٧٨]

عن فضالة بن عبيد عن الرسول ﷺ قال : « المجاهد من جاهد نفسه في الله » [رواه الترمذي وابن حبان (١)]

وبهاتين الشهادتين وبهذه النية يظل يذكر الله قائماً وقاعداً وعلى جنبه ، حتى يظل لسانه رطباً بذكر الله .

وبهاتين الشهادتين ، وبالنية الصادقة ، وبمجاهدة النفس ، وبذكر الله الممتد ينهض المؤمن ليوفي بالأمانة ، والعهد ، وحق الخلافة في الأرض ، وعمارة الأرض بحضارة الإيمان . إنه ينهض من أجل ذلك إلى سائر التكاليف الربانية ، لتكون حياته كلها عبادة لله ، كما أمر الله . ينهض المؤمن ليبارس منهج الله في الواقع البشري ممارسة إيمانية تدفع إلى العمل الصالح .

٤ - المسؤولية الرابعة : أداء الشعائر كلها والوفاء بها :

أن أول الممارسة الإيمانية بعد الشهادتين هي القيام بالشعائر كلها : الصيام ، والصلاة ، والزكاة ، والحج لمن استطاع إليه سبيلاً .

وهذه الشعائر مع الشهادتين جعلها الله أركاناً خمسة للإسلام ، وأساساً راسخة يقوم

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (ط : ٣) - (رقم : ٦٦٧٩) .

عليها بناء الإسلام بالتكاليف الربانية . إن جميع التكاليف الربانية الأخرى لاتصح ولا تقبل إلا إذا أوفى المسلم بالأركان الخمسة ، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ :

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ قال « بُنِيَ الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » [رواه الخمسة (١)]

إن الله سبحانه وتعالى غني عن العالمين . فهذه الأركان الخمسة : الشهادات والشعائر التي فرضها الله ، هي حاجة الإنسان نفسه ، هي غذاؤه الذي يمدّه بالقوة والعزيمة ، والحماية والقدرة على المضي على صراط مستقيم . هي التي تدفعه لينهض إلى سائر التكاليف الربانية ، ليوفي بحق الأمانة التي حملها والعبادة التي خلُق من أجلها ، والخلافة التي جُعِلت له ، والعمارة التي أمر بها .

إن الوفاء بجميع التكاليف الربانية عبادة لله . وإنها تمضي كلها متماسكة مترابطة لتمثل الصراط المستقيم بتمامها واستقامتها على نهج رباني متكامل .

إن أداء الشعائر بحقّها هو جزء من العبادة لله سبحانه وتعالى ، والوفاء بالتكاليف الأخرى عبادة أيضاً ، وعمل المؤمن كله إذا صدقت النية على صراط مستقيم عبادة خالصة لله . والله الذي فرض الشعائر هو الذي فرض سائر التكاليف .

إن الشهادتين وأداء الشعائر تصل المسؤوليات والتكاليف وتدفع المؤمن للمضي ، وتربط العمل كله بالدار الآخرة .

إن كثيراً من المسلمين اليوم يؤدون الشعائر وينطقون بالشهادتين ، ولكنهم يفصلون بين هذه الأركان الخمسة وبين سائر ممارستهم في واقع الحياة . فقد تجد الرجل المنتسب إلى الإسلام ، بالرغم من صلاته وصيامه ، يفكر بمنهج علماني يفصل الدنيا عن الآخرة ،

(١) أحمد : ٧٩/١ ، البخاري : ١/١/٢ ، مسلم : ٢٠/٥/١ ، الترمذي : ٢٦١٢/٣/٤١ ، النسائي : ٥٠٠١/٣/٤٧ ، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ط : ٣) (رقم : ٢٨٤٠) .

وفصل بين التكاليف الربانية ، فيؤذي مايشاء ويعطل مايشاء . وقد تجد مثل هذا الرجل يقف في صف من يجارب الله ورسوله ، ويدعو بدعوة غير دعوة الإسلام .

فلا بد أن نعيد ونؤكد أن الأركان الخمسة فرض فرضه الله ، وأن هنالك فرائض أخرى فرضها الله سبحانه وتعالى ، لا يجوز تعطيلها أو فصل بعضها عن بعض . وأن الأركان الخمسة ، إذا أُدِّيت بحَقِّها ، فإنها تدفع المؤمن إلى سائر التكاليف وتحميه من أن يتوقف في الطريق أو يتراجع أو ينحرف .

٥ - المسؤولية الخامسة : طلب العلم ودراسة منهاج الله وتدبره :

وكما ذكرنا قبل قليل ، فإن الوفاء بالأركان الخمسة يدفع المؤمن دفعاً إلى أن يُقبل على منهاج الله دراسة وتدبراً وحفظاً على قدر وسعه الصادق الذي سيحاسبه الله عليه ، لا على قدر الوسع الكاذب الذي يدّعيه تحت ستار من الأعذار .

إنه يُقبل إقبال شوق ويقين ، وتدبر وفهم ، والتزام صادق وممارسة إيمانية ، صحة عمر وحياة ، صحة منهجية ، لا تتوقف أبداً .

إنه يستعين من أجل ذلك بإمكانات المجتمع التي تعينه ولا تفتته ولا تحرفه ولا تنبّطه .

إن دراسة منهاج الله وتدبره طلباً للعلم الحق هو فرض فرضه الله سبحانه وتعالى ، وبلغنا إياه رسوله محمد ﷺ :

فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى حيتان البحر » [رواه ابن عبد البر وغيره] ^(١)

إنه تكليف من عند الله قائم على الأركان الخمسة مرتبط بها ، ممتد إلى مايليها من التكاليف الربانية ، لتتصل التكاليف وتمتد على صراط مستقيم . وإن دراسة منهاج الله تغذي عمل الأركان الخمسة وتشدُّ العزيمة للنهوض إلى سائر التكاليف الربانية ، إنها تغذي

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (ط : ٣) - (رقم : ٣٩١٤)

إيمانه الذي انطلق منه وتغذّي خشوعه في أداء الشعائر ، ويظل التأثير متبادلاً : الإيمان والشعائر تدفع إلى دراسة منهاج الله ، ودراسة منهاج الله تغذّي الإيمان والتوحيد وصدق النية وإخلاصها لله ، حين يعرف المسلم من منهاج الله دربه كله ، والصراط المستقيم ، والأهداف الربانية الثابتة التي عليه أن يبلغها . إن النية وعي لما يقبل عليه المسلم وعزيمة على الوفاء به . ومنهاج الله يوفر هذا ويغذّيه في قلب المؤمن الصادق . إن المسلم يعرف من منهاج الله التكاليف الربانية التي فرضها الله عليه ، والتي سيحاسب عليها :

﴿ نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾
[ق: ٤٥]

نعم ! هذا هو أمر الله : ﴿.. فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ..﴾ ، ففي القرآن الكريم يجد المسلم التكاليف التي سيحاسب عليها يوم القيامة ، يوم الوعيد . وكيف يُعقل أن يجعل الله مصير الإنسان إلى جنة أو إلى نار ، ثم لا يبيّن لعباده بجلاء سبيل كل منهما ؟! لا يُعقل أبداً ، فقد بيّن الله ذلك بالتفصيل :

﴿ كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ﴾ [فصلت : ٣]

ويؤكد القرآن الكريم أهمية هذه العودة لمنهاج الله ويلجّ عليها وبأمرها ، حتى لا يبقى حجة ولا عذر لمتهاون أبداً :

﴿ المص * كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين * اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون ﴾
[الأعراف : ١ - ٢]

وجاءت السنة النبوية لتؤكد هذه الحقيقة الكبيرة والمسؤولية الخطيرة : فعن أبي هريرة رضي الله أن رسول الله ﷺ قال : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ، كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض » [رواه الحاكم في مستدركه (١)]

(١) مالك : الموطأ : (رقم : ١٦١٩) - صحيح الجامع الصغير وزيادته : (ط : ٣) (رقم : ٢٩٣٧) -
تخريج المشكاة للالباني : (١٨٦)

إن هذه العودة إلى منهاج الله - قرآنًا وسنة ولغة عربية - يجب أن تكون عودة منهجية يدفعها الإيمان والتوحيد ، يقبل عليها الإنسان المؤمن بشوق وخشوع . ويجب أن تخضع لشروط ونهج وخطه حتى تحقق هذه العودة الكريمة هدفها . ويمكن أن نوجز معالم النهج والخطه بنقاط سريعة نجد تفصيلاتها في كتاب : « دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية » ، وكتاب « منهج المؤمن بين العلم والتطبيق » . أهم هذه النقاط مايلي :

أ - أن يصاحب المسلم منهاج الله مصاحبة عمر و حياة ، صحبة لا تتوقف ، صحبة منهجية .

ب - أن يأخذ كل مسلم من هذه الصحبة قدر وسعه الذي سيحاسبه الله عليه ، قدر وسعه الذي وهبه الله له ، تدبراً وممارسة .

ج - أن يرافق هذه الصحبة دراسة اللغة العربية دراسة منهجية جادة .

د - أن يرافق هذه الصحبة دراسة الواقع ، لأن منهاج الله أنزل من عند الله ليمارس في واقع الحياة الدنيا ، على أن تكون دراسة الواقع أيضاً دراسة منهجية من خلال منهاج الله .

هـ - على الدعوة الاسلامية أن تضع تفصيلات هذه العودة إلى منهاج الله كما أشرنا أعلاه .

و - أن يكون التدريب على ممارسة منهاج الله في الواقع جزءاً رئيساً من منهج الدعوة وخطتها ، وأن يكون للتدريب نظريته ونهجه وخطته . وتكون الشهاداتان والشعائر وذكر الله أول الممارسة الإيمانية والمسؤوليات عندئذ . ونجد تفصيلات نظرية التدريب ومناهجه ونماذجه ودراساته في كتب الدعوة . ولكن يقف أمام العودة إلى منهاج الله عقبات كثيرة .

فهذه المسؤولية الخامسة التي يجب على المسلم أن ينهض إليها بعزيمة وقوة يقف أمام الوفاء بها عقبات كثيرة ، إنها ، عقبات تراكمت مع التاريخ الطويل ، حتى هجر كثير من المسلمين منهاج الله وانقطعوا عنه :

﴿ وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾ [الفرقان : ٣٠]

ومن خلال نظرة عاجلة لواقع العالم الإسلامي ، وواقع من ينتسبون فيه إلى الإسلام ، نجد أن هناك خللين رئيسين بارزين تنطلق منهما سائر ألوان الضعف والخلل والتمزق . هذان الخللان هما : الخلل في التصور الإيماني والتوحيد ، وهجر واسع لمنهاج الله .

وإذا كانت الآيات والأحاديث تلح على التزام المسلم لمنهاج الله وعلى تعهده ومصاحبته صحبة عمر وحياة ، فإن أئمة الإسلام على مدار التاريخ ذكروا الناس بأمر الله ورسوله في هذا الشأن ، وقالوا في جملة ما قالوا : خذوا من حيث أخذنا .

لكننا لانكر أن قروناً طويلة من التاريخ الإسلامي وضعت عقبات كثيرة أمام عودة الناس إلى منهاج الله ومصاحبته والتزامه . . لقد أقام هذه العقبات هوان المسلمين أنفسهم ، ومكر أعداء الله الذين استغلوا هذا الهوان .

وكان من أهم هذه العوائق ضعف الإيمان أو الخلل فيه وفي تصور التوحيد ، حتى ضعف الحافظ الإيماني من قلوب بعض الناس أو اختفى عند آخرين .

ومن أهم هذه العوائق ضعف اللغة العربية عند أبناء الإسلام عامة وعند العرب خاصة ، حتى غلبت العجمة على لسان الكثيرين ، فعمّ الجهل بين المسلمين بالقرآن والسنة ، وأصبح المسلم عالة على غيره ، عالة على العلماء والدعاة ، وادعى العلم كثيرون من غير أهل العلم ، وأصبح المسلم لا يكاد يشعر بالتكاليف الربانية التي وضعها الله في عنقه ، وغابت عنه معاني العهد مع الله ، والولاء لله ، ومعاني الألوهية والربوبية ، وعبودية الإنسان لربه وخالقه . وغابت عن كثير من المسلمين مسؤولية حمل الدعوة الإسلامية إلى الناس وبيانها لهم ، وغير ذلك من المسؤوليات والتكاليف .

لقد أصبح الكثيرون يدرسون أصعب علوم الدنيا ، ويبدلون الجهد العظيم لها ليلاً ونهاراً حتى ينالوا أعلى الشهادات بها ، ثم تراهم يُدبرون عن تدبر منهاج الله .

إن منهاج الله علم حق . بل هو أساس كل علم . ولكن شاع بين الناس تعبير «الثقافة الإسلامية» ، حتى استقرّ في أذهان الكثيرين أن الإسلام ليس علماً ، وأنه ثقافة ، وأنه حسب المسلم أن يأخذ كلمة من هنا وكلمة من هناك .

وتوالى العقبات أمام المسلم تصدّه عن تدبر منهاج الله ، فازداد ضعف إيمانه . وكلما ازداد ضعف إيمانه . ازداد إدباره عن تدبر منهاج الله . وأصبحت ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والسياسية عوامل تساعد على صدّ المسلم عن منهاج الله وعن التصور الحق للإيمان والتوحيد ، وعن حقيقة التكاليف الربانية التي سيحاسبه الله عليها يوم القيامة .

عقبات كثيرة لانتهك وجودها . ولكننا نعتبر الأمة كلها بجميع مستوياتها مسؤولة عن ذلك وعن عدم النهوض لمعالجة هذه العقبات على أساس من نهج وخطة ، وتوفير السبل والوسائل للعودة الواعية إلى منهاج الله ، ولتدبره والتزامه ، وكذلك لممارسته في واقع الحياة ، والتدريب على ذلك .

ولكن أول المسؤولين هو المسلم نفسه الذي لا يحلّ له أن يجلس مسترخياً لاهياً عازفاً عن منهاج الله ، مدبراً عنه ، هاجراً له ، ثم يضع اللوم على الآخرين فحسب ، ناسياً مسؤوليته الأولى ، باحثاً عن المسوغات والأعذار الباطلة لهجره منهاج الله .

على المسلم نفسه أن ينهض هو أولاً ليستفيد من إمكانيات المجتمع وهي كثيرة : العلماء والدعاة ، الكتب التي تعين ، وسائر الوسائل الحديثة المتوافرة .

أيها المسلم ! أيها المسلمون ، أيها العلماء ! أيها الدعاة ! انهضوا جميعاً لتغيّر مآب أنفسنا أولاً من عجز وتقصير وإقبال على الدنيا ، ولننهض إلى مسؤولياتنا كما أمر الله بها وفصلها في المنهاج الرباني الكريم .

لقد ظن بعض المسلمين أن أداء الشعائر هي أقصى ما يطلب الإسلام منهم . وهذا وهم . فالشعائر هي الأساس التي يُبنى عليها الإسلام ، ويُنشئ عليها التكاليف . وكل مسلم مكلف قدر وسعه الصادق الذي وهبه الله له ليضعه في نصرة دين الله . فهل يُقبل من مسلم أن يدّعي أن وسعه ضاق عن تدبر منهاج الله واتسع لدراسة الطب والهندسة وغيرها ؟!

من منهاج الله تُعرف التكاليف ، فإلى منهاج الله أيها المسلم ، لتعرف منه الحق كله والتكاليف كلها ، قبل أن يأتي يوم لامرّد له من الله .

أيها الدعاة والمسلمون ! لاتخافوا على الإسلام ، فالله ناصر دينه ، وهو غني عن العالمين . ولكنه ابتلاء وتمحيص ، فخافوا على أنفسكم من فتنة الدنيا والتكوص عن التكاليف الربانية ، ومن عذاب الآخرة ، وتوبوا إلى الله جميعاً :

﴿...وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ [النور : ٣١]

٦ - المسؤولية السادسة : وعي الواقع من خلال منهاج الله :

في هذه المرحلة التي يمرُّ بها المسلمون ، تجتاحهم الأعاصير والنكبات والفواجع ، والهزائم والمجازر ، وأعداء الله يثبون على المسلمين بالسلاح المدمر والفتنة والفجور ، والنساء والخمور . في هذه الأجواء من الظلام المتلاحق ، من كان يظن أننا نستطيع أن ننجو دون العودة الصادقة إلى الله ، ودون العودة الصادقة إلى منهاج الله ، فإنه واهم ! ومن كان يظن أننا نستطيع أن نجابه صفّ الأعداء المتراص بصفوف ممزّقة متنافرة ، وقلوب متنافرة ، وأهواء متصارعة ، فإنه غارق في الوهم والضلال ! ومن كان يظن أنه وحده قادر على مجابهة هذه الأخطار المحدقة ، فإنه غارق في سَكْرٍ وخدرٍ ووهم وكبر !

ومن كان يظن أن هنالك شيئاً يجمع الأمة غير صفاء الإيمان والتوحيد ، وصفاء العودة إلى منهاج الله ، فإن وهمه أشد ، وضلاله أبعد .

ومن كان يظن أن الله يُنزل نصره على الناس لأنهم ادّعوا الانتساب إلى الإسلام دون التزام صادق وممارسة أمينة ، فإنه كذلك ضارب في بحار الوهم والظن الباطل .

إن الله سبحانه وتعالى لا يُنزل نصره إلا على من أوفى بعهده مع الله ، وصدق الله بالوفاء :

﴿.. وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون﴾ [البقرة : ٤٠]

﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ [غافر : ٥١ ، ٥٢]

إن أمور الدين وقضايا الإيمان ليست أمانياً وأحلاماً ، ولا ظنوناً وأوهاماً . إنها جهاد حق ، وابتلاء ماضٍ ، وتمحيص أكيد ، وبذل ومعاناة ، والله مطلع ، يقضي بالحق والذين من دونه لا يقضون بشيء . وهذا كله يجب أن يكون عملاً منهجياً لا ارتجال معه ، ولا ردود فعل آتية . ولكنه نهج ممتد وصراط مستقيم .

إذا نظرنا إلى واقعنا ومآسينا فلا نضع اللوم على أعداء الله وأعدائنا . بل نضع اللوم على أنفسنا . إن الله حق ، يقضي بالحق ، ولا يمضي أمر في الكون إلا بقضاء الله . فما أصابنا إذن فهو بقضاء الله وقدره ، وقضاء الله وقدره حق لا يظلم أبداً ، فالعيب إذن فينا نحن المسلمين ، في أنفسنا . فإن أردنا النجاة صادقين فلننظر في أنفسنا ، ولنبحث عن عيوبنا ، لننهض ونعالجها ، ولنستقم على أمر الله ، قبل أن تتوالى الفواجع :

مالي ألوم عدوي كلما نزلت	بي الفواجع أو أرميه بالتهم
وأدعي أبداً أي البريء وما	حلت في النفس إلا سقطتة اللثم
أنا الملموم فعهد الله أحمله	وليس يحملـه غيري من الأمم

ماذا ينتظر المسلم من أعداء الله الذين يحاربون الله ورسوله ليل نهار ؟! أينتظر منهم أن يقدموا له النصر على أطباق من الذهب . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ﴾ [التوبة : ١٠]

إن الإيمان والتوحيد ، وهما يمثلان القضية الكبرى للإنسان ، انفتاح على واقع الحياة ، وتدبر لسنن الله فيها ، ووعي واسع لأبعاد الواقع وآفاقه . إن الإيمان والتوحيد ليسا غياباً ولا غيبوبة ، ولكنهما حضور وإفاقة وقوة . إنه النور الذي يشق الظلمات ، ويجلو الحق أمام المؤمنين ، ويمدّ الدرب على صراط مستقيم ، وينفي ردود الفعل الآتية والارتجال ، ويرسي قواعد العمل المنهجي .

إلى هذه الحقائق يجب أن تتجه مدرسة الإسلام في واقعنا اليوم ، وإليها يجب أن يتجه الدعاة ، لتكون هذه القاعدة الصلبة للدعوة الإسلامية ، وليكون هذان الركنان الأساسيان اللذان ينهضان عليها - المنهاج الرباني والواقع - لتكون هذه الثلاثة معاً ، لا ينفصل بعضها بعضها عن بعض ، منطلقاً للعمل الصالح ، والممارسة الإيمانية الصادقة ، ومنطلقاً لنجاة الأمة ومعالجة الواقع .

إن كل واحدة من هذه القضايا الثلاث تحتاج إلى دراسات أمانة ، لتنزل إلى الواقع ممارسة وتطبيقاً لا شعاراً يُطوى ، وصيحة تخفت . يجب أن يرى العالم كله حقيقة الإيمان والتوحيد ، لا من خلال المؤتمرات والندوات والكتب ، ولكن من خلال الممارسة والصورة الحية النابضة .

٧ - المسؤولية السابعة : ممارسة منهاج الله في الواقع ، ومعرفة المسلم لحدوده ومبادرته الذاتية بحوافز إيمانية ، والاجتهاد في حدود مسؤولياته وأمانته وعلمه :

على ضوء ما سبق عرضه ، حين يوفي المسلم بمسؤولياته التي سبق عرضها : الإيمان والتوحيد ، تدبر منهاج الله ، وعي الواقع من خلال منهاج الله ، تتوالى أمامه الآيات والأحاديث التي تبين له تكاليفه ومسؤولياته وحقوقه . كيف لا ، وقد عرف أن الإيمان والتوحيد مفاصلة وحسم ، وتكاليف والتزام ، ومسؤولية وحساب ، وعرف أن منهاج الله هو المصدر الأول الرئيس لهذا كله . سيعرف عندئذ أن على كل مسلم مسؤوليات في الحياة الدنيا تؤكد الآيات والأحاديث ، وحسبنا هنا أن نذكر بحديث رسول الله ﷺ عن ابن عمر : «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . فالأمر الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهله وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» [رواه الشيخان والترمذي (١)]

(١) البخاري : ١١/١١ - ٨٩٣ - مسلم : ٣٢/٥ - ١٨٢٩ الترمذي : ٢٤/٢٧ - ١٧٠٥

وهكذا شمل الحديث الشريف جميع مستويات الأمة ابتداءً من الأمير حتى العبد . ويدخل في هذا الشمول : التاجر والموظف والسياسي والاقتصادي والمدرس ، والرئيس والخادم . ولذلك ذكر البخاري هذا الحديث في كتب الجمعة والاستقراض والوصايا والعق والنكاح والأحكام ، ومسلم في الإمارة والترمذي في الجهاد ، فشمّل الحديث جميع المستويات والأفراد والميادين .

ومحور هذه المسؤولية التي يحملها كل مسلم هو ممارسة منهاج الله في واقعه وفي حدود مسؤولياته وأمانته واختصاصه . فيصبح في هذه الحالة من أهم مسؤولياته أن يعرف حدوده وأمانته واختصاصه على أساس مما سبق عرضه في تحديد المسؤوليات .

فإذا عرف المسلم حدوده وأمانته وجب عليه التزامها والوفاء بها ، وعدم التعدي على حقوق غيره ومسؤولياته ، ووجب عليه معرفة حدود من يتعامل معهم لينزلهم منازلهم : فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »

[رواه الترمذي ومالك] (١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « أمرنا رسول الله أن ننزل الناس منازلهم »

[مسلم] (٢)

فلا بد للمسلم أن يعرف ما يعنيه ، وأن يعرف حدوده وحدود غيره . والمصدر الأول لهذا كله هو المنهاج الرباني .

وتأتي بعد ذلك المسؤولية الأخرى ، وهي المبادرة الذاتية تحركها الحوافز الإيمانية إلى مسؤولياته وواجباته . هذه المبادرة الذاتية مرتبطة كل الارتباط بكل ماسبق عرضه . فكيف تتولد الحوافز الإيمانية لتدفع المبادرة الذاتية إذا ضعف الإيمان أو اضطرب ، وإذا لم يصدق العلم بمنهاج الله ووعي الواقع من خلال منهاج الله . (٣)

(١) الترمذي : ٢٧ / ١ / ١٣١٧ . مالك : (رقم : ١٦٢٩) .

(٢) مسلم : المقدمة .

(٣) يراجع كتاب منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ، للمؤلف ، وكتاب : الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام .

ويظل محور هذه المسؤوليات هو ممارسة منهاج الله في حدود مسؤوليات المسلم وأمانته . ولكنه أثناء هذه الممارسة الإيمانية سيجد أمامه قضايا هو مسؤول عنها لايجد لها نصوصاً في منهاج الله . هنا يكون من مسؤوليته الاجتهاد إذا توافرت الشروط السابق ذكرها كلها ، وإذا عرف حدوده ومسؤولياته التي سيحاسبه الله عليها .

ومن هنا جاء حديث رسول الله ﷺ الذي يحدد للمسلم هذه المسؤولية الهامة في الاجتهاد فيما يعرض له عندما تتوافر الشروط السابقة :

فمن حديث وابصة قوله ﷺ : « يا وابصة استفت قلبك واستفت نفسك (ثلاث مرات) البر ما اطمانت إليه النفس ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك » . [رواه أحمد ^(١)]

فالاجتهاد إذن مسؤولية كل مسلم فيما يدخل في دائرة مسؤولياته التي سيحاسبه الله عليها يوم القيامة . فالطبيب المسلم يجب أن يعرف منهاج الله ويدرسه في حدود وسعه وأمانته حتى يستطيع أن يجتهد فيما يجده من أحداث . والمهندس كذلك ، والتاجر في تجارته ، والرجل في بيته ، وكل مسلم في ميدان عمله وحدود مسؤوليته ووسعه الصادق .

المهندس مثلاً تمرّ عليه قضايا في مهنته ومن خلال مسؤولياته تحتاج إلى رأي وفتوى . والرأي والفتوى تحتاج إلى فهم القضية . والقضية قضية فنية يحتاج فهمها إلى علم في هذا الاختصاص ، وإلى دراسة مواصفات فنية واسعة وعروض شركات ربما بلغت مجلدات كثيرة ، ودراسة عقود وما أشبه ذلك . فكيف يمكن لأحد أن يفتي في هذه القضية إلا إذا توافرت فيه هذه الشروط . إن معرفة الدين والشرع ومنهاج الله ، كل قدر وسعه الصادق ضرورة لاغناء عنها لأي رأي أو فتوى ، ولكن يجب أن ينضم إلى العلم بمنهاج الله وعي هذه القضية الفنية وعياً أميناً .

لأنستطيع أن نطلب اليوم من علماء الشريعة أن يدرس كل واحد منهم جميع

(١) أحمد : الفتح الرباني : ٥٩ / ١٩ .

الاختصاصات العلمية . ولكننا نستطيع أن نطلب من أصحاب الاختصاصات العلمية أن يدرسوا منهاج الله ويتدبروه ، حتى يتيسر لهم ممارسة الحديث الشريف السابق . يضاف إلى ذلك أن تدبر منهاج الله واجب على كل مسلم قدر وسعه وطاقته ، ولكن دراسة التخصصات الفنية ليست واجباً على كل مسلم .

ففي ميدان التخصص والمسؤولية والأمانة : على كل مسلم أن يجتهد فيما يعرض له من أمر ، بعد أن يستكمل الشروط اللازمة لذلك . ومن واجبه أن يبادر إلى استكمال هذه الشروط .

إن واقعنا اليوم يشهد ظروفاً مغايرة لذلك . فالطبيب قد يجهل دينه ، ويضطر العالم الشرعي أن يفتي في بعض الأمور الفنية . فلا بد أن يعي المسلم اليوم هذه المسؤوليات والواجبات ، فإنه محاسب عليها غداً بين يدي الله . وكثيرون من المسلمين اليوم لا يدركون خطورة هذا الأمر ، فيتهاونون فيه تهاوناً كبيراً .

٨ - المسؤولية الثامنة : المساهمة في تحقيق الأهداف الربانية الثابتة ، وأولها : الدعوة إلى الإيمان والتوحيد :

إذا صدق المسلم بالوفاء بالمسؤوليات السابقة فإن المسؤوليات الأخرى والتكاليف الربانية تنفتح أمامه من منهاج الله ، ومن إيمانه الذي يغذيه منهاج الله ، ومن وعيه للواقع من خلال منهاج الله .

هذه المسؤوليات تصبح مسؤولية الأمة بكامل طاقتها حين تقوم الأمة ، وتقوم مسؤوليات الأمة وواجباتها بقيام المسؤولية الفردية كما ذكرنا سابقاً .

ويصبح الوفاء بالمسؤولية الفردية أساساً لبناء الروابط الإيمانية ، ولبناء الأمة لتتابع الأمة الوفاء بهذه المسؤوليات .

إن المسؤوليات التي تُبنى على المسؤوليات السابقة لا يمكن حصرها في هذه العجالة

بتفصيل . ولكننا نستطيع أن نقول إن هذه المسؤوليات تتمثل في قيام الفرد والجماعة بالسعي لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية الثابتة التي سبق أن أشرنا إليها ، والتي نعيد إيجازها هنا :

- الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد .
- التربية والبناء ، والتعهد والتدريب .
- بناء الجيل المؤمن .
- الجهاد في سبيل الله .
- الأمة المسلمة الواحدة التي يحكمها منهاج الله وتكون كلمة الله هي العليا فيها .
- الانتشار في الأرض وبناء حضارة الإيمان بدلاً من الحضارة المادية .

ومن أجل هذه الأهداف الربانية الثابتة تقوم أهداف مرحلية تتحدّد على أساس من منهاج الله والواقع ، تعين على الانتقال من هدف ثابت إلى هدف ثابت آخر ، على طريق ممتدّ إلى الهدف الأكبر والأسمى - الجنة - .

إن كل مسلم مسؤول عن المساهمة في تحقيق هذه الأهداف الربانية في الواقع البشري قدر وسعه وطاقاته ، ولا يُعذّر أحد بالتخلّف عنها إلا بعذر شرعي واضح .

وتتماسك هذه الأهداف الثابتة فيما بينها ، حتى إذا انتقلنا إلى الهدف الثاني عمل الهدفان الأول والثاني معاً . وتظل الأهداف تمتد من مرحلة إلى مرحلة حتى تعمل كلها معاً . ولقد درسنا «الأهداف» في كتاب لقاء المؤمنين - الجزء الثاني .

الفصل الثالث

المسؤولية الفردية

بين الإسلام وبين المذاهب العلمانية

ودورها في بناء الأمة المسلمة الواحدة

ومسؤوليتها

١ - دور المسؤولية الفردية في بناء الأمة المسلمة الواحدة ومسؤوليتها :

من هذه المسؤوليات التي عرضناها تفتّح أمام المسلم سائر المسؤوليات والتكاليف الربانية التي يحدّدها منهاج الله ويفضّلها ، لتُمارَس في الواقع الذي يعيشه المسلم ، والذي يفهمه من خلال منهاج الله .

وإذا كانت هذه هي مسؤوليات الفرد المسلم ، إلا أن مسؤولية القيام بها لا تنحصر في الفرد المسلم منعزلاً عن الأمة أو منطوياً عنها . إنها في الوقت نفسه مسؤولية الجماعة والأمّة ، حين تتناسق الجهود وتترابط العزائم لتصبّ كلها في مجرى واحد من الخير والصلاح ، والقوة والعزّة .

فمن هذه المسؤولية الفردية تُبنى مسؤولية الأمة من خلال ما يَبْنِي منهاج الله من روابط إيمانية ، وما يقوم على ذلك كله من نهج وتخطيط يجمع ويبيّن ، ونظام إداري يحدّد الصلاحيات والمسؤوليات والحقوق ، والإشراف والمراقبة والتوجيه والمتابعة .

إن الارتجال وردود الفعل لاتعين المسلم الفرد ولا الأمة على الوفاء بالمسؤوليات . ولا تفيد الشكوى والنواح على الأطلال .

إن النهج والتخطيط سمة من سمات العمل الإيماني والممارسة الإيمانية . إنه ثمرة المسؤوليات التي سبق عرضها حين يصدق المسلم في الوفاء بكل واحدة منها .

إن الإيمان والتوحيد وعي وإفاقة وبقظة . إنه ارتباط الإنسان بربه وخالقه ، بالحق الذي تقوم عليه السموات والأرض ، والحياة الدنيا والآخرة .

إن الإيمان والتوحيد هما المفتاح لتدبر منهاج الله . وكيف يتدبر الإنسان منهاج الله إذا لم يصدق الإيمان والتوحيد . لقد جعل الله على قلوب الكافرين والمنافقين أكنة أن يفقهوا القرآن ، وفي آذانهم وقراً :

﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً ﴾ [الكهف : ٥٧]

إن كل واحدة من هذه المسؤوليات تحمل في جوهرها قوة تربط المؤمن بالمؤمن ليُتَبَنَّى الأمة المسلمة . وتزداد هذه القوة كلما ازداد صفاء هذه المسؤوليات وصدقها . ويصبح السواء بهذه المسؤوليات أساس بناء الأمة المسلمة الواحدة في الأرض ، وغياب هذه المسؤوليات الفردية يعطل بناء الأمة المسلمة الواحدة ويعطل مسؤولياتها .

٢ - الأخطار الناتجة عن غياب المسؤولية الفردية :

إذا كانت المسؤوليات الفردية في خطوطها العامة العريضة هي كما عرضناها مبنية على منهاج الله ، فإن تفصيلات هذه المسؤوليات ومنزلتها وأهميتها مفصلة في منهاج الله . فالشهادتان وأداء الشعائر وذكر الله ، ذلك كله هو أول المسؤوليات بعد الإيمان والتوحيد . بل هي جزء من الإيمان والتوحيد ، وهي الأساس الذي بُني عليه الإسلام .

وهي مسؤولية كل مسلم في الدنيا وفي الآخرة . وعليها تقوم سائر المسؤوليات ومنها تنبع . وهي تؤلف قاعدة هامة لبناء الروابط الإيمانية وبناء الأمة المسلمة الواحدة .

فإذا كانت هذه هي مسؤوليات الفرد المسلم ، فمنها تتكون مسؤولية الأمة . فإذا غابت المسؤولية الفردية أو اضطربت وتقلصت ، اضطربت مسؤولية الأمة ، وظهرت

فيها الدعوات المضطربة والاتجاهات المنحرفة والمبادئ الخارجة عن الإسلام ، من ديكتاتورية وديمقراطية واشتراكية وعلمانية وحداثة بألوانها ومذاهبها المختلفة .

عندما تغري الديمقراطية اليوم بعض المسلمين بزخارفها ، فإن هذا يكون نتيجة لسوء واقع المسلمين ، ومافيه من ظلم وخوف وقلق وعدم مساواة ، ونتيجة لعدم تطبيق الإسلام تطبيقاً أميناً تبرز فيه عظمة الإسلام وعدالته والحرية المتوازنة الكريمة فيه ، وقواعد المساواة والأمن ، وتوازن الحقوق والمسؤوليات ، فينصرف بعض الناس ، لا لإقامة عدالة الإسلام والحرية المتوازنة فيه والمساواة الأمانة في تشريعه ، بل للبحث عن ذلك في فلسفات بشرية تهاثة ، حيث تضيع بذلك جهودهم في الدنيا والآخرة . فاعجب إذا شئت حين ترى داعية مسلماً يدعو للديمقراطية في أمريكا ، وداعية آخر يدعو للرفق بأهل الكتاب الذين يذبّحون المسلمين ليل نهار ، وداعية آخر مسلماً يدعو لأوثان أخرى هنا وهناك .

غياب المسؤولية الفردية يجعل الملايين من المسلمين غناء كغشاء السيل ، أو قطيعاً يُساق إلى هلاكه ، تحت خدر شديد من دويّ الشعارات التي لا يصحبها علم ولا ممارسة أمانة . ومن دوي الهتافات والتعبيرات العامة .

إن غياب المسؤولية الفردية يضع أخطر العوائق أمام صدق التعامل مع الواقع حيث تُدفع القطعان ، كل قطع باتجاه ، فتتصادم الجهود أو تموت ، وتقتل الأوقات وتهدر الطاقات .

وغياب المسؤولية الفردية يضيق على المسلمين حسن ترتيب الأوليات ، والخطوات والأهداف ، ويفتح أبواب الفتنة بعد الفتنة ، ويغيب النهج والتخطيط .

إن غياب المسؤولية الفردية يفتح المجال لظهور ما أسماه «بالطبقة العائمة» ، الطبقة التي تكون مرتعاً لقوى الشر ولأعداء الله ، يفسدون فيها ، ويستغلونها لإفساد الآخرين .

إن غياب المسؤولية الفردية والوعي الناتج عنها يمدُّ ساحات الإشاعات والقبيل والقال . فتمتدّ الفتنة وتظهر الدعوات المتناقضة ، وتُستهلك الجهود في محاولات التوفيق بين حقٍّ بيّن وباطل مكشوف .

هذا كله في الحياة الدنيا . أما في الآخرة فالمصيبة أدهى وأمرّ عند غياب المسؤولية الفردية ، حيث يقف كل إنسان وحده بين يدي الله ، ويتخلّى عنه الأعوان والأوثان وكل من ادّعى قوة وسلطاناً :

﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون ﴾ [الأنعام : ٩٤]

وكذلك :

﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ﴾ * لقد أحصاهم وعدّهم عدداً * وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ﴿ [مريم : ٩٣-٩٥]

إن المسؤولية كلها في ميزان الإسلام ممتدة بين الدنيا والآخرة ، لا ينفصل بعضها عن بعض ، سواء في ذلك مسؤولية الفرد والجماعة والأمة والناس كافة . إن الله ربّ الدنيا والآخرة ، وهو رب العالمين . ومنهاج الله منهج حياة كامل في الدنيا وبلاغ عن الآخرة ، منهج للفرد والأمة والبشرية .

فالمسؤولية في ميزان الإسلام ممتدة في الدنيا إلى الآخرة ، لا يمكن الفصل بينهما ، ويضطرب التصوّر ويختلّ لو انعزلت مسؤولية عن الأخرى . فحين يقول رسول الله ﷺ : « ألا كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته . . » ^(١) ، فإنه يكشف لنا ارتباط المسؤولية في الدنيا بالمسؤولية في الآخرة وامتدادهما . كما يكشف لنا هذا الحديث الشريف أن على هذه المسؤولية الفردية تقوم مسؤولية الجماعة والأمة ومسؤولية البشرية كلها .

(١) عن عبدالله بن عمر . رواه الشيخان والترمذي : البخاري : ٨٩٣ / ١١ / ١١ ، وفي كتاب الجمعة وكتب أخرى . مسلم : ١٨٢٩ / ٥ / ٣٣ . الترمذي : ١٧٠٥ / ٢٧ / ٢٤ .

لينهض المسلم الذي أوفى بمسؤوليته الأولى إذا صدق إيمانه بربه وأفاق من غفوته ، إلى مسؤوليته الثانية إلى منهاج الله تلاوة ودراسة وتدبراً ليعرف منه سائر مسؤولياته التي سيحاسب عليها .

وسيجد المسلم الصادق الذي يعزم على الوفاء بعهده مع الله ، حين ينهض إلى مسؤولياته التي عرفها من منهاج الله ، أن عليه أن يحاسب نفسه بين حين وآخر ، وأن يراقبها ، وأن يقوم عمله ، حتى يستطيع أن يغير ما بنفسه إلى طاعة أمينة لله ، حتى يُعَبرَ الله لنا واقعنا . وأذكر نفسي أولاً وأذكر إخواني المؤمنين بآيات الله بينات :

﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ﴿ [الرعد : ١٠ ، ١١]

وكذلك :

﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴾ [الأنفال : ٥٣]

٣ - المسؤولية الفردية بين الإسلام وبين المذاهب البشرية :

ومن أخطر ما يصيب المجتمعات البشرية اضطراب المسؤولية الفردية ، اضطراب مسؤولية الإنسان وواجباته وحقوقه ، من خلال ما تتبنى المجتمعات البشرية من مبادئ وفلسفات .

إذا استعرضنا تاريخ الإنسان وواقعه اليوم نجد أن المسؤولية الفردية مختلة ومضطربة بين انفلات شديد ، كما هي الحالة في المجتمعات الغربية وما تتبناه ديمقراطيتها من حرية فردية واسعة ، أغرقت الإنسان في شهواته وأهوائه المادية حتى خدّرت ، فاستسلم لهذا

النظام ، وبين قيود خائفة كما هي في ديكتاتورية الطبقة العاملة (البروليتاريا) ، وما تستبدُّ به من حكم ديكتاتوري مطلق أُرهب الناس حتى استسلموا إليه ، وبين نظم أخرى مختلفة أضاعت الإنسان في متاهات بعيدة بين اضطراب مسؤولياته واضطراب حقوقه ، مما أورث المجتمعات البشرية صراعات ممتدة وحروباً طويلة ، واختلالاً ظاهراً في الموازين والتقويم ، واضطراباً في معنى العدالة والحريّة والمساواة ، حتى لم تعد الشعارات كافية لإنقاذ الإنسان ، ولا اللجان والجمعيات والهيئات القومية والدولية . وامتلأت الأرض فتنة وفساداً في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس :

﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾
[الروم : ٤١]

هذه القضية ، قضية الإنسان في الحياة ومسؤوليته ودوره فيها ، شغلت الفلاسفة والمفكرين في مختلف الأمم والشعوب منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا . وظهرت فلسفات كثيرة حول هذا الموضوع وما يتفرّع عنه من قضايا . ولكن هذه الفلسفات البشرية جاءت مضطربة بمهمة متناقضة ، تأخذ جزئية واحدة من الحياة الدنيا ، ثم تبني عليها تصورها الكامل للكون كله والحياة كلها ، والإنسان بامتداد عصوره وأجناسه وشعوبه . إنّ الخطأ كبير جداً ، حين يحاول إنسان محدود الوسع والطاقة ، محدود العصر الذي يعيش فيه ، أن يفسّر الكون كله منذ نشأته التي لم يشهدها إلى نهايته التي هي أيضاً من نأ الغيب . لذلك جاءت التصوّرات مضطربة متناقضة ، تختلط بالأساطير والوهم والضلال .

من هنا جاء تميّز نظرة الإسلام إلى الكون والحياة والإنسان ، لأنها جاءت من عند رب الكون والحياة والإنسان ، من عند الله الذي لا إله إلا هو ، عالم الغيب والشهادة :

﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كلّ شيء عدداً﴾
[الجن : ٢٦-٢٨]

وكذلك :

﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيا نبيبعثون ﴾
 بل اذارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ﴾ [النمل : ٦٥ ، ٦٦]
 ولذلك جاءت جميع الفلسفات البشرية معزولة عن علم الآخرة ، تحمل معها
 الأساطير والخرافات والأوهام ، لاتقدم نهجاً متوازناً لحياة الإنسان ، ولا لمسؤولياته ولا
 لحقوقه . إنها بنت تصوورها العام على جزئية أو بعض الجزئيات ، وإنها عزلت الحياة الدنيا
 عن الآخرة فكراً وتصوراً ومسؤوليات وحقوقاً .

إن من أحدث هذه التصورات ماعرضه ستيفن هوكنج Stephen W. Hawking حين حاول
 أن يفسر نشوء الكون ونهايته في كتابه : « موجز التاريخ للزمن A brief History of Time » عن
 طريق المعادلات الرياضية وبعض الظواهر الكونية ، فاصطدم بقضايا كثيرة ، وجعل من
 بعض الفرضيات والظنون حقائق . وحين تحدّث عن الإسلام افترى عليه ونحى البحث
 العلمي جانباً ، وأخذ بالوهم ، وخلط الإسلام بالنصرانية واليهودية خلطاً عجيباً
 جاهلاً ، واعتبر ما تقوله النصرانية هو ما يقوله الإسلام ، ولم يكلف نفسه أن يدرس
 الإسلام بأمانة ليتحدّث عنه بأمانة . ولم يعرض مايقوله الإسلام عن بدء الكون ونهايته ،
 وعرض أن القديس «أوجستين» اعتبر أن بداية الكون كانت قبل خمسة آلاف سنة في
 كتابه « مدينته الله » . إن الإسلام لم يحدّد زمناً معيناً لبدء خلق الكون أو الإنسان ، وإنها
 قدّم الحقائق المطلقة التي تبين كيف خلق الله الكون ومدة خلقه له ، وكيف خلق الإنسان .
 ولكن «ستيفن هوكنج» استعرض أفكار أرسطو الوثنية ، وأفكار «إمانبول كانت» في كتابه
 «نقد العقل الخالص» الصادر سنة ١٧٨١ م . كما استعرض بعض النظريات العلمية
 لنيوتن وكارل بوبر وآينشتاين وغيرهم . وحصالة ذلك كله أنه لم يصل أحد الى الحقيقة
 المطلقة بالنسبة للكون ونشأته ، وظلت آراؤهم ضرباً من الظنون والتخمين .

ومن أحدث الكتب التي صدرت كتاب «نهاية التاريخ والرجل الواحد» لفرانسيس
 فوكوياما . يعتبر فوكوياما أن التاريخ سينتهي عند الديمقراطية الحرة التي تسود العالم .

ووصل إلى هذه النتيجة بأسلوب غير علمي ولا منطقي ، مستعرضاً عدداً من الفلسفات التي عرفتھا البشرية استعراضاً مضطرباً ، بأسلوب غير أمين ، ملغياً التصور الإيماني كله عن دراسته ، عازلاً الدنيا عن الآخرة ، وكأنه أخذ بينه وبين نفسه بالنهج الماديّ الإلحادي في تفكيره وبحثه . إن من يقرأ هذا الكتاب يشعر بالظلمات التي يعيشها الكاتب ، الظلمات التي حاول من خلالها أن يرى الإسلام فألقى الله على بصره غشاوة ، فاختلطت الأمور لديه .

قبل ذلك ، ظنّ أهل المادية الجدلية والمادية التاريخية أن نهاية التاريخ في تطوره ونموه هي الشيوعية التي تمثل خاتمة مطاف الاشتراكية عند فردريك إنجلز وعند ماركس وغيرهما . ثم مضت سنة الله لنرى أن النهاية هي نهاية الشيوعية وسقوطها .

إن جميع هذه الفلسفات سواء أكانت «مادية أم مثالية» نزلت بالإنسان إلى أدنى مستوى وهبطت به إلى مستوى حيوانيّ ، وحاولت أن تبرز إنسانيّته بشعارات مجزوءة ، وبقطع متناثرة مفصولة بعضها عن بعض ، فعجزت بذلك عن أن ترسم صورة قريبة للإنسان ، ولا هي ارتبطت بالإيمان بالله وتوحيده وعبودية الإنسان لربه وخالقه ، لتقدم ، لو فعلت ذلك ، الصورة الأسمى والأصدق . وبذلك أضاعت هذه الفلسفات حقيقة مسؤولية الإنسان في هذه الحياة الدنيا ، وخلطت بعض حقوقه المادية خلطاً أفسدها ، وعزلت الحقوق عن المسؤوليات .

فإذا كان أفلاطون جعل «الشهامة» كما يفهمها هو ، هي محرك الإنسان والتاريخ ، واعتبر ميكافيلّي الرغبة في المجد هي التي تفعل ذلك ، واعتقد «هوبز» أن أقوى انفعال إنسانيّ «هو الخوف من الموت البشع» ، وأقوى الأمور الأخلاقية هو الحفاظ على النفس ، ورأى الكسندر هاميلتون أن حبّ الشهرة هو الأقوى ، وجيمس ماديسون رأى الطموح ، وهيكل تمسّك برغبة الإنسان بعرفانه واعتراف الناس به ، ونيتشة احتقر الإنسان حتى جعله وحشاً بخدود حمراء وردية ، فإن هؤلاء جميعهم ، وآخرين كثيرين مثلهم من الفلاسفة ، أضاعوا الإنسان في وحل الرغبات المادية ، من خلال شعارات متقاربة في

ماديتّها وألفاظ متدنية في شهواتها ، ثم رموا البشرية كلها في خضم بحار من مجازر الظلم والعدوان ، امتدت في التاريخ البشري حتى يومنا هذا ، وستمند على حكمة الله بالغة ، وقدر غالب ، ليُمحص الله الإنسان ويميز الخبيث من الطيب ، ولتقوم الحجة على الإنسان يوم القيامة أو تقوم له .

عندما يعرض «فوكوياما» في كتابه المذكور أعلاه «نظرية التحديث» التي ترى الإنسان بصفته الأساسية حيواناً اقتصادياً تحركه رغبته وعقله ، وتكون العملية الجدلية للتطور التاريخي مشابهة للمجتمعات الإنسانية المختلفة ^(١) ، فإنه يكون قد هبط بالإنسان إلى «أسفل سافلين» .

وكذلك يفعل هيجل عندما يعبر أن المحرك الأول للتاريخ الإنساني ليس الدافع الاقتصادي ولكن الصراع من أجل العرفان والتقدير في الحياة الدنيا ^(٢) .

ولكن الإسلام جاء ليكرّم الإنسان ، ويرفعه إلى الدرجة الكريمة التي خلقه الله لها ، ليحتلّها بالأمانة التي يحملها ، والعبادة التي خلّق لها ، والخلافة التي جعلت له ، والعمارة التي أمر بها ، لتتحدّد مسؤوليات الإنسان فرداً وجماعة وأمة على أساسها ، ولتتحدّد أيضاً حقوقه ، ولتناسق الحقوق والمسؤوليات من خلال المنهاج الرباني نوراً وهدى للبشرية كلها . فحين يتخلّى الإنسان عن ذلك فإنه يهبط إلى أسفل سافلين .

﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون * فما يكذبك بعد بالدين * اليس الله بأحكم الحاكمين ﴿

[التين : ٤-٨]

وكذلك :

﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾

[الإسراء : ٧٠]

(١) فرانسيس فوكوياما : نهاية التاريخ والرجل الواحد - ترجمة د. حسين الشيخ (ص: ١٥٤) .

(٢) نفس المرجع السابق : (ص: ١٥٥) .

لقد هبطت بعض الفلسفات بالإنسان حتى جعلته حيواناً ، وغالت بعضها ورفعته حتى جعلته إلهاً ، وجاء الحق من عند الله يكرم الإنسان بمسؤولياته في الحياة الدنيا وحقوقه فيها ، ويجعل أمر الإنسان لا ينتهي في هذه الحياة الدنيا ، وإنما يوفى أجره في الآخرة فإما إلى جنة وهذه غاية التكريم ، وإما إلى نار وهذه جزاء الظالمين المفسدين .

﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ * وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتُجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ [الجاثية : ٢١ ، ٢٢]

لقد كرم الله الإنسان بخلقه ، وكرمه بالأمانة التي حملها ، وكرمه بالنهاية التي يبلغها إن هو أوفى بعهده وأمانته ومسؤولياته ، وكان من الشاكرين .

هذه هي نهاية التاريخ كما يبينها لنا منهاج الله الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا كما يدعي «فوكوياما» من خلال أهواء وعلم مضطرب متناقض .

من هذا العرض للمسؤولية الفردية نستطيع أن ندرك أهمية النظرية العامة للدعوة الإسلامية وهي تبرز أهم حقوق الإنسان وأهم واجباته ، والموازنة الدقيقة التي يعرضها منهاج الله بين الواجبات والحقوق . ورأينا كيف أن التصور الذي نعرضه هنا نابع من القاعدة الصلبة للنظرية العامة - قضية الإيمان والتوحيد والدعوة إلى الله ورسوله . ومن الركنين الأساسيين : منهاج الرباني والواقع . كما نرى أن اضطراب المسؤولية الفردية ناتج عن المشكلات الأربع الرئيسة في الواقع ، وأن المعالجة تحتاج إلى نهج وتخطيط نابع من الأسس الأربعة التي تمثل العنصر الأول من عناصر التنفيذ .

ونرى من هذا العرض أهمية المسؤولية الفردية في بناء مسؤولية الجماعة والأمة . فهي قضية هامة على طريق بناء الأمة المسلمة الواحدة في الأرض ، الأمة التي يحكمها منهاج الله ، وتكون فيها كلمة الله هي العليا في جميع أمورها وقضاياها .

ونرى هذه القضية اليوم لتكون قاعدة من قواعد التصور الإسلامي في ميدان الدعوة والتربية والتدريب ، وإعداد الجيل المؤمن الذي يتماسك بروابطه الإيمانية حين يصدق أبناؤه الوفاء بالأمانة والعهد الأول مع الله والولاء الأول مع الله ، وكل عهد وولاء ينبع منهما ويرتبط بهما في الحياة الدنيا ، وبكل ما يترتب على ذلك من مسؤوليات وواجبات .

الباب الخامس

النظرية العامة للدعوة الإسلامية

الفصل الأول

أهمية النظرية العامة للدعوة الإسلامية ودورها وضرورتها

١ - من أين تنطلق النظرية العامة للدعوة الإسلامية؟!

تنطلق النظرية العامة للدعوة الإسلامية من قواعد الإيمان والتوحيد ومن منهاج الله ، وفي الوقت نفسه من حاجة واقع المسلمين اليوم ، الواقع الذي تموج فيه الخلافات ويحتد الصراع والشقاق بصورة مريعة مؤلمة ، وعلى مدى طويل ، لم توقفه الفواجع والنكبات ، ولا الهزائم ولا المجازر .

٢ - إلى ماذا تهدف النظرية العامة؟!

وتهدف النظرية العامة في جملة ما تهدف إليه إلى إبراز الأسس الربانية الضرورية لإرساء قواعد لقاء المؤمنين على طريق بناء الأمة المسلمة الواحدة .

٣ - ماهو دور النظرية العامة وما أهمية هذا الدور؟!

وهي تجمع في الوقت نفسه وبصورة موجزة مركزة القواعد الرئيسة التي تحتاجها الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي كله في مختلف ميادين نشاطه ، وينبع ذلك كله من منهاج الله ومن حاجة واقعنا الذي ندرسه من خلال منهاج الله . ويمضي العمل بعد ذلك منهجياً تحددت دربه وأهدافه ووسائله .

والنظرية العامة تكشف كذلك شدة الترابط بين مسؤولية الفرد ومسؤولية الأمة والموازنة بينهما ، حتى لا يقع تصادم واضطراب ، ويمضي المسلمون جميعاً أفراداً وجماعات وشعوباً على درب واحد هو الصراط المستقيم ، ليكونوا أمة مسلمة واحدة في الأرض ، استجابة لأمر الله تعالى .

إنها توجه عمل المسلم ونشاط الأمة إلى القواعد الربانية ، ليكون التفكير منهجياً ، وليكون العمل منهجياً ، وليصبَّ كله في مجرى واحد ، يجمع الجهود المؤمنة الصادقة المتجهة إلى الله سبحانه وتعالى .

وهي تبرز في الوقت نفسه قضايا كثيرة أهمها المسلمون في واقع حياتهم ، لتدخل هذه القضايا في النظرية أولاً ، ثم في النهج والتخطيط والدراسات المفصلة ، ثم في الممارسة والتطبيق ، والإعداد والتدريب .

فمن بين هذه القضايا أهمية وضع منهج محدّد يساعد المسلم على تدبّر منهاج الله - قرآناً وسنة ولغة عربية - . وتبرز في الوقت نفسه أهمية دراسة اللغة العربية لتكون جزءاً من دراسة منهاج الله في حياة المؤمن .

وتبرز النظرية قضية الإيمان والتوحيد ودورها وأهميتها في مسيرة الدعوة الإسلامية ، وأهم مظاهر الخلل في واقع المسلمين بالنسبة لها ، ووسائل معالجة ذلك .

وتثير قضية الواقع وضرورة دراسته من خلال منهاج الله ، دراسة ترتبط بقضية الإيمان والتوحيد ومنهاج الله ، ليردّ الواقع إليها ، ولتنضبط دراسته على أساسهما ، فلا يغالى بدور الواقع وأهميته حتى يبرز على غيره من العوامل أو ينفصل عنها ، فيقع الانحراف ، ولا يهتمُّ حتى يضطرب النهج والتخطيط ، والموازنة والموقف .

وتبرز النظرية العامة أهمية تحديد المشكلات في الواقع من خلال النظرة الإيمانية ، حتى يوضع العلاج الناجح بإذن الله .

وتُبرز النظرية العامة كذلك أهمّ الخصائص الضرورية للداعية حتى يستطيع النزول إلى الميدان وهو مزوّد بالزاد الضروري .

ثم تبرز النظرية أهم العناصر الضرورية للتنفيذ والمعالجة في الميدان . إنها تبرز أهمية النهج والتخطيط العام ، والنهج والتخطيط لكل ميدان ونشاط ، وتبرز دور الدعوة إلى

الله ورسوله ، ودور التربية والبناء ، ودور التدريب والإعداد ، التدريب المنهجي بأنواعه المختلفة .

إنها تبرز كذلك دور ميدان الأدب ، ليأخذ الأدب صورته ومنهجه الإيماني ، بدلاً من أن يتفلّت ويتيه بين مذاهب الغرب والشرق ، فيفقد تميّزه ولا يظهر أهميته في الدعوة الإسلامية ، ولا تظهر إنسانيته وعالميته ، ولا خصائصه الجمالية المتفردة .

إنها تبرز كذلك دور الإدارة والتنظيم وأهميتهما في حياة الإنسان عامة والمسلمين خاصة .

كما تبرز النظرية العامة : ميزان المؤمن ، والمؤسسات الإيمانية ، وأهمية التقويم على أن يكون منهجياً دورياً .

إنها تبرز كذلك أهمية التفكير المنهجي المنضبط بضوابط الإيمان والتوحيد ومنهاج الله .

وإنها تبرز كذلك أهمية الماضي على الصراط المستقيم ، حتى ينمو الزاد والتجربة والخبرة ، فينمو العمل ويزكو ، وينمو الإتقان والإحسان في العمل كله .

وتمضي المسيرة بذلك على صراط مستقيم ، على الصراط المستقيم الذي بيّنه الله لنا في المنهاج الرباني .

إنها تثير قضية الموازنة في نشاط المسلم وحياة الأمة ، الموازنة التي يضع قواعدها منهاج الله .

إنها تنزل الشعارات الإسلامية التي ظلت زمناً طويلاً دون رصيد حقيقي في الواقع ، إنها تُنزلها إلى ميدان الدراسة والنهج والتخطيط ، ثم الممارسة والتطبيق .

إنها ترتبط بمدرسة النبوة الخاتمة وتقتفي آثارها ، لتكون امتداداً عملياً لها . وتستفيد من تجربة الدعوة الإسلامية في مختلف عصورها ، ومن جهود الأئمة الأعلام على مدى

التاريخ ، حين يُردّ ذلك كله إلى منهاج الله ليظل هو المرجع للمسلمين على مدى العصور والأجيال ، والمصدر الذي تصدر عنه في كل قضايانا .

والنظرية العامة لاتقف عند حدود المصطلحات وتعريفها ، ولكنها تمتد إلى ميادين الدراسات المنهجية التفصيلية لكل قضية تعرضها أو ميدان تدخله . وتمتد كذلك إلى المناهج التطبيقية سواء أكان ذلك في ميدان الدعوة والبلاغ ، أم التربية والبناء ، أم الإعداد والتدريب . وتقدّم النظرية العامة مع هذا كلّ النماذج العملية في ممارسة بعض القواعد ، لتعين هذه النماذج على فهم أدقّ للقواعد والنظرية . إنها تقدم النماذج للمنهاج الفردي ، ولمنهج لقاء المؤمنين ، ولميزان المؤمن ، وللتقويم الدوري بجميع أنواعه . وتقدم نماذج من الشعر والأدب ، ومن الملاحم .

والنظرية العامة ، حين تجعل مرجعها الأول الإيمان والتوحيد ومنهاج الله ، وتردّ كلّ قضاياها إليهما ، فإنها تستفيد من تجربة الإنسان في ميدان الواقع في أمور جعلوها معزولة بضلالهم عن دائرة التصرّ للكون والإنسان والحياة والموت ، والدار الآخرة والغيب والمشهد . نحن المسلمين نملك التصرّ الحق لهذه القضايا كلها ، ونحن المكلفون بتبليغ هذا التصور الحق للناس كافة ، مع أصدق صورة لممارسته وتطبيقه في الواقع البشري . إننا نستفيد من تجربة الإنسان خارج هذه الدائرة ، وخارج ماينتج عنها من فكر أو أدب . إن أهم مايمكن أن نستفيد منه هو الصناعة والعلوم التطبيقية التي أساء أصحابها استخدامها ، فجعلوها أداة عدوان وظلم ، وشهوات وجرائم .

إننا نريد أن نستفيد من تجربة الشعوب في هذين الميدانين : الصناعة والعلوم التطبيقية التابعة لها ، حتى نضع هذا كله في خدمة الإنسان وبناء حياته الطاهرة النظيفة في أجواء الأمن والسلام والحرية الحقيقية المتوازنة العادلة .

إن المسلمين أولى الناس لأن يسبقوا إلى البحث والدراسة في آفاق الكون والحياة لئرى آيات الله البينات ، وليقيموا من البحث والدراسة علوماً تهبهم القوة ، وصناعة يضعونها

في طاعة الله وخير الإنسان ، ودرء المظالم والعدوان والفساد والإفساد .

ومن المؤسف حقاً أن نرى الكثيرين قد أقبلوا على حضارة الغرب ليأخذوا عنها شرّها وفسادها ، وفتنة فكرها وفلسفتها ، وعلمانيتها ، وحرية الجنس والفاحشة ، والحدائث ، وكل ذلك في النظرية والتطبيق ، ولم يأخذوا الصناعة والعلوم التطبيقية إلا في مجال محدود ضيق !

ومن المؤسف أن تُهدَر الطاقات والمواهب في الدفاع عما يسمونه الشعر الحرّ أو الشعر المنثور أو النثر المشعور ، ولا تجد إلا القليل ممن يسرع لتعلّم صناعة تطبيقية مثمرة بدلاً من صناعة شعر منثور ! فلم يعط الشعر الحرّ ولا المنثور للأمة قوة وتقدماً ، ولم تعطِ العلمانية الأمة صناعة وقوة ومدداً ، وظل المسلمون بالرغم من الشعر المنثور والنثر المشعور يُعتبرون من العالم الثالث المتخلف . شغلوا الأمة بالسفاسف ، حتى ألهيث عن معالي الأمور ، وشغلت عنها !

ربما يقول قائل ليس في الكتاب والسنة هذا المصطلح ، **مصطلح النظرية العامة للدعوة الإسلامية** ، ولم يستخدمه الصحابة رضي الله عنهم ، فما حاجتنا إليه ؟

فنجيب على ذلك بأن الكتاب والسنة كما جاء باللغة العربية هما الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهما تنزيل من عند الله العزيز الحميد . ومهمة الإنسان أن يطبّق هذا المنهاج الرباني في واقع الحياة البشرية المتجدّدة في أحداثها ومشكلاتها ، الثابتة في سننها الربانية .

ومن خلال هذه الممارسة الإيمانية لمنهاج الله في الواقع البشري لابدّ من الدراسات والأبحاث ليقوم النهج والتخطيط عليها . لابدّ من دراسة الواقع وأحداثه من خلال منهاج الله كما يفرض الإسلام ويتطلب الإيمان ، ولابدّ من التجول في الكون والتعرّف على آيات الله فيه ، ولا بدّ من «السير في الأرض» لننظر كيف كان مصير الأمم الغابرة ، ولا بدّ من دراسة مشكلات كل واقع والاجتهاد في وضع الحلول والعلاج .

لذلك نجد أن علماءنا الأعلام في تاريخنا الطويل أثروا الفكر الإنساني بما قدموه من دراسات ومصطلحات في : الفقه والتفسير ، ومصطلح الحديث ، وما نشأ عن ذلك من علوم كانت ثمرة جهد بشري ، لاتجد ماقدّمه هذا الجهد البشري المبارك من مصطلحات في الكتاب والسنة ، ولكن تجد أنهم اتبعوا القرآن والسنة فيما قدّموه من دراسات ومصطلحات اجتهدوا فيها غاية اجتهادهم .

و « النظرية العامة للدعوة الإسلامية » ، والممارسة الإيمانية ، والنهج والتخطيط ، والتدريب وأنواعه ، والتقويم ونماذجه ، والمؤسسات الإيمانية ، والوسع الصادق والوسع الكاذب ، والمنهج الإيماني للتفكير ، وسائر ماقدمناه من دراسات ومصطلحات جديدة هي من هذا الباب الذي يجعله الإسلام مفتوحاً أمام الجهد البشري المؤمن ، وعلى هذا الدرب الذي يجعله الإسلام ممتداً .

٤ - ماذا تقدّم النظرية العامة ؟ ! :

كما تقدّم النظرية العامة التصوّر المتكامل المترابط للفقه في الإسلام وامتداده في جميع شؤون الحياة وميادينها ، وامتداده في قطاعات الأمة كلها ومستوياتها ، ابتداءً من الفرد والأسرة والبيت ، إلى الوظيفة والعمل ، إلى التجارة والاقتصاد ، إلى شؤون الحكم والدولة وسائر ميادين الأمة ومستوياتها .

كما تقدّم لنا النظرية العامة والدراسات المتعلقة بها أهمية النظرية والتطبيق ، وتوفير الوسائل النامية للتدريب ، وأهمية الإشراف والمتابعة والتوجيه ، والإدارة والنظام ، والشورى والتعاون والتنسيق ، ليكون ذلك كله من خلال منهج واضح مفصّل ، نامٍ مع الممارسة .

من خلال توافر هذه القضايا والقواعد كلها ، يغمرها النور من منهاج الله ، نرجو أن نوفّر الفرصة الغنية لتقريب وجهات النظر في الساحة الإسلامية ، وتقريب المسافات ، وتضييق شقة الخلاف ، وجمع النفوس والقلوب ، وتوحيد العزائم

والجهود ، على طريق طويل ممتد على صراط مستقيم إلى الجنة والدار الآخرة ورضوان الله ، لنشَقَّ الدرب إلى لقاء المؤمنين الصادقين وبناء الأمة المسلمة الواحدة في الأرض .

ومهما تكن الخطة صادقة والنهج سليماً والنظرية متكاملة والأهداف جليّة ، فإن النجاح لا يتوقف عليها فحسب ، وإنما على الطاقة البشرية التي تحملها ، وعلى القضايا التالية :

- مدى وعي الطاقة البشرية لذلك كله .
- ومدى إيمانها به وإدراك مسؤوليتها على ذلك في الدنيا وحسابها في الآخرة ، ومدى التزامها وتطبيقها له في واقعها وحياتها .
- ومدى قوة نهوضها به والدعوة إليه بوضوح وجلاء ، مع نور الحجّة من الكتاب والسنة ، وتلبية حاجة الواقع .
- وأخيراً فإن الأمر كله لله يفعل ما يشاء ، يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء . إننا نبذل جهدنا ووسعنا على هدي من منهاج الله ونور الإيمان طاعة لله ولرسوله !
- من هذا العرض السريع ندرك أهمية النظرية العامة للدعوة الإسلامية وأهمية دورها وضرورتها ، في حياة المسلم الفرد والبيت والأسرة ، والجماعة والأمة .
- ويزداد وضوح أهميتها وضرورتها ، حين ندرك أن هذه النظرية العامة للدعوة الإسلامية لا تتمثل في هذا الموجز ، وإنما في الدراسات المفصلة التي تناولت كل بند فيها وكل جزء وعنصر .

ومن خلال هذا الموجز ، ومن خلال الدراسات التفصيلية ، فإن النظرية العامة للدعوة الإسلامية تذكّر بما أمر الله به من تكاليف وقواعد ، وتصور ونية وفكر . إنها تذكّر بهذا كله ، ثم تضع النهج الذي يربط هذه التكاليف والمسؤوليات في واقع المسلمين اليوم ،

ربطاً يسهّل على المسلم ممارستها .

والنظرية العامة هذه تعين على معرفة الخطأ وتحديد أسبابه ووسائل معالجته ، حتى يصبح الخطأ مدرسة يتعلّم فيها المسلم أو ترسخ في ذهنه القواعد الإيمانية .

٥ - ممّ تتألف النظرية العامة للدعوة الإسلامية؟!

تتألف النظرية العامة من ستة بنود رئيسة ، كلُّ بند له مسمّاه ومصطلحه ، وله تعريفه ، وله دوره ووظيفته .

وتتألف كذلك من خمس مراحل تضم البنود الستة .

٦ - ماهي البنود الستة؟!

أولاً : القاعدة الصلبة .

ثانياً : الركنان الرئيسان .

ثالثاً : القضايا والمشكلات الأربع الكبرى الرئيسة في الميدان .

رابعاً : عناصر التنفيذ

خامساً : المضيّ على الصراط المستقيم

سادساً : الهدف الأكبر والأسمى .

٧ - ماهي المراحل الخمس للنظرية العامة للدعوة الإسلامية؟!

المرحلة الأولى : التزوّد بالزاد الرئيس الضروري للداعية .

المرحلة الثانية : دراسة الميدان .

المرحلة الثالثة : التنفيذ والعمل .

المرحلة الرابعة : المضيّ على الصراط المستقيم والمداومة دون توقّف أو انحراف .

المرحلة الخامسة : إلى الهدف الأكبر والأسمى .

الفصل الثاني البند الأول القاعدة الصلبة قضية الإيمان والتوحيد

إن القاعدة الصلبة هي القاعدة التي تقوم عليها النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، والتي تحمل سائر البنود ، والتي تمتد في كل بند وكل عنصر وكل جزء ، وتسري فيها كما يسري الماء في الساق والأغصان ، أو الدم في العروق .

إنها قضية الإيمان والتوحيد . إنها القضية التي بعث الله من أجلها جميع الرسل والأنبياء لتكون أساس دعوتهم وأساس بلاغهم ، ولتكون كذلك في مسيرتها بعد النبي الخاتم محمد ﷺ ، حين تتولى الأمة المسلمة مسؤولية الدعوة الإسلامية في الأرض .

إنها جوهر الدعوة الإسلامية وروحها وحقيقتها . إنها الحقيقة الكبرى في الكون والحياة . إنها الحق الذي تقوم عليه السموات والأرض والحياة الدنيا والآخرة . إنها الحقيقة الكبرى في حياة كل إنسان والقضية الأخطر من أي قضية أخرى ، والقضية الكبرى والأخطر في حياة كل أمة ، والقضية الكبرى والأخطر في حياة البشرية كلها في جميع العصور وجميع بقاع الأرض .

إنها القضية التي تقوم على أساس شهادتي التوحيد :

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ رسول الله .

إنها الهدف الثابت الأول من الأهداف الربانية الثابتة الستة ، كما فصلها وحدّدها المنهاج الرباني . فهي القضية الأولى التي تحتاج إلى دراسة وتدبر على ضوء الواقع ، لتُدرس الدعوة الإسلامية أفضل سبل البلاغ والبيان على أساس من منهاج الله ، ولتضع النهج والتخطيط ، ولتُدرس مظاهر الخلل في الواقع ، وتضع وسائل العلاج . إنها تحتاج إلى جهود مركزة وعمل دائم .

وقضية الإيمان والتوحيد ، ليست مجرد قاعدة صلبة تحمل كل بنود النظرية العامة للدعوة الإسلامية فحسب ، ولكنها قضية تظلّ تمتدّ ويمتدّ أثرها في كل بند من بنود النظرية العامة وفي كل جزء منها ومن بنودها .

إنها العامل الضابط الأوّل الذي يضبط عمل كل بند وجزء ، وكل نشاط للإنسان المسلم في أيّ ميدان من ميادين الحياة ، وتنضم إليه العوامل الأخرى التي تضبط الفكر والعمل في جميع مراحلها .

إنها العامل الذي يُنقّي ويوجّه ويغذّي في وقت واحد . إن الإيمان والتوحيد ينقل الإنسان نقلة عظيمة هائلة ، نقلة نقاء وتوجّه وقوة وغذاء دائم مستمر . إن الانتساب لأيّ عقيدة أخرى لا يتطلب تغييراً جوهرياً متكاملاً في الإنسان ، ولكن الانتساب إلى الإسلام والتزام الإيمان والتوحيد يغيّر في المسلم الصادق فكره ونفسيته وطعامه ولباسه ، وسعيه ونهجه ، وأهدافه ووسائله وأساليبه .

إن واقع الناس في الأرض يشير إلى أن الناس لم يُنزلوا هذه القضية منزلتها العادلة ، ولم يعطوها حقّها من البذل والعطاء ، سواء أكان ذلك في حياة الفرد أم الجماعة أم الأمة أم البشرية كلها .

إن قضية الإيمان والتوحيد ليست قضية تصوّر فحسب . إنها قضية يقوم عليها كل جهد الإنسان المؤمن . فهي قضية مفاصلة وحسم ، ولاتلتقي مع الكفر بأي صورة من الصور . وهي قضية تكاليف والتزام ، حتى تنعكس هذه القضية على واقع الإنسان في الأرض . فلا يعقل أن تكون هي القضية الكبرى والأخطر في الكون والحياة ، وتكون السبب الذي يحدّد مصير الإنسان في الآخرة ، ثم لا يكون لها أثر في الحياة الدنيا . لذلك ينشأ عنها تكاليف ربّانية على المؤمن أن يتلزمها وينهض إليها ليوفيها بذلاً صادقاً . وهي قضية مسؤولية وحساب ، من خلال ابتلاء وتمحيص كتبه الله على بني آدم في هذه الحياة الدنيا ، حتى تقوم الحجة له أو عليه يوم القيامة في موقف مشهود . فكم من رجل يدّعي

أنه يعمل الله ، والناس لاتعلم منه إلا مظهره ، والله وحده يعلم ما يخفي وما يعلن من صدق أو كذب أو نفاق .

الإيمان والتوحيد قضية الفطرة التي فطر الله الناس عليها . إنها نعمة الله الكبرى على الإنسان حين أودعها في فطرته وكيانه ، وخلقها وأسهره ، كما أودع سائر الميول والغرائز والقوى لتؤدي كل واحدة منها دورها الذي خُلِقَتْ له ، ولتعمل مع سائر الميول والغرائز والقوى لتدفع الإنسان إلى الخير والحق ، مادامت هذه القوى والغرائز متوازنة تعمل على النهج الذي أراده الله لها .

وحتى يتحقق هذا التوازن في الفطرة السليمة في ابن آدم لابد أن يستقر الإيمان والتوحيد في الفطرة والقلب .

ولنوضح ذلك نشبه الفطرة بالبستان ، والغرائز والقوى بالغراس والأشجار ، والإيمان والتوحيد بالنبع النقيّ الغنيّ ، والنية الخالصة لله هي المفتاح الذي يفتح نبع الإيمان والتوحيد ليرى جميع الغراس والأشجار رياً عادلاً متوازناً ، فتنمو كلها نمواً طاهراً متوازناً ، وتركو الثمار التي هي عمل الإنسان لتكون تقوى وصلاًحاً .

فإذا فسدت النية انقطع الريّ من نبع الإيمان والتوحيد وانفتح نبع آخر من أي شهوة أو قوة أخرى نمت نمواً زائداً ، حتى أخذ تأثيرها يمتدّ إلى غيرها ، حتى تصبح كأنها النبع الفاسد الذي أخذ يروي الغرائز والميول والقوى ، فيفسد الريّ ويضطرب ولا يعود متوازناً ، ولاتنمو الغراس متوازنة ، ولا تتركو الثمار التي هي عمل الإنسان ، فتصبح فجوراً وفساداً .

من هنا نرى أهمية النية في كل عمل الإنسان . إنها مسؤولية الإنسان الأولى التي تقرر بعد ذلك سائر أعماله ومدى ارتباطها بالإيمان والتوحيد ومنهج الله :

ولتتدبر هذه الآيات الكريمة التي تصور لنا بأسلوب ربانيّ معجز ما عرضناه أعلاه :

﴿ونفس وماسواها * فאלهما فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾

[الشمس : ٧-١٠]

ومن هذا التصوّر نرى امتداد الإيمان والتوحيد في كل جزء من أجزاء النظرية العامة ، وأثر النية وخطورتها في حياة الإنسان وفكره وسعيه وعمله ، وأثر الفطرة واستقامتها .

وسيرز لنا هذا الأثر العظيم ونحن ندرس سائر بنود النظرية العامة ، بعد قليل . ولكننا هنا لا بد أن نشير إلى أهمية الفطرة حتى تظل سليمة ، وحتى تظل القوى العاملة فيها تؤدي دورها العادل الأمين في حياة الإنسان ، في فكره وتصوره ، ونهجه وأهدافه ، وسعيه وعمله .

من هنا نقول إن الحق الأول للإنسان هو حماية فطرته التي فطره الله عليها . إن حماية الفطرة هو الحق الأول للإنسان ، وواجب مختلف وسائل الدعوة والتربية والإعلام وضع الخطط والمناهج التي تساعد على توفير هذه الحماية .

إن الحرية الفردية المطلقة في ميدان الجنس والشهوات ، والحرية بعد ذلك في وسائل الإعلام الغربي العلماني ، محطّم للفطرة السليمة ، مفسد لها ، ومفسد بعد ذلك للفكر والنهج والسعي والعمل ، ومفسد للميزان الذي يزن الناس به الأمور والقضايا^(١)

(١) تراجع الكتب التالية للمؤلف ، الكتب التي تبحث في الفطرة وأهميتها وحق حمايتها حقاً أول للإنسان : «التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الإلتقاء الصادق إلى الإسلام» : الباب الثالث - الفصل الرابع «المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية» الباب الخامس - الفصل الثالث . «الأدب الإسلامي انسانيته وعالميته» : الباب الثاني - الفصل الأول .

الفصل الثالث البند الثاني الركنان الرئيسيان المنهاج الرباني والواقع الذي يُدرّس من خلاله

إن قضية الإيمان والتوحيد تطلق طاقة الإنسان وتفتح بصيرته إذا صفا إيمانه وصدق . فيدفع الإيمان الإنسان دفعاً إلى منهاج الله ، ومنهاج الله يغذي إيمانه ويُثَقِّيه . ويمضي التأثير متبادلاً بين منهاج الله وبين الإيمان .

والإيمان الصادق عامل أساسي في تدبُّر منهاج الله ، الإيمان واللغة العربية هما المفتاحان الأساسيان لتدبُّر منهاج الله - قرآناً وسنةً ولغةً عربيةً .

ومنهاج الله يدعو إلى دراسة الواقع وفهمه من خلال منهاج الله ، على أن تكون دراسة منهاج الله دراسة منهجيةً صحيحةً عمر وحياة ، وأن تكون **دراسة الواقع** كذلك دراسة منهجيةً . فالركنان الرئيسيان اللذان يقومان على القاعدة الصلبة هما :

المنهاج الرباني - قرآناً وسنةً ولغةً عربيةً - .

الواقع من خلال المنهاج الرباني .

١ - **المنهاج الرباني ودراسته دراسة منهجية - الركن الرئيس الأول :**

لا بد من وضع نهج وخطة لتدبُّر منهاج الله تدبُّراً حقيقياً . ونرى أن يتم ذلك من خلال نظرية المنهاج الفردي من ناحية ، ونظرية منهج لقاء المؤمنين من ناحية أخرى . فالمنهاج الفردي يُقصد منه الدراسة والعلم ، ومنهج لقاء المؤمنين يُقصد منه الإعداد والتدريب على خطوات أساسية وقواعد إيمانية ، كل ذلك من خلال منهج متكامل مترابط .

وتهدف من ذلك إلى أن يعود المنهاج الرباني ليؤدّي الدور الذي كان يؤديه في مدرسة النبوة الخاتمة ، ليصوغ فكر المؤمن ونفسيته وشخصيته . وأساس دراسة المنهاج الرباني هو أن تكون دراسة متكاملة مترابطة : دراسة القرآن والسنة واللغة العربية . وتقوم دراسة القرآن الكريم على التلاوة بأحكامها على أن يكون التدبر هو هدف كل أحكامها ، ثم الدراسة مع التدبر ، والحفظ مع التدبر والمراجعة وتمضي التلاوة والدراسة والحفظ والمراجعة معاً وفق خطة متناسقة . ودراسة السنة تبتدىء حسب مستوى المسلم : فأولها الأربعون النووية ، ثم رياض الصالحين ، ثم كتاب جامع من كتب السنة ، أو أحد كتب الصحاح أو السنن المسانيد . وكذلك منهج محدّد لدراسة اللغة العربية . وموضوعات أخرى يشملها المنهاج الفردي لتقدّم كلها نظرية متكاملة ، تمرّ بمراحل حسب وسع الإنسان ، ولتوفّر المرونة اللازمة لملائمة كل واقع ووسع .

٢ - دراسة الواقع دراسة منهجية من خلال المنهاج الرباني - الركن الرئيس الثاني :

ويكون هذا الركن الرئيس الثاني . ذلك لأن المنهاج الرباني . أنزله الله ليمارس في واقع الحياة ، ولأن الواقع يجب أن يردّ إلى منهاج الله ، ويفهم من خلاله .

ودراسة الواقع مشمولة بنظرية المنهاج الفردي ونظرية منهج لقاء المؤمنين . ونقسم الواقع إلى ثلاثة أقسام : الواقع الشخصي الذي يدرس في اللقاء الجانبي ، والواقع الآني ، والواقع المنهجي . ومن خلال دراسة الواقع الآني يؤخذ موضوع من موضوعات الساعة ليدرس من خلال منهاج الله في دراسة مكتوبة ، لتمثل هذه الدراسة صورة من صور التدريب على رد الأمور إلى منهاج الله .

إن نظرية المنهاج الفردي ونظرية منهج لقاء المؤمنين ، ودور المنهاج الرباني وأهمية الواقع ودراسته نجدها مفصلة في الكتب التالية : دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية ، منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ، منهج لقاء المؤمنين . ونجد التدريب وخطته بأنواعه كلها في كتاب «النظرية العامة للدعوة الإسلامية - نهج الدعوة وخطه التربية والبناء» .

إننا نجد امتداد قضية الإيمان والتوحيد إلى هذين الركنين الرئيسين : المنهاج الرباني والواقع الذي يُدرّس من خلال المنهاج الرباني . ونرى التأثير المتبادل فالإيمان يدعو المسلم ليقبل على دراسة منهاج الله وتدبره ، ومنهاج الله يعود فيغذي الإيمان والتوحيد ، وهكذا في تأثير متبادل ماضٍ مادام المسلم يصاحب منهاج الله صحبة منهجية ، صحبة عمر وحياة .

ويعود المنهاج الرباني والإيمان والتوحيد يؤثران معاً في فهم الواقع ووعيه حين يُردُّ إليهما ، ليرسما معاً نهج دراسة الواقع وفهمه .

ويمكن أن نمثل هذه القضايا الثلاث : الإيمان والتوحيد ، المنهاج الرباني ، الواقع من خلال منهاج الله ، الأمور التي هي منطلق الدعاة وزادهم الأول ، والتي هي أساس (المنهاج الفردي) وأساس (منهج لقاء المؤمنين) ، بالنموذج التالي :



هذا هو أساس النظرية العامة للدعوة الإسلامية . يحدّد هذا الأساس منطلق الدعاة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد ، وزادهم الأول الرئيس الذي يمشون به زاداً نامياً مع الممارسة والتطبيق .

هذا هو المنطلق وهذا هو الزاد ، ولا غناء للمسلم عنه ، ولا غناء للمسلمين بعامة ، ولا غناء للدعوة الإسلامية عن هذا التصوّر ، لا ليكون شعاراً ، ولكن ليصبح نهجاً وتخطيطاً ، وممارسةً وتطبيقاً ، عملاً ماضياً ليرتبط مع غيره من الأعمال الأخرى التي تكشفها لنا البنود الأخرى من النظرية العامة .

ونرى كذلك أهمية هذا التصور بالنسبة للفرد المسلم ومسؤولياته ، وبالنسبة للأمة المسلمة كلها ، في جميع العصور والأقطار .

هذا هو المنطلق وهذا هو الزاد الأول الضروري للداعية ، الزاد الأول الرئيس الذي يُبنى عليه كل زاد جديد من خلال المسيرة : خبرة وتجربة ، علماً يحتاجه المسلمون من العلوم التطبيقية والصناعية ، إتقاناً وإحساناً ، ونموً ذلك كله .

ونرى تماسك هذين البندين وأجزائهما الثلاثة وترابطها حتى يتعذر الفصل بينهما . نرى تماسكها حتى تكون كلها بتناسكها أساس الفقه في الإسلام ، وأساس التصور ، وأساس العمل .

إن هذه الأجزاء الثلاثة المتناسكة تكوّن القاعدة الرئيسة التي يقوم عليها الفقه . فالفقه في أساسه يقوم على الإيمان والعلم بمنهاج الله والواقع من خلال منهاج الله ، ثم ممارسة منهاج الله في الواقع ممارسة إيمانية غنية بالإيمان والتوحيد .

الفصل الرابع

البند الثالث

القضايا والمشكلات الأربع الكبرى في الميدان

فإذا نزل الدعاة إلى الميدان وجدوا أن أمامهم مشكلات كثيرة ، وخلقاً واسعاً يحتاج إلى علاج . ولو بدؤوا بكل مشكلة جزئية يعالجونها بصورة منفردة لطال الأمد ، وما بلغوا الغاية . ولكن جميع هذه المشكلات يمكن أن ترتبط بواحدة أو أكثر من مشكلات أربع رئيسية ، يجب البدء بعلاجها وفق نهج محدد وخطة مدروسة .

وهذه المشكلات الأربع الرئيسة يشير إليها ويبرزها أمام الدعاة الواقع نفسه حين يدرسون من خلال منهاج الله . ويشير إليها ويبرزها وأهميتها ودورها منهاج الله كذلك .

إنهم يجدون أن أول هذه القضايا والمشكلات هو الخلل في التصور لقضية الإيمان والتوحيد ، والخلل في دراسة هذه القضية والتخطيط لها ، والخلل في النشاط المبذول لها والتقصير به . إنهم يجدون ضرورة البدء بهذه القضية قبل أي قضية أخرى ، وضرورة وضع النهج والخطة المفصلة للعمل من أجلها في الواقع البشري .

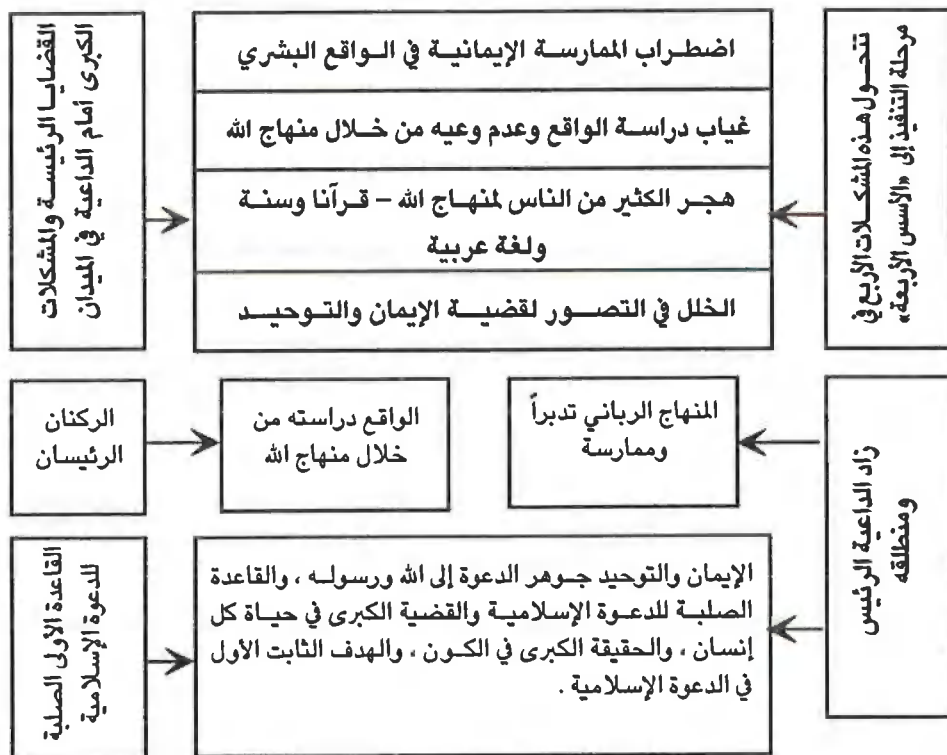
ثم يجدون أن هجر الناس لمنهاج الله - قرآناً وسنة ولغة عربية - هي المشكلة الخطيرة التي تلي ، والتي تحتاج إلى علاج ونهج وخطة كذلك ، إنها قضية خطيرة هامة تلي قضية الإيمان والتوحيد وترافقها .

ثم تبرز القضية الثالثة ، وهي جهل الناس بالواقع وبما يدور حولهم ، وعدم محاولة فهمه من خلال منهاج الله على نهج وخطة كذلك .

ثم تبرز المشكلة الرابعة التي هي نتيجة طبيعية لوجود المشكلات السابق ذكرها ،

إنها مشكلة الخلل والاضطراب في الممارسة الإيمانية في واقع الحياة وميادينها المختلفة .

ومن هنا تنضم هذه المشكلات الأربع التي برزت أهميتها في الميدان والواقع ، أو القضايا الأربع إلى القاعدة والركنين ، لتنمو بها النظرية العامة للدعوة الإسلامية . ويمكن تمثيل ذلك على النحو التالي :



إذن قبل أن ينطلق الداعية يجب أن يكون له زاده العادل الحق ومنطلقه ، فإذا نزل إلى الميدان وجد أمامه القضايا الرئيسة والمشكلات الكبرى في ميدان الواقع ، القضايا والمشكلات التي تحتاج إلى علاج وبذل وجهد من الدعاة ، وإلى دراسته وخطة ونهج .

هذه هي المشكلات الأربع الكبرى الرئيسة . وكما ذكرنا فأى مشكلة أخرى في

الواقع يمكن أن يرتبط حلها بحل واحدة من هذه المشكلات الأربع الكبرى ، أو بأكثر من واحدة .

ولكن أخطر هذه القضايا الأربع هي قضية الإيمان والتوحيد . إن كل حل أو تخطيط لا يبدأ بهذه القضية ومعالجتها في الواقع هو حل فاشل لن يصل إلى نتيجة .

وكيف يمكن الوصول إلى حلول في واقع المسلمين إذا كانت هذه القضية لم تعالج ولم تنل من الدراسة والبذل والجهد ماتستحقه .

إن أول الدراسات هو محاولة تحديد مظاهر الخلل والاضطراب في التصور لهذه القضية الخطيرة وفي الجهود المبذولة لها ، حتى يمكن بعدئذ وضع العلاج وأساليب الإصلاح ، إذن لابد من تحديد المرض قبل وضع العلاج والدواء .

نحاول أن نوجز هنا أهم مظاهر الخلل البارزة في واقع المسلمين اليوم في قضية الإيمان والتوحيد :

١ - لم يُنزل الكثيرون هذه القضية منزلتها العادلة الأمانة ، ورفعوا فوقها قضايا جزئية في ميدان الإسلام ، قضايا جزئية إذا قيسَت بهذه القضية .

٢ - اضطرب التصور لدى كثير من المسلمين ، حتى ظن بعضهم أنه يجب إثبات وجود الله كما تثبت وجود أي شيء مادي ، . وغاب عن بالهم أن قضية الإيمان والتوحيد هي أولاً قضية الفطرة السليمة التي لم تنحرف . فالفطرة التي فطر الله الناس عليها هي العامل الرئيس الوحيد المشترك بين جميع خلق الله ، الفطرة التي غرس الله فيها الإيمان والتوحيد ، ثم زوّدها حتى تستطيع استقبال آيات الله المثبوتة في الكون ، واستقبال رسالة الأنبياء .

٣ - اضطراب التصور لمعنى الألوهية والربوبية ومعنى عبودية الإنسان لله رب العالمين ، اضطراب التصور عن التصور الحق الذي يعرضه منهاج الله .

٤ - اضطراب الولاء والعهد الأول والحب الأكبر ، حتى لم يعد يبدو أن ذلك كله هو الله رب العالمين ، لينبع منها بعد ذلك كل ولاء وعهد وحب في الدنيا . فاضطرب معنى الخشوع والخشية ، ومعنى الرجاء والدعاء واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى .

٥ - لم تعد قضية الإيمان والتوحيد لدى الكثيرين قضية مفصلة وحسم ، ولا قضية تكاليف والتزام ، ولا قضية مسؤولية وحساب . فظن بعضهم أنه حسب التلفظ بالشهادتين ثم ينكر الشعائر كلها وينكر سائر التكاليف ، وربما أقام الشعائر ووقف مع أعداء الله ضد المسلمين بنماذج شتى من الانحراف دفعت كلها أفواجا هائلة من المسلمين ليكونوا في أجواء الخدر والشلل ، تعطلت قواهم ، فما عادوا يقدمون للإسلام ودعوته شيئا ، هذا إذا لم يؤذوا المسلمين . نماذج شتى من الانحراف والعجز والتراجع برزت في واقع المسلمين .

٦ - وكان من نتيجة ذلك أن انحسرت قوى الملايين من المسلمين عن ميدان الدعوة إلى الله ورسوله ، حتى أخذ الميدان يبدو خالياً إلا من العدد القليل بالنسبة للملايين المتعطلة ، ونزل أعداء الله يلجون الميدان بقوة وبذل .

٧ - وأدى هذا الخلل نفسه إلى الخلل في القضايا الثلاث الأخرى : هجر منهاج الله ، عدم وعي الواقع . الخلل في الممارسة الإيمانية .

فالقضية الثانية الكبيرة هي هجر الملايين من المسلمين لمنهاج الله ، وأعداد أخرى تتلوه ولا تعي منه شيئا ، وأعداد تتلوه وتعيه ثم تخالفه في الممارسة والتطبيق . كل هذه الحالات ناتجة عن الخلل في الإيمان والتوحيد .

ولا عجب بعد ذلك أن يجهل الملايين من المسلمين اللغة العربية ، ولا يدركوا أهمية تعلمها وإتقانها من أجل تدبر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . فزاد الخلل وزادت العقبات أمام تدبر منهاج الله وأمام معالجة قضية الإيمان والتوحيد .

ولاعجب بعد ذلك أن يجهل هؤلاء الذين أصاب الخلل إيمانهم ، وهجروا منهاج الله ،

وجهلوا اللغة العربية ، لاعجب أن لايعي هؤلاء الواقع من خلال منهاج الله ومن خلال التصوّر الإيمانيّ للتوحيد . لاعجب في ذلك ولكنّ هنالك حسرة وألم .

ولاعجب بعد هذا كله أن يُساء فهم الواقع ويُساء الاجتهاد ، حتى يميز بعضهم موالاة الكافرين أو العلمانيين ، أو يدعو بدعوتهم ويقف معهم ينصرهم . ساء العلم فساء الاجتهاد .

لاعجب في ذلك كله ، ولكنّ الألم أن هؤلاء جميعهم ، أن هذه النماذج التي أصاب الخلل إيمانها ، فجعلت منهاج الله وهجرته ، وجعلت الواقع من خلال منهاج الله ، وفهمته من خلال المصالح المادية والشهوات الدنيوية ، ساءت ممارستها الإيمانية كنتيجة طبيعية لخلل في الإيمان وخلل في العلم .

لذلك نرى كيف أن الخلل في الإيمان والتوحيد أدّى إلى الخلل في القضايا الثلاث الأخرى ، حتى تكونت المشكلات الأربع الكبرى الرئيسة في الميدان .

وكان من أخطر نتائج هذا الخلل أن تفرّق المسلمون شيعاً وأحزاباً ، وشعوباً وأقطاراً ، وتنافرت الاجتهادات وتناقضت المواقف ، وظهرت العصبية الجاهلية ، وغلبت عاداتها وأعرافها ، ووجد أعداء الله منافذ واسعة يلجئون منها إلى العالم الإسلامي ، إلى دياره وإلى قلوب بعض أبنائه ، يوقدون نار الفتنة بعد الفتنة ، ولهب الصراع والشقاق والتدابير .

والألم والأسى ، والحسرة الحقيقية ، حين ترى الكثيرين من المسلمين يسقطون في وادٍ سحيق وهم يستجيبون لنداء زخارف أعداء الله من فاحشة وهو ، ويغرقون في جحيمها ، حين داهمتهم وهم غير محصنين من قبل بصفاء الإيمان والتوحيد ، وقوة العلم بمنهاج الله ، ووعي الواقع من خلال منهاج الله .

داهمت الفتنة المسلمين وكثير منهم غير محصّن ضدّها ، فهوى في لهيبها وحوّلها ، وفي وادٍ سحيق من الفتنة والفجور .

ومن المؤسف حقاً أن يظل هؤلاء الذين أصاب الخلل إيمانهم بنهاذجهم المختلفة ، مع جهلهم لمنهاج الله ، وفهمهم الواقع من خلال أهوائهم لا من خلال منهاج الله ، أو جهلوا الواقع ولم يبالوا به ، وساءت ممارستهم الإيمانية نتيجة لذلك ، من المؤسف حقاً أن يظل هؤلاء محسوين على الإسلام والمسلمين ، وهم لا ينصرون الإسلام ، وربما خذلوه ونصروا أعداءه .

هذا كله أدى إلى انحراف الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فاضطرب عمل الغرائز والقوى ، واضطرب السلوك والفكر والميزان ، واختلطت الأمور .

منطلق العلاج والعمل حماية الفطرة ما أمكن ، والبدء بعمل منهجي ينطلق من قضية الإيمان والتوحيد .

الفصل الخامس

البند الرابع

عناصر التنفيذ الثمانية

١ - تمهيد :

حين يتقدّم الدّعاة إلى الميدان ، فإنهم مندوبون إلى تحقيق أمرين رئيسين في وقت واحد : إبلاغ رسالة الله كما أنزلت على محمد ﷺ إلى الناس كافّة ، ومعالجة الخلل الذي يجدونه في واقع المتسبين إلى الإسلام .

يتقدّم الدّعاة وهم مزودون بالزاد الحق من صفاء الإيمان والتوحيد ، وصدق العلم بمنهاج الله والواقع من خلاله . وهذا الزاد يُفترض أن يعينهم على سلامة الممارسة الإيمانية .

بذلك يكون قد تكوّن لدى الدعاة أسس أربعة متماسكة ، تكوّن لديهم الزاد الرئيس ، والمنطلق السليم ، والقوة في الزاد والمنطلق . هذه الأسس الأربعة نوجزها بما يلي :

١ - صفاء الإيمان والتوحيد ، وصدق النية وإخلاصها لله سبحانه وتعالى ، والتجرد من الأهواء والشهوات ممّا يفسد النية والإيمان والعلم والعمل .

٢ - صدق العلم بمنهاج الله - قرآناً وسنةً ولغةً عربيّة - ، علماً عن يقين وإيمان ، علماً مرتبطاً بالأساس الأول : صفاء الإيمان والتوحيد وإخلاص النية لله سبحانه وتعالى .

٣ - صدق الوعي للواقع ودراسته من خلال منهاج الله ومن خلال الإيمان والتوحيد ، ومن خلال ردّ الواقع إلى منهاج الله والإيمان والتوحيد .

٤ - سلامة الممارسة الإيمانية التي تعني ممارسة منهاج الله في الواقع البشري على أساس صفاء الإيمان والتوحيد وصدق العلم بمنهاج الله وصدق وعي الواقع من خلالها .

هذه الأسس الأربعة بتماسكها يجب أن تتوافر في الداعية المسلم الذي تقدّم إلى

الناس على أساس أنه داعية لله ورسوله ، وليس داعية إلى حزب سياسي ولا إلى ديمقراطية أو علمانية أو ما ارتبط بهما من أدب وفكر وفلسفة . إنه يتقدم إلى الناس على أنه داعية لله ولرسوله ، لإبلاغ رسالة الله كما أنزلت على رسول الله محمد ﷺ ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة الأوثان والأهواء والعبادة إلى عبادة الله وحده لاشريك له . ومن خلال ذلك ترد السياسة والاقتصاد والاجتماع والأدب ، لنعكس ذلك ، لا أن تأتي الدعوة إلى الله ورسوله من خلال السياسة وحدها ، أو من خلال الأدب وحده ، أو غير ذلك . إن جميع هذه الميادين تخضع لدين الله ورسالته ودعوته وليس بالعكس .

يتقدم الداعية إلى ميدان الدعوة الإسلامية وهو مزود بهذه الأسس الأربعة . فيكون أول عمله دراسة الميدان وتحديد مشكلاته كما ذكرنا قبل الآن . لأن هذه الخطوة هي من صميم النظرية العامة التي تفرض دراسة الواقع من خلال منهاج الله .

فإذا درس الداعية الميدان من خلال منهاج الله ، تحدت أمامه هذه المشكلات الأربع : الخلل في تصور الإيمان والتوحيد ، هجر منهاج الله ، وعدم وعي الواقع من خلال منهاج الله ، الخلل في الممارسة الإيمانية على ضوء ذلك .

فإذا تحدت المشكلات الأربع الكبرى ، انطلق الداعية ليقوم بمسؤولياته والتكاليف الربانية التي عليه ، بحافز إيماني عبادة الله وطاعة ، واستجابة لأمر الله وأمر رسوله ، موقناً أن هذه التكاليف ربانية ، وأنه يقوم بها طاعة لله ، وأنه محاسب على ذلك يوم القيامة .

إنه لا ينهض لهذه التكاليف الربانية بحافز دنيوي أو حافز حزبي ، ولا يلتقي الدعوة على هذا الدرب بحافز دنيوي مادي أو حزبي . يلتقي الدعوة على هذا الدرب وولائهم الأول لله ، وعهدهم الأول مع الله ، وحبهم الأكبر هو الله ولرسوله ، ومن هذا الولاء الأول والعهد الأول والحب الأكبر ينشأ كل ولاء أو عهد أو حب في الحياة الدنيا .

لابد أن تستقر هذه الصورة في قلوب الدعاة ، حتى تصدق نيّتهم خالصة لوجه الله

سبحانه وتعالى ، وحتى يتبين لهم الدرب كله على صراط مستقيم ، وحتى تتحدد التكاليف الربانية والأهداف الربانية ، لينطلق إليها وهو موقن أنه محاسب عليها بين يدي الله .

إن الدعوة الإسلامية تربط الدنيا بالآخرة ، حتى تتولد الحوافز الإيمانية لا يعطلها غياب الحوافز المادية ، ولا تنطفئ عليها إذا وجدت .

في هذه المرحلة يجب على الداعية أن ينطلق ليعمل وينفذ ، بعد أن توافر لديه شرطان :

١ - توافر الأسس الأربعة في قلبه وفكره .

٢ - أتم دراسة الميدان وتحددت لديه المشكلات الأربع الكبرى .

نلاحظ هنا أن المشكلات الأربع الكبرى لا يجوز أن تكون مشكلات لدى الداعية أيضاً . يجب أن تكون هذا المشكلات قد عولجت في نفس الداعية والدعاة ، حتى تحولت هذه المشكلات الأربع نفسها إلى الأسس الأربعة التي عرضناها قبل قليل .

ونلاحظ هنا كذلك امتداد قضية الإيمان والتوحيد التي كانت القاعدة الصلبة ، امتدت هنا لتكون أحد الأسس الأربعة محتفظة بقوتها كقاعدة صلبة لتكون القاعدة الصلبة للأسس الثلاثة الأخرى . وستظل قضية الإيمان والتوحيد هي القاعدة الصلبة في أي مرحلة جديدة للبنود والعناصر التي ترتبط بها .

ونلاحظ كذلك امتداد دور المنهاج الرباني الذي كان أحد الركنين الرئيسين ، ليظل ركناً كذلك قائماً على الإيمان والتوحيد ، وليكون الأساس الثاني من الأسس الأربعة ، وليكون الواقع الذي يُدرس من خلال المنهاج الرباني ركناً كذلك لم يفقد دوره ولا أهميته ، ولكننا نسميه هنا الأساس الثالث ، لتكون هذه الأسس الثلاثة معاً سلامة الممارسة الإيمانية التي تُصبح الأساس الرابع .

ترتبط هذه الأسس الأربعة دون أن يفقد أي منها دوره ومنزلته التي أخذها في مرحلة سابقة ، ترتبط وتتناسق معاً في هذه المرحلة الجديدة ، لتكون كلها مجتمعة العنصر الأول من عناصر التنفيذ .

ذلك أن الداعية الآن ينطلق إلى مرحلة التنفيذ والعمل وهو يحمل الشرطين السابق ذكرهما . هنا يحتاج إلى أدوات وآلات للتنفيذ ، أي يحتاج إلى مانصطلح على تسميته «**عناصر التنفيذ**» . إنه يحتاج إلى عناصر التنفيذ التي لا يمكن أن يتم تنفيذ التكاليف الربانية دونها . إنه يحتاج إلى عناصر التنفيذ كما يحتاج الزارع في البستان إلى أدوات يعمل بها في التربة وينثر فيها البذور أو يغرس الغراس ، ويصب الماء ليروي ويضع السماد ليغذي ، إلى غير ذلك مما يحتاجه في ميدانه . ولكل ميدان أدوات وآلات للتنفيذ ، ولميدان الدعوة أدوات كذلك لاغناء عنها نسميها اصطلاحاً عناصر التنفيذ . فلا بد أن نستعرض عناصر التنفيذ عنصراً عنصراً :

٢ - العنصر الأول : الأسس الأربعة :

صفاء الإيمان . والتوحيد ، وصدق العلم بمنهاج الله ، ووعي الواقع من خلال منهاج الله ، وسلامة الممارسة الإيمانية . ومن هذا العنصر بترابطه وتماسكه تخرج العناصر الأخرى كلها وترتبط به وترتوي منه . ويظل كلُّ أساس محتفظاً بدوره الحقيقي لا ينقص منه ولا يغيره تبدل الموقع وتغير المصطلح . وسيظل كل أساس من هذه الأسس الأربعة ممتداً في تأثيره ودوره في جميع المراحل مدة المسيرة كلها .

إن هذا العنصر الأول - الأسس الأربعة - هي التي تطلق سائر العناصر من ناحية ، وهي التي تهبط خصائصها وتبني طبيعتها وتغذيها وتوجهها ، لتظل العناصر كلها ، وليظل الدعاة كلهم ، وليظل العمل كله ، ماضياً على «**الصراط المستقيم**» ، ماضياً في سبيل الله ، ذاكرًا الله في كل خطوة وحركة

إن كل أساس من هذه الأسس ممتد الدور والتأثير . هذه طبيعته وهذه خصائصه . إنه دور رئيس أساس لاغناء عنه .

لابد أن يحرص العمل الإسلامي على توافر هذه الأسس الأربعة ، العنصر الأول من عناصر التنفيذ ، لأنه لن يصلح العمل لافي الدنيا ولا في الآخرة بغير هذه العناصر .

لذلك لابداً للدعوة الإسلامية أن تقوم بالدراسات اللازمة ووضع النهج والتخطيط وبذل كل الجهود ، لتوفير هذه الأسس الأربعة في الدعاة ، لأنها هي العنصر الأول الذي لاغناء عنه .

ونجد هذا النهج والتخطيط في الكتب الأخرى التي تناولت كل موضوع بالتفصيل ، تعرض نظريته ونهجه ومناهجه التطبيقية والنماذج العملية ، مما يمكن الرجوع لها . ولابد أن نؤكد ثانية أن كل أساس من هذه الأسس الأربعة لايفقد دوره ولاينقص أثره بامتداده من مرحلة إلى مرحلة .

٣ - العنصر الثاني : النهج (المنهج) الإيمانى للتفكير : (١)

إن أول واجب على الداعية في مرحلة التنفيذ وفي المرحلتين السابقتين هو أن يفكر تفكيراً إيمانياً على نهج إيمانى . وهذا التفكير الإيمانى تكليف من عند الله للإنسان : ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾ [سبأ : ٤٦]

وإننا لنجد في كتاب الله دعوة ملحة بالتفكير بأساليب متعددة تعطي لهذه القضية أهميتها ، وترسم لها نهجها . والأساليب المتعددة نستطيع أن نضعها في نوعين : أسلوب مباشر : «تفكروا» ، «يتفكرون» ، «يتدبرون» ، «يتذكر» وغير ذلك . أو بأسلوب غير مباشر : أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين .

والآيات التي تدعو إلى التفكير بأسلوب مباشر أو غير مباشر آيات كثيرة جداً تجعل قضية التفكير في حياة الإنسان المؤمن قضية رئيسة هامة في الحياة .

على الداعية أن يفكر أولاً ، وأن لايعطل هذه الطاقة الكريمة التي أنعم الله بها على الإنسان .

(١) يراجع كتاب « النظرية العامة للدعوة الإسلامية - نهج الدعوة وخطة التربية والبناء » للمؤلف - الباب : التاسع - الفصل الأول .

والأسس الأربعة التي هي العنصر الأول للتنفيذ ، هي التي تطلق التفكير وتحدد له نهجه واتجاهه وأهدافه ، وتبهِ الطاقة والقوة .

وللنهج الإيماني للتفكير خصائصه الإيمانية التي تميّزه عن النهج المادي العلماني ونهج الكافرين الملحدين والمشرّكين والوثنيين . ومنهاج الله بيّن بالتفصيل خصائص النهج الإيماني للتفكير . ولا بأس أن نشير هنا إلى بعض أهم خصائص هذا النهج :

- ١ - إنه نهج يحمل المسؤولية في الدنيا والآخرة .
- ٢ - إنه مرتبط بالنية ثم بالأسس الأربعة السابق ذكرها ، وبالفطرة وما أودع الله فيها .
- ٣ - إنه نهج متوازن ، عادل ، دقيق ، أمين ، بعيد عن الغلو أو التقصير .
- ٤ - إنه نهج يتحوّل إلى سعي وعمل وتطبيق في الواقع ، ولا يظلّ في نطاق النظرية والأمانى فحسب .
- ٥ - إنه بهذه الخصائص ينال أعمق بعد إنساني .
- ٦ - إنه نهج يعرف مداه وحدوده التي فتحها الله له في الكون والحياة والواقع ، حتى لا تتبعر طاقته سدى .
- ٧ - إنه يعود إلى التوبة والاستغفار إن أخطأ أو زلّ ، ليظل على الصراط المستقيم الصراط الذي يمثل الصفة الأولى العامة له .
- ٨ - إنه يسعى دائماً إلى نموّ الإتقان والإحسان .
- ٩ - إنه مرتبط بذكر الله حتى ينال الأمل والاطمئنان ، والخشية ، واللجوء إلى الله والاستعانة به .

١٠ - إنه يتبدى مع ذكر الله بالنهج والتخطيط ، ويمضي مع الدراسة والمراجعة وينتهي بالتقويم الدوري ، ليتابع المسيرة على استقامة ووضوح . وبإيجاز فإن النهج الإيماني للتفكير يعرف نهجه وأهدافه ، فيمضي على نور وعلى قواعد ربّانية .

فإذا صحَّ هذا النهج الإيماني للتفكير عند الداعية ، فإن أول ما يقوده إليه هو النهج والتخطيط للقضية التي هو مقبل عليها . ومن هنا يأتي العنصر الثالث من عناصر التنفيذ .

٤ - العنصر الثالث : النهج والتخطيط العام للدعوة الإسلامية :^(١)

إن القضية التي يعالجها التفكير الإيماني هنا هي قضية الدعوة الإسلامية . فهو يتبدىء بالنهج والتخطيط العام لها ، حتى يبتعد عن الارتجال وردود الفعل ، والاضطراب والتناقض .

وينطلق النهج والتخطيط العام من النهج الإيماني للتفكير ومن الأسس الأربعة التي سبق ذكرها .

ويمكن في هذا الموجز أن نعرض بشكل سريع أسس النهج والتخطيط وأهم عناصره على النحو التالي :

١ - النية وإخلاصها لله سبحانه وتعالى .

٢ - تحديد الدرب ومعالمه ، الدرب الذي يؤدي حقيقة إلى الأهداف الحقيقية .

٣ - تحديد الأهداف الواضحة الجلية :

أ - الهدف الأكبر والأسمى .

ب - الأهداف الربانية الستة الثابتة :

ب-١ : الدعوة إلى الله ورسوله .

ب-٢ : التربية والبناء ، والإعداد والتدريب .

ب-٣ : بناء الجيل المؤمن .

(١) يراجع المصدر السابق للمؤلف : الباب الثالث - الفصل الثاني .

ب-٤ : الجهاد في سبيل الله بمعناه الحقيقي الرباني المنهجي .

ب-٥ : بناء الأمة المسلمة الواحدة .

ب-٦ : عمارة الأرض بحضارة الإيمان .

ج- الأهداف المرحلية .

٤ - تحديد الوسائل والأساليب : مصاحبة مناهج الله مصاحبة منهجية مصاحبة عمر و حياة ، المنهاج الفردي ، منهج لقاء المؤمنين ، الخطة اليومية والأسبوعية ، والسبوعية ، التدريب على الممارسة الإيمانية ، التقويم الدوري ، الكتاب المنهجي ، الأدب الإسلامي ، المؤسسات الإيمانية ، الإعلام الإيماني ، النظام الإداري ، إمكانات المجتمع ومؤسساته ، معالجة الأخطاء ، الاستفادة من السنن الربانية في الحياة والكون ، وسائر ما يعرضه مناهج الله من وسائل وأساليب .

٥ - تكامل ميادين الدعوة الإسلامية وتساندها .

٦ - التقويم الدوري .

٧ - الطاقة البشرية المؤمنة .

٨ - جمع المعلومات والإحصائيات وترتيبها :

وهذه الخطوة ضرورية من أجل الدراسات والأبحاث التي يقوم عليها النهج والتخطيط . فكل خطوة من خطوات النهج والتخطيط يجب أن تقوم على دراسات وأبحاث ، والدراسات والأبحاث تحتاج أحياناً إلى معلومات وإلى إحصائيات حتى تتجنب الظن وتقرب من اليقين .

وإن كل خطوة تكشف لنا أيضاً أهمية الطاقة البشرية ودورها الخطير في رسم النهج والتخطيط . فعلى الطاقة البشرية المؤمنة يقوم عبء هذه المسؤولية الخطيرة .

فالنهج والتخطيط بهذا التصور يحدد الرؤية ويعين على تحديد الرأي والموقف مع الأحداث .

والطاقة البشرية المؤمنة يجب أن تكون طاقة مدربة أفضل التدريب على مايعهد إليها من دور في هذه المرحلة أو تلك .

إن جمع المعلومات وتبويبها والإحصائيات وترتيبها ، عمل هام يحتاج إلى كفاءة وقدرة . والتدريب يُنمّي هذه الكفاءة والقدرة ، حتى يُتقن العمل .

ثم تأتي مرحلة أخرى بعد الجمع والترتيب والتبويب . هذه المرحلة هي الاستفادة من المعلومات والإحصائيات من أجل وضع الخطّة ورسم النهج .

لذلك كان التدريب عنصراً هاماً من عناصر النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، سواء أكان ذلك في التربية والبناء والإعداد ، أم في الإدارة والتنظيم ، أم في النهج والتخطيط .

ذلك لأن النهج والتخطيط نفسه يحتاج إلى إعداد الطاقة البشرية المؤمنة القادرة في كل ميدان من ميادين الدعوة .

إن الخطّة اليومية والأسبوعية ، والشهرية والسنوية ، والمنهاج الفردي ومنهج لقاء المؤمنين ، ونماذج التقويم وميزان المؤمن ، كل ذلك وسيلة من وسائل التدريب على النهج والتخطيط .

والنهج والتخطيط يوجّه العمل ويضبط مسيرته ، ويوحد الجهود ، ويكشف العيوب والأخطاء والانحرافات لمعالجتها .

والنهج والتخطيط يُوجد لغة مشتركة بين العاملين في الميدان ليسهل التفاهم والتقارب والتعاون ، ويوجد بذلك أساساً للقاء المؤمنين .

والنهج والتخطيط عمل ينمو مع الممارسة والتطبيق ، وتنمو قواعده وتتسع آفاقه ، حتى يصبح لدى المسلمين علماً نابعاً من الأسس الأربعة متميزاً عن النهج والتخطيط المادي العلماني بنهجه ومسيرته وأهدافه وأساليبه ووسائله .

والنهج والتخطيط ضرورة لإعداد القوة الإيمانية وبناء الصف الواحد كالبنيان المرصوص .

النهج والتخطيط الإيماني عمل طاهر واع بعيد عن الغدر والخيانة والغش . وتظل الأخلاق الإيمانية جزءاً منه .

والنهج والتخطيط يحوّل الشعارات من هتافات وحناجر إلى عمل واع وعقل مُفكّر في الواقع البشري ، عمل يبلغ به المؤمنون الأهداف الربانية .

والنهج والتخطيط يقوم على دراسات مفصلة واعية . والدراسات تقوم على جمع معلومات وتربيتها وتيسير الاستفادة منها ، ليعتمد النهج والتخطيط على حقائق لا على وهم تائه وخيال مريض .

والنهج والتخطيط يحتاج إلى تدريب عمليّ عليه ، إلى تدريب الطاقة المؤمنة عليه . والتدريب يحتاج نفسه إلى خطة ومناهج .

ولقد قدّمنا مناهج متعدّدة للتدريب على النهج والتخطيط في مدرسة الدعوة الإسلامية ، مثل : التخطيط للمنهاج الفردي ، والتخطيط لمنهج لقاء المؤمنين ، والتخطيط للخطة : اليومية والأسبوعية والسنوية ، والتخطيط للتقويم الأسبوعي والشهري والسنوي ، والتخطيط للتدريب ، وغير ذلك . ولا بد أن يستمر التدريب وينمو وتنمو مناهجه وأساليبه على نفس الأسس الإيمانية .

ونرى هنا كيف أن القاعدة الصلبة والركن الرئيس تمتدّ في جميع الخطوات والمراحل ، لا يُنقص من ذلك تغير المرحلة والمصطلح التابع لها .

٥ - العنصر الرابع : النهج والتخطيط لكل ميدان تخوضه الدعوة الإسلامية :

ينطلق النهج والتخطيط لكل ميدان من : النهج والتخطيط العام ، ومن النهج الإيماني للتفكير ، ومن الأسس الأربعة . وتظل هذه تمتدّ مع كل عنصر جديد .

والميادين ممتدة واسعة في الحياة ، وهي متعددة كذلك . وقد تنمو وتتسع مع الحياة وتزداد تنوعاً وعدداً .

ونورد بعض الأمثلة على هذه الميادين التي لايجوز للدعوة أن تخوضها دون وجود نهج خاص لكل ميدان وخطة متصلة به :

ميدان الدعوة والبلاغ .

ميدان التربية والبناء .

ميدان التدريب على الممارسة الإيمانية .

ميدان الأدب الملتزم بالإسلام ودوره في الدعوة الإسلامية .

ميدان الجهاد في سبيل الله .

وتمتد الميادين إلى السياسة والاقتصاد والاجتماع وغير ذلك من الميادين التي تظل تتفتح مع الممارسة الإيمانية في الواقع البشري .

ولاينجح التخطيط لكل ميدان إذا لم يكن امتداداً للعناصر الثلاثة السابقة وامتداداً للبنود السابقة كلها .

وذكرنا هنا ميدان التدريب على الممارسة الإيمانية كأنه ميدان مستقل ، مع أنه جزء لايتجزأ من ميدان التربية والبناء نظرياً وتطبيقاً . لقد أفردنا له باباً مستقلاً ودراسة خاصة به لأهميته وشدة إهماله في واقع المسلمين وواقع الدعوة الإسلامية ، وفي نشاطهم التربوي وميادين البناء والإعداد ، حتى كأن كلمة التدريب أصبحت تنحصر في أذهان الكثيرين بالتدريب العسكري ، وما هي كذلك . ولقد فصلنا فيما نقصده من التدريب في هذا الكتاب في أبواب مقبلة ، لنرى هناك نظرية التدريب ونماذجه التطبيقية :

التدريب الفوري ، والتدريب الدوري ، والتدريب المرحلي ، والتدريب المستمر ، على الممارسة الإيمانية .

وكان من الممكن أن نجعل ميدان الإدارة والنظام أحد الميادين التي تحتاج إلى نهج وتخطيط خاص به . ولقد آثرنا أن نجعله عنصراً لإبراز أهميته ودوره . ولكنه يظل يحتاج إلى نهج وتخطيط ، ودراسات وأبحاث منهجية إيمانية خاصة به . وكذلك سيظل كل عنصر آخر مقبل في هذه النظرية العامة يحتاج إلى نهج وتخطيط خاص ، وكذلك كل بند فيها ، وكذلك كل عمل يقوم به المؤمن . ونضع من أجل توضيح ذلك القاعدة التالية :

لا يبدأ المؤمن عمله إلا بشرطين هما : النية وإخلاصها والنهج والتخطيط لعمله . ويمضي فيه بشرطين : الإشراف والإدارة ، ولا ينتهي منه إلا بشرطين : المراجعة والتقويم .

٦ - العنصر الخامس : الإدارة والنظام :

كنا نعتبر هذا العنصر جزءاً من العنصر الثالث الذي هو النهج والتخطيط العام ، أو ميداناً من ميادين العنصر الرابع . ولكن رأينا أن للإدارة والنظام وضوابطها ضرورة كبيرة في العمل الإسلامي ، فرأينا أن نبرزها لتكون عنصراً من عناصر التنفيذ .

إنه العنصر الذي يحدد المسؤوليات والصلاحيات بين جميع المستويات وينسق بينها لتصبّ الجهود كلها في مجرى واحد .

والإدارة بمعناها الإيماني تساعد على إنجاز أكبر قدر من العطاء ، بأعلى مستوى من الإلتقان ، وبأقل وقت ممكن ، مع استيفاء شروط الممارسة الإيمانية والعمل الصالح .

وهي توفر المراقبة والإشراف ، والمتابعة والتوجيه ، والتنسيق والتعاون بين مختلف الأفراد ومختلف المستويات . وهي توفر التناصح وبيان الرأي وممارسة الشورى . وهي بخصائصها الإيمانية كلها تمثل صورة من صور (الممارسة الإيمانية) ، فتوفر بذلك سبل النمو والتطور وغير ذلك من الخصائص الإيمانية التي تتميز بها الإدارة الإيمانية ، وتصبح أساساً من أسس الشورى في الإسلام . (١)

(١) يراجع كتاب : (الشورى وممارستها الإيمانية) للمؤلف - (ط : ٣) الباب الحادي عشر - الفصل الثاني - (ص : ٥٨١-٥٩٤) لدراسة الإدارة كأساس من أسس الشورى في الإسلام . ويراجع كتاب : (التوحيد ووقعنا المعاصر) للمؤلف - ط : ٣ - الباب الثالث - الفصل الرابع - (ص : ٢٤٣-٢٧٦) لدراسة الممارسة الإيمانية وخصائصها . ويراجع كتاب : «فقه الإدارة الإيمانية في الدعوة الإسلامية» للمؤلف .

ومن أهم قضايا الإدارة الإيمانية هو تنظيم الوقت ، والاستفادة منه في طاعة الله لإغناء الإنتاج في واقع الأمة .

ولو نظرنا إلى واقع المسلمين اليوم لوجدنا أن وقتاً كثيراً يهدر بين سوء التدبير وسوء التقدير . وقتل احترام الوقت وتقديره وتدبيره بين المسلمين ، كنتيجة طبيعية للخلل في القضايا الأربع الكبرى ، حتى أصبح من الجمل الشائعة بين بعض الناس : « تعال نقتل الوقت » ! (١)

الوقت في نظر الإسلام عبادة وطاعة . فكل عمل المسلم ، إذا أخلص فيه نيته لله ، هو عبادة وطاعة . وفي نظر الغرب العلماني الرأسمالي أو الشيوعي الدكتاتوري ، يكون الوقت مالاً كما يجرى المثل السائر بينهم "Time is Money"

والإدارة لا تختص بميدان دون ميدان ، ولكنها تمتد إلى كافة ميادين الحياة ، فالإدارة تبتدىء في حياة المسلم نفسه ونشاطه ، وفي البيت والأسرة .

والروابط بين العاملين يجب أن تكون روابط إيمانية ، وتمتد النظرة إلى العالم الآخر والغيب والإيمان والتوحيد ، ولا تنحصر في التصور المادي ، وتظل النية وإخلاصها لله عاملاً رئيساً في توجيه العمل .

ويجب أن تعمل هذه الخصائص كلها على احترام النظام ، وعدم التفكك تحت أعذار تُبنى على تصور خاطيء للروابط الإيمانية .

ويجب أن تتوافر في الإدارة الإيمانية الحوافز الإيمانية دون أن تتعطل بالحوافز المادية . ولكن هذه تغذي تلك ، وتلك تغذي هذه ، ويظل التأثير متبادلاً .

والإدارة الإيمانية تحتاج إلى الرجال المدربين من خلال مرحلة التربية والبناء ، والإعداد والتدريب .

(١) منهج المؤمن بين العلم والتطبيق للباب الثالث - الفصل الخامس . واقع المسلمين أمراض وعلاج : الباب الأول : الفصل السادس . النظرية العامة للدعوة الإسلامية : الباب الأول - الفصل الأول .

مهما تكن القوانين والنهج والخطة ، فإن ذلك كله يحتاج إلى الطاقة البشرية التي تتوافر فيها ثلاث خصائص رئيسة :

١ - صفاء الإيمان والتوحيد وقوة العلم .

٢ - الكفاءة والموهبة .

٣ - التدريب العملي .

ومن أهم مظاهر نجاح الإدارة الإيمانية إنزال كل عامل منزلته العادلة ، وكل كفاءة في مكانها ، وكل موهبة في مستواها .

الإدارة الإيمانية ترعى المواهب المؤمنة وتغذيها وتطور قدراتها وكفاءتها .

ومن أهم حاجات الإدارة الإيمانية الناجحة أن يعرف كل عامل مسؤولياته وحقوقه ، وكذلك حدوده حتى لا يتجاوزها ، وحتى يسهل التنسيق بين مختلف المستويات والعاملين .

وفي الإدارة الإيمانية تتساند الأقسام المختلفة وتتعاون بروح طيبة وتعاون كريم وخلق جميل ، حتى تحقق الإدارة أهدافها الإيمانية .

ويظل الإشراف والمراقبة ، والتوجيه والإرشاد ، والإعداد والتدريب ، يظل هذا كله ماضياً في الإدارة الإيمانية ، سمة من سماتها البارزة .

٧ - العنصر السادس : ميزان المؤمن : (١)

جميع الشعوب والمؤسسات في جميع العصور تلجأ إلى اختيار هذا أو ذاك لمركز من مراكز المسؤولية أو لوظيفة أو لمهنة . وكل جهة تضع قواعد تتبناها للاختيار ، حسب معتقدها وتصورها . هذه القواعد تمثل ميزاناً يوزن به الناس ليُختار أفضلهم من خلال

(١) يراجع كتاب : « منهج المؤمن بين العلم والتطبيق » للمؤلف : الباب الخامس .

الاجتهاد البشري الذي لاغناء عنه ولابد منه .

جميع هذه الموازين يمكن أن نقسمها إلى نوعين : موازين تقوم على أساس المصالح المادية الدنيوية ، والروابط الدنيوية ، تصهر في داخلها المواهب والطاقات ، والوسع والكفاءة . وميزان إيماني يقوم على أساس الإيمان والتقوى ومنهاج الله والواقع الذي يُدرس من خلال منهاج الله .

لقد اعتادت الديمقراطية الرأسمالية ، والديكتاتورية الاشتراكية وغيرهما من الفلسفات المادية ومصطلحاتها ، لقد اعتادت هذه أن تضع موازينها على أساس المصلحة الدنيوية والنظرة المادية ، لتزن بها الناس والقضايا . ثم تتخذ هذه الموازين المادية كافة الوسائل والأساليب والإمكانات لتحقيق من خلال ذلك كله ومن خلال الموازين مصلحتها المادية الدنيوية معزولة عن الآخرة .

وهذه القوى الطاغية التي جعلت مصالحها المادية أساساً للفكر والسياسة والاقتصاد وخلاف ذلك ، تطبق موازينها المادية بعد أن تجرد معظم الناس من سلامة الفطرة وصفاء الإيمان والتوحيد ، وتعزلهم عن منهاج الله وحقائق الواقع الذي يدرس من خلال منهاج الله ، وتحدّهم بالجنس والشهوات والحرية الفردية المتفلّنة في ميدان الفواحش ، وتلهيهم بالتنافس على الدنيا والصراع على لهوها وشهواتها ، وإثارة العصبية الجاهلية في أكبر مساحة من الأرض يمكنهم إفسادها .

إن هذه الموازين المادية مفسدة لحياة الإنسان على الأرض ، قاتلة لمصالحه الحقيقية في الدنيا والآخرة ، ملهبة للفتنة بين الناس ، مثيرة لكل نوازع الشر من حسد وحقد وكراهية وضغائن ، تثير « الحروب والدمار » تحت شعار « السلام » وتنزل « الظلم والعدوان » في الأرض تحت شعار « الحرية والعدالة » ، وتنهب الشعوب وتذلّها تحت شعار حقوق الإنسان .

والناس مخدرون يُلقى إليهم شيءٌ يُلْهَوْنَ به ، وغافون في وهم وأحلام تُزَيِّن لهم ، لا يفيقون إلا على دويّ السلاح المدمر ، وتدقّ الدماء وتطير الأشلاء ، ثم يعودون إلى غفوتهم .

لذلك كان لابدّ من طرح «ميزان الإيمان» كجزء من رسالة الإسلام نظريّة وممارسة . إنه «ميزان منهاج الله» ، حتى يزن المؤمن به نفسه والناس والقضايا من خلال اجتهاد بشريّ في الممارسة والتطبيق ، يحتمل الصواب والخطأ ، ولكن لا يحتمل الخطأ في الأسس التي يقوم عليها ، ولا في تصورها وارتباطها بمنهاج الله وبالإيمان والتوحيد . إنها أمانة تتحقّق بصدق النية وصدق العلم ، ومداومة الممارسة لتنمو التجربة ولتزوq إتقاناً وإحساناً .

إنّ المنزلة التي يأخذها المسلم من خلال تطبيق هذا الميزان الإيماني ، لاتعني أنها هي المنزلة التي يأخذها في الآخرة عند الله . ففي الدنيا جهد بشري واجتهاد بشري في ممارسة قواعد إيمانيّة ربانيّة ، وفي الآخرة تقوم الموازين القسط التي لا تخطئ أبداً ولا تظلم أحداً :

﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ [الأنبياء : ٤٧]

ولكننا في الوقت نفسه مكلفون أن نجتهد في هذه الحياة الدنيا في ممارسة القواعد الإيمانية في واقع الحياة ، كلّ على قدر وسعه الصادق ومسؤوليته وميدان عمله . فإذا صدقت النية وصدق العلم بمنهاج الله وجب السعي لدراسة الواقع وفهمه من خلال منهاج الله ، كلّ قدر وسعه وطاقته ومسؤوليته . ولكن لا يُعذّر من يقصّر في الوفاء بمسؤوليته أو يتراخى عنها أو يهرب منها .

وإنزال الناس منازلهم أمر من عند رسول الله ﷺ ، فهو من عند الله سبحانه وتعالى :

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « أمرنا رسول الله ﷺ «أن ننزل الناس منازلهم» [رواه مسلم والحاكم] (١)

(١) مسلم : في مقدمة صحيحه . الحاكم : في كتابه «معرفة علوم الحديث» وقال هو حديث صحيح .

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ .. وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ [الأعراف : ٨٥]

إنه أمر من عند الله لعباده أن يلتزموا هذا الوفاء بالكيل والميزان وعدم بخس الناس أشياءهم وعدم الإفساد في الأرض . والتزام ذلك هو خير للناس جميعاً في حياتهم الدنيا وصلاحتهم في الدنيا والآخرة .

فلا بد إذن أن يكون بين الناس ميزان يزُنُون به ، أو أن يكون بين أيديهم قواعد هذا الميزان حتى يسهل ممارستها على ضوء الواقع البشري المتجدد ، وحتى يضعوا النهج والخطة والنموذج لذلك .

ولقد كان أمر الله لعباده المؤمنين أكبر من ذلك . لم يكن التكليف الرباني محصوراً في إنزال الناس منازلهم وعدم بخسهم أشياءهم وعدم الإفساد في الأرض بالبخس وبعدم الإيفاء بالكيل والميزان ، وإنما كان ممتداً إلى جميع شؤون الحياة وميادينها ، ليرد الناس جميع قضاياهم التي يختلفون فيها إلى منهاج الله ، وجعل الله سبحانه وتعالى هذا الأمر شرطاً من شروط الإيمان لا يخرج عنه إلا منافق أو كافر :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ [النساء : ٥٩]

وكذلك :

﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [الشورى : ١٠]

وتتوالى الآيات والأحاديث لنؤكد هذه القضية الهامة في دين الله ، ليكون منهاج الله هو الميزان الحق بين أيدي المؤمنين يردّون إليه ما يختلفون فيه من قضايا .

وعند ممارسة هذه القواعد يحتاج الإنسان إلى اجتهاد . فوضع الله أسساً للاجتهاد عند تطبيق هذه القواعد . ومن أهم هذه الأسس : صدق الإيمان وصفاء التوحيد وإخلاص النية لله ، والعلم بمنهاج الله علماً يسمح برّد القضايا إليه ، وعلماً بالقضية والواقع يسمح كذلك برّده إلى منهاج الله . ووضع الله سبحانه وتعالى ضوابط تلجم الهوى وتحجز الإنسان عن الميل عن الحق ، وتلزمه اتباع الحق مع جميع الناس على أساس من منهاج الله . ومن هذه الضوابط والأسس نذكر الآيات الكريمة التالية :

﴿ إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَظْطَرُّكُمْ بِهِ إِنْ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨]
وكذلك :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوا بِمَا فِي شَجَرِ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتُمْ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥]
وكذلك :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٥]
مأحوج البشرية اليوم إلى هذا الميزان الإيماني . مأحوج الشعوب كلها والدول الكبرى والصغرى وهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وسائر المؤسسات الدوليّة التي ترفع الشعارات المزخرفة ثمّ تسحقها في ميدان التطبيق ، حتى عمّ الفساد الأرض وامتدت

الجريمة وانتشر الفجور ، حتى صار هذا كله في عرف بعضهم أساس الميزان والمفاضلة .
وما أحوج المسلمين اليوم إلى هذا الميزان ليتعاملوا به في قضاياهم كلها ، وما أحوج
الدعاة المسلمين في الأرض إلى أن يمسكوا بهذا الميزان ليهارسوه في واقعهم .

وما كان الله سبحانه وتعالى ليأمر الناس أن يُنزلوا الناس منازلهم ، وأن يردوا
الأمانات إلى أهلها ، وأن يحكموا بين الناس بالعدل ، وأن يكونوا قوامين بالقسط شهداء
لله دون أن يوفر لهم تفصيل ذلك حتى يسر على الناس ممارسة ذلك من خلال اجتهاد
بشري مستوفٍ لشروطه الإيمانية التي سبق ذكرها .

إن الذي يُمارَس اليوم في معظم بقاع الأرض ميزانُ الهوى والمصالح ، مهما حاولت
الشعاراتُ والزخارف إخفاء ذلك .

ولو نظرنا إلى واقع الانتخابات التي تعتز الديمقراطية بها ، الانتخابات التي تُمارَس
في أنحاء واسعة من الأرض ، كي يختار الشعب ممثليه . لهذا المجلس أو ذاك ، لو نظرنا
إلى ذلك هالنا الأمر ، ولعجبنا وتساءلنا ماهو المسوخ للديمقراطية لأن تعتز بذلك .

إنها صورة مفزعة أو محيرة . إنها انتخابات تُنشر فيها أسوأ الفضائح عن المتقدمين
إليها . ويتقدم الناس إلى الانتخابات ، وقد دفعتهم قوى كثيرة إلى صناديق الانتخابات
تحدد لهم من ينتخبون . إنها إما قوى حزبية أو دعائية وإعلام هادر ، أو أموال تُفرد
تُشتري بها الضمائر والنفوس ، أو مصالح مادية دنيوية تربط هذا وذاك وتحدد الاتجاه .
وكانها هذه القوى ، بصورة أو بأخرى ، تجرد الناس من ضمائرهم وتعطل فكرهم ، وتشلُّ
عقولهم ، فقد كفَّتهم هذه القوى الخفية والظاهرة مؤونة التفكير واتخاذ القرار . إن هذه
القوى كانت تشغل الناس الزمن كله حتى تلهيهم بالسفاسف وتخدِّهم بالخمور والنساء
وسائر الشهوات ، ثم تتابع هذه السياسة قبل الانتخابات وبعدها . ويُسمَّون
الانتخابات حيناً « معركة » وحيناً آخر « لعبة » .

وبعد انتهاء اللعبة أو « المعركة » تدور لعبة جديدة ومعركة جديدة ، وتتوالى التصريحات حول نزاهة الانتخابات أو عدم نزاهتها . ثم لو سألت نفسك عن الميزان الذي سارت عليه اللعبة الأولى والثانية ، فلا تجد إلا تنافس المصالح المادية الدنيوية مجردة من الإيمان معزولة عن التصوّر للدار الآخرة ، ولا تجد إلا موازين مضطربة بالأهواء . ويدور النزاع حول نزاهة الانتخابات أو الاتهام بالتزوير . والأغرب من ذلك كله أنك قد تجد من يستعين بخبراء أجانِب ليشرفوا على الانتخابات حتى تكون نزيهة ، وليكون قرارهم هو القرار النهائي بالنزاهة أو عدمها .

وعجباً كلّ العجب ! فما حاجة من لا يطمئنّ هو إلى نزاهته ونزاهة مؤسساته ، ولا يطمئنّ إليها ، فما حاجته إلى أن يدعو غيره ظاناً به النزاهة التي يفتقدها هو وتفتقدها مؤسساته . ومهما تكن نتائج الانتخابات فكيف يُطمئنّ إلى المسيرة بعدها والثقة مفقودة والقلوب مشحونة ، والأنظار كلها معلقة في الدنيا منصرفة عن الآخرة ، حين أصبحت الدنيا هي موضوع التنافس !

هذا نهج رأيناه في واقع البشرية المعاصر يمارسُ بأشكال مختلفة بين ديكتاتورية أو ديمقراطية أو علمانية أو غير ذلك من المسميات . ولنُسمِّ هذا النهج : نهج الهوى والمصالح .

أما النهج الآخر ، وهو النهج الحقّ ، فإننا نسمّيه « **النهج الربّاني** » ، إنه النهج الذي يضع القواعد والأسس والتفصيلات من أجل الاختيار . ولكنه قبل ذلك يُعدُّ المجتمع المؤمن الذي يحكمه الإيمان ومنهاج الله ، ويعدُّ الرجل الذي يُختار ويعرف كيف يُختار ، والرجل الذي إذا اختير رعى الأمانة وحفظ العهد وأوفى .

إنها مسؤولية الأمة المسلمة ، ومسؤولية الدعوة الإسلامية أن تبني الأجيال التي تعرف هذا النهج الربّاني وتدرّبه عليه حتى يمتدّ وينتشر ويصبح طبعاً وسجية .

ونُسَمِّي الميزان الذي يقوم على هذا النهج الرباني ليوزن الناس به «ميزان المؤمن» .

ويهدف هذا «النهج الرباني» «وميزان المؤمن» الذي يقوم عليه ، إلى أن تظَلَّ الأمة المسلمة كلها صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص ، تجمعهم الثقة المتبادلة ، والعلم الممتد والإيمان المغروس ، والمواهب المفتحة العاملة .

ويهدف هذا «النهج الرباني» «وميزان المؤمن» إلى أن يأخذ المسلم مكانه الحق ، فلا أحد يأخذ مكاناً أعلى من قدره ، ولا يتجاوز أحد حدوده ، ولا يحمل أحد أكثر من وسعه .

ومن أجل سَلَامَةِ الممارسة في الواقع يمكن أن نذكر بالقواعد العامة التي وصفها الإسلام لسلامة هذه الممارسة . (١)

١ - معالجة النفس البشرية وإصلاحها بوسائل متنوعة : الإيمان ، العلم ، قواعد خلقية مباشرة ، كالنهي عن الحسد والظلم وغير ذلك ، محاسبة النفس ، التناصح ، الشورى .

٢ - تكامل القواعد وتناسقها وترابطها لتنتقل كلها من الإيمان والتوحيد ومنهاج الله .

٣ - قواعد الإمارة وحدودها ، متابعة الأمور وإبداء الرأي عن علم لا عن جهل ، وعن جهد وبذل لا عن كسل ، معرفة المسلم لحدوده ، حق الاجتهاد في حدود المسؤوليات .

وكل قاعدة لها قواعد جزئية تفصلها . والقواعد الجزئية أيضاً ليست وهماً بشرياً ولكنها جزء من المنهاج الرباني .

فميزان المؤمن هو الأسلوب الوحيد البديل عن أسلوب الهوى والمصالح . وهو قواعد ربانية لا بد من تعلّمها والتدرّب على ممارستها ، والإدبار عنها إقبال على الهوى والتصورات البشرية دون حجة من قرآن أو سنة .

وممارسة ميزان المؤمن في الواقع هو اجتهاد يقوم به المؤمن ، كأَيِّ اجتهاد يقوم به عند

(١) يراجع كتاب : «منهج المؤمن بين العلم والتطبيق» للمؤلف : الباب الخامس - الفصل الأول .

ممارسة سائر القواعد . فإذا صدقت النية وبذل المسلم جهده ، فله أجر على اجتهاده إذا أخطأ وأجران إذا أصاب ، إذا صدقت النية والعزيمة والبذل ، وإذا كان اجتهاده في حدود مسؤولياته وعلمه .

وممارسة ميزان المؤمن في الواقع لا تُعتبر شهادة يؤديها المؤمن بحق من طُبّق عليه الميزان ، فيعاقب عليها إذا أخطأ ، يعاقب عليها بين يدي الله ، أوفي الدنيا . كلاً ! إنه اجتهاد بشري لا بد للناس أن يقوموا به ليختاروا أهل المسؤولية هنا أو هناك . لا بد للناس أن يختاروا ، والاختيار اجتهاد في جميع حالاته ، والاجتهاد أقرب للتقوى إذا قام على أساس من نهج ربّاني وقواعد ربّانية . ولكن الحساب قائم إذا فسدت النية وهبطت العزيمة وفسد العمل .

ولميزان المؤمن الذي نقدمه في الصورة المرفقة فوائد ومميزات نوجزها فيما يلي :

أولاً : أسلوب غير مباشر لمحاسبة النفس ، نفس الذي يُطبّق الميزان . فمع كل نقطة يجتهد بها في حق أخيه ، كأنه يسأل نفسه كم هو ملتزم بها . فهو باب من محاسبة النفس والتذكير .

وثانياً : هو باب لمحاسبة النفس فيما جهل من نقاط الميزان . فهو يسأل نفسه لماذا لا يعرف هذه النقطة عن أخيه ، والإسلام يأمرنا بالتعارف والاختلاط . فهل الخلل فيه ؟ هل هو مقصّر أم غير مقصّر ؟!

وثالثاً : هو امتداد « للدراسة النامية » ، مرتبط بها ، يظل يُذكر المسلم بواجباته ومسؤولياته في هذه الحياة الدنيا ، قبل أن يطويه الأجل .

ورابعاً : هو باب حماية للدعوة الإسلامية ، ينضم إلى سائر أسباب الحماية ليوثّر الأمن والطمأنينة . وهو سبب من أسباب بناء الثقة وجمع الكلمة حين يعلم كل فرد الأسس التي يتمّ بها الاختيار والترشيح على أساس الاجتهاد الذي لا غناء عنه .

٤ - معرفة المسلمين بعضهم بعضاً : الاختلاط بالناس ، الروابط الإيمانية وحقوقها وواجباتها ، الشعائر ، الآداب الاجتماعية ، الأخلاق الإيمانية وحقوق المسلم الفرد وواجباته .

٥ - إقامة ميزان عادل أمين يوزن به الناس لتعرف منازلهم .

هذه ، كما نعتقد ، هي القواعد الرئيسة التي تجمع سائر النقاط الأخرى من أجل تيسير ممارسة النهج الرباني . فهذه القواعد الرئيسة وما يتبعها كلها نسميها النهج الرباني . وإحدى قواعد هذا النهج الرباني هو وجود ميزان عادل أمين يوزن به الناس لتعرف منازلهم . ونسمي هذا الميزان العادل الأمين «ميزان المؤمن» .

ونوجز هنا هذه القواعد لميزان المؤمن دون تفصيلات :

١ - الإيمان والتقوى ومظاهرها والأمارات عليهما .

٢ - العلم : بمنهاج الله - قرآناً وسنة ولغة عربية - ، وبعد هذا العلم الأساسي تأتي علوم تخصصية .

٣ - الفطرة والمعدن .

٤ - الموهبة والوسع .

٥ - الخبرة والمران ، والعمل والممارسة .

٦ - الحكمة والحجة .

٧ - السنن والشبهة وارتباطهما بالعمل المقصود .

٨ - الأسرة والبيت .

٩ - البذل في سبيل الله وقتاً وجهداً ومالاً ، وامتداد البذل واستمراره .

١٠ - النهوض إلى الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد ، وسائر التكاليف الربانية ، نهوضاً واعياً على صراط مستقيم لدراستها وتدبرها .

ولكن ممارسة هذا الميزان تحتاج إلى تدريب في مدرسة الدعوة الإسلامية ، تدريب

نظري وعمليّ ، حتى يتقن المسلم ممارسته في واقع الحياة وفي مختلف المجالات ، على أساس من نموذج محدّد لهذا الميزان .

إنها مسؤوليّة الدعاة الذين يتقدّمون إلى الميدان أن يُعدّوا أنفسهم ويتزوّدوا بالزاد الضروري الذي أمر الله به ورسوله من أجل الدعوة الإسلامية ، وأن يقوموا بالتدريب الأمين على هذا الميزان وعلى غيره من قضايا التدريب الفوري والدوري والمرحلي والمستمر.

وفي جميع الحالات تظل الممارسة لميزان المؤمن صورة من صور التدريب المستمر الذي تنمو معه الممارسة وتزكو.

ولا يُطلب من المسلم أن يملأ المعلومات المطلوبة في النموذج كلها دفعة واحدة ، وإنما يملأ ما يعلم أو ما يقدر على الاجتهاد فيه ، ويترك ما يجهله وما يعجز عن الاجتهاد فيه . وتظل المعلومات تنمو مع نموّ جهد المؤمن وممارسته .

ومهما تكن المعلومات التي تقدّم قليلة أو كثيرة فإنها مفيدة تعين على تحقيق المطلوب ، إذا صدقت النية والعزيمة والجِد في ممارسته للميزان لينال المسلم أجره ، وإذا استمرّ المؤمن مُضَيّاً على الصراط المستقيم ليساهم في تحقيق الأهداف الربّانية الثابتة على درب ممتدٍّ إلى الهدف الأكبر والأسمى - الدار الآخرة ورضوان الله والجنّة - .

إن ممارسة «ميزان المؤمن» تدريب في حدّ ذاتها ، تدريب مستمرّ يوفر فرص النموّ والتطوّر ، والإتقان والإحسان . إنه تدريب على الميزان نفسه ، وعلى محاسبة النفس . وهذه الممارسة تدريب على النهج والتخطيط والتقويم والتذكير بقضايا هامة وقواعد رئيسة . ومن أهم هذه القضايا التدريب على مغالبة العصبية الجاهليّة سواء أكان ذلك في الروابط العائلية أو الصداقات الشخصية أو العلاقات الإقليمية والقومية ، أو الحزبية .

والإسلام حريص على صياغة جميع الروابط الطبيعيّة في الحياة ، والروابط الإيمانيّة صياغة إيمانيّة طاهرة طيّبة .

- لقد كان هذا الميزان غائباً عن واقع المسلمين زمناً طويلاً . ولكنّه كان مطبقاً أروع تطبيق وأدقّه في حياة الرسول ﷺ ، وهو يدرّب أصحابه رضي الله عنهم على ممارسته . ونوجز في نهاية هذه الكلمة أهم فوائد ممارسة ميزان المؤمن ممّا ذكرناه سابقاً .
- ١ - أن يأخذ كل مسلم مكانه المناسب بصورة أقرب للتقوى .
 - ٢ - محاسبة النفس وتذكيرها بقضايا أساسية في الإسلام .
 - ٣ - توفير الفرصة العملية للتدريب على قضايا إيمانية رئيسة مثل النصيحة ، الرأي ، الاجتهاد في حدود المسؤولية والوسع ، محاسبة النفس ، النهج والتخطيط ، التقويم ، حسن الإدارة الإيمانية وصفائها .
 - ٤ - اطمئنان النفوس عامة على أن الاختيار يتمّ على أساس قواعد ربّانية معلنة في نهج معلني ، عرفه الجميع ، خالٍ من المناورات والمفاجآت .
 - ٥ - توافر أساس لمحاسبة من يخطئ متعمداً في تطبيق الميزان ، ومحاسبة من يتمّ اختياره .
 - ٦ - إقرار مبدأ الوضوح في الحياة الإسلامية ، الوضوح الصادق والظاهر وإبعاد حركات ما « وراء الكواليس » و « اللعبة » ، و « المعركة » .
 - ٧ - توفير فرصة ليتنافس المسلمون على تحقيق أسس ربّانية ، بدلاً من التنافس على كسب القلوب بالدعايات الانتخابية التي يابهاها الإسلام شكلاً وموضوعاً ، وما تحتاجه من بذل جهود وأموال ، أخرى أن تنفق في غير هذا السبيل الذي قد يُوقع المسلم في آثام هو بغنى عنها .
 - ٨ - إعطاء فرصة أوسع لتطبيب القلوب المؤمنة ، ولتظّل رضية مادامت الأمور تجري على أسس إيمانية واضحة ، حتى تتكاتف الجهود على طاعة الله ، بدلاً من أن تتناحر وتتمزّق في أجواء قد يدخلها شياطين الإنس والجن .

ميزان المؤمن

طريقة تعبئة الميزان : تم تقسيم موضوعات الميزان إلى ثلاثة مستويات :

البند : (يأخذ الدرجة الكبرى) ، مثال (أولا - الإيمان والتقوى) .

الفقرة : (تأخذ جزءاً من الدرجة) ، مثال (أ - مظاهر الإيمان والتقوى في حياته الخاصة) .

الفرع : (يأخذ الجزء المتبقي من الدرجة) ، مثال (أ - ١ - مظاهر الولاء وارتباطه بالولاء لله) .

فعند وضع درجة التقدير يتم وضع كل درجة في المستوى المحدد لها ، ثم يوضع مجموع البند في الخانة المخصصة له .

التقدير			الدرجة			البند والفقرة والفرع
الفرع	الفقرة	البند	الفرع	الفقرة	البند	
						أولاً - الإيمان والتقوى :
						أ - مظاهر الإيمان والتقوى في حياته الخاصة :
						أ - ١ - مظاهر الولاء وارتباطه بالولاء لله .
						بر الوالدين : وعدم تحولها إلى عصبية جاهلية
						صلة الرحم : وعدم تحولها إلى عصبية جاهلية
						موالاة المؤمنين : وعدم تحولها إلى عصبية جاهلية
						موالاة الأصدقاء : وعدم تحولها إلى عصبية جاهلية
						وغير ذلك من الموالات : وعدم تحولها إلى عصبية جاهلية
						وسائر الروابط الإيمانية : وعدم تحولها إلى عصبية جاهلية
						أ - ٢ - مظاهر الصدق في العهد وارتباطه بالعهد مع الله
						أ - ٣ - الشعائر : الفرائض

تابع ميزان المؤمن

التقدير			الدرجة			البند والفقرة والفرع
الفرع	الفقرة	البند	الفرع	الفقرة	البند	
						التوافل
						أ - ٤ - مظاهر مغالبة هوى النفس والاستجابة لأمر الله عن فهم وعلم
						أ-٥ - مظاهر الإيمان في العمل والوظيفة
						ب - مظاهر الإيمان والتقوى في الحياة العامة :
						ب - ١ - النشاط العام على أساس الإيمان والتوحيد
						ومنهاج الله ونهج الدعوة
						ب - ٢ - مظاهر الإيمان في النشاط والعلاقات الاجتماعية .
						ب - ٣ - الاهتمام بقضايا أمة الإسلام وربطها بمنهاج الله
						ب - ٤ - مظاهر أخرى
						مجموع درجات البند
						ثانياً : العلم :
						١ - القرآن الكريم
						تلاوته
						دراسته
						حفظه
						٢ - السنة
						٣ - اللغة العربية
						٤ - الواقع
						٥ - فقه الدعوة

تابع ميزان المؤمن

التقدير			الدرجة			البند والفقرة والفرع
الفرع	الفقرة	البند	الفرع	الفقرة	البند	
						٦ - العلوم المساعدة
						٧ - العلوم التخصصية ومدى ارتباطها بموضوع الميزان
						مجموع درجات البند
						ثالثاً - المعدن والفطرة
						١ - فطرة الإيثار والتوحيد : مدى وضوحها وعدم انحرافها
						٢ - الكرم
						٣ - الوفاء
						٤ - الشجاعة
						٥ - الصدق
						٦ - التواضع
						٧ - الصبر
						٨ - الروية وعدم التسرع
						٩ - الجد وعدم المزاح
						١٠ - احترام المواعيد
						١١ - تجنب الغيبة والنميمة
						١٢ - العمل بالتيقن لا بالظن
						١٣ - الميل إلى الحركة وعدم السكون
						١٤ - القدرة على كظم الغيظ وضبط النفس
						مجموع درجات البند

تابع ميزان المؤمن

التقدير			الدرجة			البند والفقرة والفرع
الفرع	الفقرة	البند	الفرع	الفقرة	البند	
						رابعاً - المواهب والقدرات :
						أ - المواهب البارزة والإبداع والأمارات الدالة عليها مثلاً (أديب مبدع ، مؤرخ مبدع ، ...)
						أ- ١ - مواهب أخرى : موهبة مناسبة للعمل المطلوب
						أ- ٢ - موهبة أخرى .
						أ- ٣ موهبة أخرى :
						أ- ٤ - موهبة أخرى .
						ب - القدرة على التنظيم والإدارة
						ج - القدرة على التخطيط
						د - القدرة على التعبير وإبداء الرأي وعرض الفكرة
						هـ - القدرة على متابعة المسؤوليات
						و - مظاهر وأمارات تدل على قوة الذكاء والتفكير الإيجابي :
						و - ١ - الشهادة والمعدل .
						و - ٢ - المبادرة الذاتية بصورة إيجابية
						و - ٣ - التميز بإتقان العمل
						و - ٤ - مظاهر أخرى
						مجموع درجات البند
						خامساً : السن والشبيبة وعلاقتها بموضوع الميزان والخبرة المكتسبة بهما
						سادساً - التزام المؤمن وعطاؤه في الدعوة الإسلامية :

تابع ميزان المؤمن

التقدير			الدرجة			البند والفقرة والفرع
الفرع	الفقرة	البند	الفرع	الفقرة	البند	
						أ - التزامه في المنهاج الفردي
						ب - التزامه في منهج اللقاء
						ج - التزامه في الأسرة والبيت :
						١ - اللقاء العائلي الأسبوعي
						٢ - التزام الزوجة بالدعوة الإسلامية عهداً ونهجاً وحركة
						٣ - التزام الأولاد بالدعوة الإسلامية عهداً ونهجاً وحركة
						د - الالتزام في البلاغ والبيان وتنمية الدعوة الإسلامية
						هـ - الالتزام في تحقيق الأهداف الربانية للدعوة الإسلامية
						و - الالتزام بنشاط إداري ، وتحمل المسؤولية ، وإعطاؤها الوقت اللازم
						ر - الالتزام بعهده التابع من عهده مع الله
						ح - استمرار الالتزام والعطاء ونموه
						مجموع درجات البند
						سابعاً - البيت :
						أ - الزوجة والتزامها بالإسلام (الشعائر والعبادات)
						ب - الأولاد والتزامهم بالإسلام (الشعائر والعبادات)
						ج - وعيهم لحقيقة الإيمان والتوحيد
						د - ارتباطهم بمنهاج الله تلاوة ودراسة وتدبراً
						هـ - مستوى تربيتهم وأخلاقهم
						و - ارتباطهم بدين الله ودعوته
						مجموع درجات البند

تابع ميزان المؤمن

التقدير			الدرجة			البند والفقرة والفرع
الفرع	الفقرة	البند	الفرع	الفقرة	البند	
						ثامناً - مظاهر وأمارات تدل على نقاط ضعف مميزة :
						١ - الإدانة
						٢ - شبهات
						٣ - الجدل والمهارة
						٤ - المراوغة وعدم الدقة والوضوح
						٥ - الإعجاب وتركيز النفس
						٦ - عدم وجود عطاء في البلاغ والبيان والتنمية
						٧ - عدم المساهمة في تحقيق الأهداف الربانية للدعوة
						٨ - مظاهر أخرى
						مجموع درجات البند
						مجموع درجات القوة
						مجموع درجات الضعف

عاشراً - التقويم العام :

أ - المجموع الكلي والدرجة النهائية ()

ب - المستوى العام لشخصيته كلها : (ضعيف ، متوسط ، جيد ، جيد جداً ،

ممتاز) : ()

ج - مدى قوة تأثيره بالآخرين أو تأثيره على الآخرين وميزان ذلك :

ج - مدى صلاحيته لهذا العمل أو ذاك (إذا كان مكلفاً بعمل أو مرشحاً له) :

٨ - العنصر السابع : المؤسسات الإيمانية :

المؤسسات الإيمانية هي كل مؤسسة تقوم منذ بداية تكوينها على أساس الإيمان والتوحيد ، وعلى أساس منهاج الله ، ثم تمضي في ممارسة إيمانية تطبق منهاج الرباني في واقعها بنيت صالحة لتكون جزءاً من بناء الأمة المسلمة ، وصورة عملية تطبيقية لمنهاج الله .

إن هذه المؤسسات الإيمانية ضرورة للدعوة الإسلامية ، حتى يرى الناس الإسلام وهو يمارس عملياً في واقع الحياة ، فيقبل الناس عليه حين يرونه عملياً أمام أبصارهم وأسماعهم ، يحمل إليهم الصدق واليقين ، ومطابقة شعار للممارسة .

لقد أساء الكثيرون للإسلام حين رفعوه شعاراً ولم يطبقوه ممارسة ، حتى غلب سوء ظن الناس ببعض الدعاة لتناقض الأقوال والأعمال .

لأنني بذلك الخطأ ، فكل بني آدم خطاؤون ، وخير الخطائين التوابون . ولكننا نعني حين يكون النهج المطبق مخالفاً للإسلام ، وحين تكون النظرة مرتبطة بالدنيا ، غير مشرقة بنور الإيمان بالله واليوم الآخر .

لقد نجح العلمانيون وأهل الدنيا بتحقيق زينتهم وزخارفهم في واقع الحياة ، يخدرون بها الناس ، ويصدون بها عن سبيل الله . وقدّموا للناس علماً وصناعة يدعم نجاح علمانيّتهم في الدنيا ، ويُدعّم طغيانهم وظلمهم وإفسادهم في الأرض ، ولم يوفّق الكثيرون إلى تقديم الإسلام نهجاً عملياً في واقع الحياة ، ليرى أهل الأرض كلهم كيف أن شعاراتهم تطبق في الإسلام خيراً من تطبيقهم وأشمل وأعدل ، سواء أكان ذلك في حقوق الإنسان ، أم ميدان القضايا ، أم في الاقتصاد والسياسة أم البيت والأسرة ، أم سائر نواحي الحياة .

إن الناس يريدون أن يروا الإسلام بامتداده وشموله ، وعدله ورحمته مطبقاً في واقع الحياة البشرية ، لتكون الممارسة حجة تنضم إلى سائر الحجج .

إنها مسؤولية كل مسلم وكل داعية ، مسؤولية كل دعوة إسلامية وكل مؤسسة تنتمي إلى الإسلام .

٩ - العنصر الثامن : التقويم الدوري : (١)

التقويم الدوري هو آخر خطوة في مسيرة التنفيذ . إنه يمثل عملية ضرورية لكل نشاط ولكل خطوة ومسيرة . وكما ذكرنا قبل فإن المؤمن لا يبدأ عمله إلا بالنية الخالصة والنهج والتخطيط ، ثم يمضي في عمله مع إشراف ومراجعة وتوجيه ، فإذا انتهى فإنه يقوم بمراجعة المسيرة كلها وتقويمها .

والتقويم يعني تحديد الأخطاء حتى تُجْتَنَّب ، وتحديد الصواب حتى يُتَّبَعَ ، وتحديد مستوى الإتقان فيما هو صواب ودرجة الإحسان فيها ، ووسائل تنميته وتحسينه .

التقويم غائب عن حياة قطاع كبير من المسلمين . وكأن الكثيرين لا يريدون أن يروا أخطاءهم ولا أن يجابهوها ، ولا أن يحاولوا علاجها . وفي مثل هذه النفسية تتعطل الدراسات والأبحاث ، ولا تُبلَّغ درجة الإتقان والإحسان ، ويموت التناصح ، ويغيب النهج والتخطيط ، وينتقل الناس من فشل إلى فشل ، ومن هزيمة إلى هزيمة .

يبدأ التقويم برّد الأمور إلى قواعد الإيمان والتوحيد وإلى منهاج الله ، ويمضي مع محاسبة النفس ، من خلال مراجعة دقيقة آمنة تجمع المعلومات وترتبها .

ويحتاج التقويم إلى نظام إداري ، وإلى شورى وتناصح وتعاون ، كل ذلك على أساس من عمل منهجيّ مدروس ومخطط له ، يقوم على نظام محدّد يبيّن الوسائل والأساليب ، والمسؤوليات والصلاحيات .

(١) يراجع كتاب : النظرية العامة للدعوة الإسلامية - نهج الدعوة وخطة التربية والبناء : الباب الثامن - الفصل الرابع .

لذلك لابد أن يكون التقويم دورياً على ضوء العمل الذي يراد تقويمه فقد يكون التقويم يومياً ، أو أسبوعياً ، أو شهرياً أو سنوياً . لابد أن يكون التقويم دورياً منهجياً إدارياً . فهو جزء من النظرية العامة كما نرى ، وهو جزء من النظام الإداري ، وهو جزء من خطة التدريب والتربية والبناء .

إن إغفال التقويم إغفال لعدد غير قليل من قواعد الإيمان وقواعد منهاج الله ، ولكن يجب أن نلتفت إلى أن لا يتحوّل التقويم الدوري إلى عمل آليّ لاهية فيه .

إنها مسؤولية الطاقة البشرية المؤمنة المدربة ، أن تظل تبعث فيه الحياة والقوة بمقدار ماتصدق النية والعلم والخبرة .

إن التقويم الدوري المنهجي يمثل استجابة لأمر الله وأمر رسوله ، استجابة للآيات والأحاديث حول ذلك :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّقْدَمَتْ لَغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر : ١٨]

وهو تدريب على الممارسة الإيمانية ، وحماية للمؤمنين من أن تتجمع الأخطاء وتتراكم حتى تحجب الرؤية وتمنع الإصلاح . وهو إغلاق للمنافذ التي يمكن أن يلج منها شياطين الإنس والجنّ وأعداء الله ليفسدوا على المؤمنين أمرهم .

و «مِيزَانُ الْمُؤْمِنِ» ، الذي هو العنصر السابع من العناصر التنفيذية ، مثل على التقويم ونموذج من نماذجه . ويأخذ التقويم نماذج مختلفة حسب القضية والنشاط والعمل .

ولقد قدمنا بعض النماذج على بعض الأنشطة الإيمانية . مثل التقويم الأسبوعي لمنهج لقاء المؤمنين وإدارته ، والتقويم الأسبوعي لأداء المسلم ، وكذلك التقويم الشهري ، ثم التقويم السنوي للدعوة الإسلامية إنَّ هذه النماذج تهدف إلى التدريب في ميدان التربية والبناء ، وإلى التقويم ذاته .

والتقويم ، كما ذكرنا ، يحتاج إلى التدريب عليه ، وإعداد الكفاءات القادرة على إتقانه . وهو يحتاج إلى قدرة على الموازنة الدقيقة .

* * * *

إذا كان التقويم يمثل الخطوة الأخيرة من عناصر التنفيذ ، فلا يعني هذا أن التنفيذ انتهى وتوقف . إن عناصر التنفيذ تمثل العناصر التنفيذية الضرورية في كل مرحلة من مراحل التنفيذ . والتنفيذ في حياة المؤمنين ، وفي الدعوة الإسلامية ، ممتد حتى يلقي العبد ربه بالنسبة للفرد المسلم ، وممتد حتى قيام الساعة بالنسبة للأمة المسلمة . وكيف يتوقف التقويم والأمة المسلمة مكلفة بمسؤوليات ممتدة مع الزمن كله حتى قيام الساعة .

يوم القيامة يحاسب الفرد ، وتحاسب كل أمة :

﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴿ [الجاثية : ٢٨ ، ٢٩]

الفصل السادس البند الخامس المضي على الصراط المستقيم دون توقف أو انحراف مع الإتقان والإحسان

إن مسيرة الدعوة الإسلامية في الأرض يجب أن تمضي على صراط مستقيم ، الصراط الذي بيّنه الله لنا وفصّله في المنهاج الرباني ، الصراط الذي أمرنا الله باتباعه وحده ، وعدم اتباع سواه :

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْشَوْا بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَ لَكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣]

فعن عبدالله بن مسعود قال : خط لنا رسول الله ﷺ خطاً بيده وقال : « هذا سبيل الله مستقيماً » وخط عن يمينه وشماله ثم قال : « هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ثم قرأ الآية الكريمة (١)

ومن أين لنا أن نعرف هذا الصراط المستقيم ؟! إن منهاج الله هو المصدر الحق الذي يفصل ذلك . فهل يعقل أن يأمرنا الله باتباع صراطه المستقيم دون أن يبيّنه لنا ؟!

﴿ اتَّبِعُوا مَا نَزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٣]

وجاء كتاب الله ليبيّن ويفصّل :

﴿ الرِّبَا كَثِيرٌ وَآيَاتُهُ لَعَلَّكُمْ أَتَّعِفُونَ ﴾ [هود : ١]

إذن من منهاج الله نعرف هذا الصراط المستقيم لتبّعه وحده ، ولا نتبع سواه .

(١) تفسير ابن كثير للآية .

وكان لابد أن نبرز هذا البند في النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، لشدة ما حدث من انحراف واضح عن الصراط المستقيم ، ولشدة التناقض والاضطراب الذي نجده اليوم في واقع المسلمين في الأرض .

فمن الناس من يقول إن الديمقراطية من الإسلام ، وإن محمداً ﷺ كان يدعو إلى الديمقراطية . وقيل مثل ذلك عن الاشتراكية ، ثم انطلق دعاة مسلمون يطوفون الأرض ويدعون إلى الديمقراطية ، ولكن أين ؟ في البلاد التي تدعي أنها تقيم الديمقراطية . نسي هؤلاء أنهم دعاة مكلفون بدعوة الناس إلى الإسلام ، إلى دين الله ، إلى رسالة الله إلى خلقه .

وجاء آخرون يقولون إنه لا اختلاف بين العلمانية ومقصود الشريعة الإسلامية . وآخرون ينادون : لتأخربوا العلمانية إنها تحمي المسلمين وتعطيهم حقوقهم . وآخرون يرون الحداثة من الإسلام .

وتمتد الدعوات باسم الإسلام لتجعل الإسلام في دعواهم حداثاً وديمقراطياً واشتراكياً وعلمانياً .

لقد أصبحت الجراة على دين الله كبيرة ، وأصبح الكثيرون ممن ينتسبون إلى الإسلام يريدون أن يسوّغوا انحرافاتهم بتأويلات فاسدة ، وأهواء مريضة .

ولقد رددنا على معظم هؤلاء في دراسات منهجية صدرت في حينها . ولكن الانحراف يمتد ويزيد .

كان لابد إذن من إبراز هذه القضية ، قضية أمر الله لنا باتباع صراطه المستقيم .

ولابد من البيان والتأكيد أن الله سبحانه فصل هذا الصراط المستقيم تفصيلاً في المنهاج الرباني .

ولابد من البيان والتأكيد أن الصراط المستقيم هو وحده سبيل الله ، وأن السبل الأخرى سبل شياطين الإنس والجن ، على كل سبيل شيطان يدعو إليه .

وحتى لا تضطرب الصورة وتختلط ، أو يدور جدال وخلاف ، جاءت النظرية العامة للدعوة الإسلامية لتذكّر بما بينه الله وفصله في المنهاج الرباني ، فابتدأت بها أمر الله به ورسوله : بالإيمان والتوحيد ، ثم بالركنين الرئيسين ، وهكذا ، حتى نصل إلى قضية المضي والمثابرة والمداومة على الصراط المستقيم فليس الصراط المستقيم قطعاً متفرقة ، غير مترابطة . ولا هو قطعة متفلتة تكفي وحدها لنسُميها «الصراط المستقيم» .

كلا ! إن « الصراط المستقيم » نهج ممتدّ مع الحياة كلها ، حياة الفرد وحياة الشعوب . إنه نهج ممتدّ مترابط متماسك لا يصحّ تقطيعه ولا تمزيقه .

إنه نهج ممتد ، ودرب ممتد ، وسبيل يبتدىء بالإيمان والتوحيد ، ثم بالشهادتين ، ثم بباقي التكاليف الربانية حتى يلقي المسلم ربه ، أو حتى تقوم الساعة على الناس .

إن أهمية هذا الامتداد تتضح لنا من طبيعة هذا الدين الذي يطلب الإحسان والإنقان في عمل الفرد المسلم وعمل الأمة كلها . فمع الامتداد تمتد العبادة الصادقة ، ذلك أن العبادة في ميزان الإسلام هي حياة المسلم كلها ، حياة المسلم الذي صدقت نيته وعزمته وإيمانه وعلمه ، ومضى على نور يعبد الله في كل أمره ، حتى إذا أخطأ أو زلّ ، تاب وأناب واستغفر ، وتابع المضي على الصراط المستقيم .

إن المضي على الصراط المستقيم يزيد المسلم الصادق إيماناً ، ويزيده علماً ، ويزيده خبرة وتجربة من خلال الممارسة المنهجية المنضبطة بقواعد الإيمان والتوحيد وقواعد منهاج الله . وعمل المؤمن يجب أن يكون متقناً ، أو أن يبذل المسلم جهده ليكون عمله متقناً ممتداً على صراط مستقيم :

فعن عائشة رضي الله عنها عن الرسول ﷺ :

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » [رواه البيهقي في سننه (١)]

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : [رقم : ١٨٨٠]

وكذلك يحب الله من عبده المؤمن أن يبذل الجهد حتى يبلغ درجة الإحسان في عمله كله :
فعن شداد بن أوس عن النبي ﷺ :

« إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء . فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليُحَدِّدْ أحدكم شفرته ، وليُرَخِّ ذبيحته » [رواه أحمد ومسلم] (١)

ويأتي حديث رسول الله ﷺ الذي ترويه عائشة رضي الله عنها ، ليؤكد معنى المداومة والمضي على الصراط المستقيم :

« أحبُّ الأعمالِ إلى الله أدومها وإن قلَّ » [رواه الشيخان] (٢)

فالعَمَلُ بميزان الإسلام لا يُوزَنُ بكثرة أو قلته أولاً ، ولكن بالإتقان والإحسان والمداومة ، ثم يأتي بعد ذلك الكثرة أو القلة .

والمضي على الصراط المستقيم يحتاج إلى صبر ومجاهدة . ويحتاج إلى كل البنود التي سبقته من إيمان وتوحيد ، والركنَيْنِ الرئيسَيْنِ ، ودراسة الواقع والميدان باستمرار وتحديد مشكلاته ، وعناصر التنفيذ كلها .

وتتوالى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تأمر بالصبر وتحض عليه وترغب فيه مع المداومة والعمل والمجاهدة والمضي على الصراط المستقيم .

وبهذه المداومة والصبر والمضي ينمو الإتقان والإحسان والعمل كله مع نمو الإيمان والعمل والخبرة .

واستمع إلى قبسات من الآيات والأحاديث :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٥]

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (رقم : ١٧٩٥) .

(٢) المصدر السابق : رقم : (١٦٣) .

﴿ قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠]

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان قال قال رسول ﷺ : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير - وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن - إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له . » [رواه أحمد ومسلم (١)]

وفي حديث شريف يرويه أبو سعيد سعد بن سنان يحيى قوله ﷺ : « . . وما أعطي أحد عطاء أوسع من الصبر » [رواه أحمد والشيخان (٢)]

* * * *

إن المضي على الصراط المستقيم هو السبيل الوحيد أمام المسلمين للخروج إلى العزة والمنعة والقوة بإذن الله . لقد جعله الله سبيلاً واحداً حتى يجمع المؤمنين أمة واحدة ، وحتى تجتمع لهم أسباب القوة التي ينزل الله معها النصر على الذين أوفوا بعهدهم مع الله . إن زينة الحضارة الغربية وما تحمله من علوم وصناعة وسلاح وغير ذلك ، يجب أن لا يخطف أبصارنا ويصرفنا عن سبيل الله ، عن الصراط المستقيم .

فقد اتبع الكثيرون الغرب ، وقالوا إن نهجهم هو سبيل التقدم ، ومضت قرون وبعض المسلمين يقتفون أثر الحضارة الغربية . فماذا جنوا ؟ أخذوا المظاهر ، أخذوا الرقص والغناء والأفكار العلمانية ، صرخوا وثاروا ، وقتلوا وقتلوا ، وبعد الجهد والنضال ، والشعارات المدوية والحناجر المبحوحة ، ماذا أخذوا ؟!

لقد أخذوا المظاهر ، وما أخذوا العلوم والصناعة ، فأضعفوا أمتهم ومزقوا صفوفها ، وما قدّموا سبباً من أسباب القوة الحقيقية . ولو حدث أن أخذوا بعض العلوم والصناعة على غير تقوى من الله ، لما بارك الله لهم فيها ولأعاد الله الوبال عليهم ، وظلت الأمة بعد نضال قرون ، أمة تعتبر من العالم الثالث المتخلف .

(١) المصدر السابق : رقم : (٣٩٥٧) .

(٢) المصدر السابق : رقم : (٥٨١٩) .

إن المظاهر المادية في أي حضارة جعلها الله مفتوحة للشعوب كلها ، للأمم كلها ، لمن ينهض ويعمل ويبدل .

لقد كشف لنا واقع الحياة وسنن الله فيها أن مختلف الأمم بلغت درجة عالية فيها ، كل أمة كان لها عقيدة خاصة بها من إيمان أو كفر .

لقد بلغ المسلمون بإسلامهم الدرجة العليا حتى كانوا سادة العالم . وبلغت أوروبا وكذلك أمريكا في ظل العلمانية درجة عالية اليوم ، وبلغ الاتحاد السوفياتي درجة عالية في ظل المادية والإلحاد ، وبلغت اليابان درجة عالية كذلك في ظل عقيدة عبادة الامبراطور . وإذا سرنا في الأرض ونظرنا في مصائر الشعوب الغابرة وجدنا آيات الله بينات .

إن العقيدة هذه أو تلك لا تعطل بها بلوغ القوة المادية من علوم وصناعة وسلاح ، وعمائر شامخات ، إن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك ميداناً مفتوحاً لكل من ينهض ويبدل ويعمل :

﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون . وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾
[الزخرف : ٣٣-٣٥]

وكذلك :

﴿ كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عِطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عِطَاءُ رَبِّكَ مُحْظوراً ﴾
[الإسراء : ٢٠]

نعم ! إن الله يُمدُّ من عطائه مختلف الشعوب والناس ، المؤمنين والكافر ، على سُنَن الله ماضية وحكمة بالغة وقدر غالب . إن الله سبحانه وتعالى يُمدُّ هَؤُلَاءِ وهَؤُلَاءِ : من كان يريد العاجلة ، ومن أراد الآخرة ، لِيَبْتَلِيَ هَؤُلَاءِ وهَؤُلَاءِ ، وَلِيُمَحِّصَهُمْ وَيَقِيمَ الْحُجَّةَ لَهُمْ أَوْ

عليهم . فلا يعني بريق الدنيا وزخرفها أن من أوتي شيئاً منها كان أقرب عند الله ، أو أنه صاحب النهج الأصوب .

إن زخرف الحياة الدنيا لا يُعتبر مقياساً لصحة عقيدة أو مذهب أو فلسفة في الحياة .
الكون في مادته مفتوح لمن ينشط ويعمل ، وتمضي سنن الله !

ولكن شأن المسلمين شأن آخر . إنهم الأمة التي يجب أن تكون «خير أمة أُخرجت للناس» ، ويجب أن تكون خير البرية . والذين كفروا هم شرُّ البرية . إن المسلمين ، أو المنتسبين إلى الإسلام ، يكونون خير أمة أُخرجت للناس ، حين يؤمنون ويحملون رسالة الله إلى الناس كافة ليخرجوهم من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله . فإذا تخلّى المنتسبون إلى الإسلام عن هذه الرسالة والأمانة ، فهم أمة من الأمم تمضي عليها سنن الله كما تمضي على غيرها .

فالمسلمون ليس أمامهم إلا الإيمان والتوحيد ، وحمل رسالة الله إلى الناس على نهج واضح مفصل في منهاج الله ، وجاءت هذه النظرية العامة للدعوة الإسلامية لتذكر بما أمر الله به ، ولتضعه في صورة منهج يصدر عن منهاج الله ويلبي حاجة الواقع .

المضي على الصراط المستقيم ، يعني المضي على بنود هذه النظرية العامة ابتداءً من الإيمان والتوحيد حتى التقويم .

إن هذا المضي هو السبيل الوحيد أمام المسلمين ، والحقيقة أنه السبيل الوحيد أمام جميع خلق الله إذا أرادوا أن يكون هدفهم الأكبر والأسمى هو الجنة والدار الآخرة ورضوان الله .

ونؤكد هنا أن هنالك قضيتين تمضيان معاً لا تفرقان أبداً أبداً :

الأولى : مصير الإنسان إلى الجنة أو إلى النار . إنه مصير كل فرد وكل أمة .

الثانية : التمكين في الحياة الدنيا .

والمضي على الصراط المستقيم هو الذي يجمع هاتين القضيتين معاً ليمضيا معاً بإذن الله .

الفصل السابع

البند السادس

إلى الهدف الأكبر والأسمى^(١)

إن النظرية العامة للدعوة الإسلامية لا تمثل مجرد نظرية فكرية ، إنها بالإضافة إلى أنها نظرية نابغة من منهاج الله لتلبّي حاجة الواقع ، فإنها في الوقت نفسه تمثل مسيرة متكاملة ، تحدّد نقطة انطلاقها وتحدّد نهايتها .

إن نقطة الانطلاق هي الإيمان والتوحيد وإخلاص النية لله سبحانه وتعالى ، إخلاصاً نابغاً من الإيمان والتوحيد ، خاضعاً لمنهاج الله وأحكامه .

فالنية مع هذه المسيرة المشرقة تصبح وعياً وإفاقة ويقظة . إنها ليست غفلة أو خدر أ . إنها قوة وبصيرة تمتد امتداد المسيرة كلها .

والنية على هذا النحو تظل عاملة مع المؤمن طوال المسيرة كلها ، تذكره وتوقظه إذا نسي أو غفأ . إنها تظل تدكّره بالهدف الأكبر والأسمى ، فما هو الهدف الأكبر والأسمى ؟

إنه الهدف الأكبر والأسمى الذي حدّده الله ربّ العالمين ، وسماه أسماء مختلفة لتشير إلى حقيقة واحدة . إنه الجنة :

وانها جزاء المؤمنين :

﴿ ... جزاؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ﴾ [البينة : ٨]
 ﴿ ... أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ﴾ [البقرة : ٢٢١]

(١) يراجع كتاب لقاء المؤمنين - الجزء الثاني - الأهداف .

﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾
[آل عمران : ١٣٣]

هذه قبسات من كتاب الله نكتفي بها هنا . ولكن الآيات تتوالى في القرآن الكريم لتؤكد هذا الهدف الأكبر والأسمى وهذه التسمية .

وتأتي أحاديث رسول الله ﷺ لتؤكد هذا الهدف العظيم للإنسان في الحياة الدنيا ، وليظل قلب المؤمن معلقاً بالجنة . ولناخذ قبسات من أحاديث النبوة ، ومن مواقف الصحابة رضي الله عنهم :

ياسر وزوجه سمية وعمار رضي الله عنهم ، يعذبهم المشركون في لهيب الشمس عذاباً شديداً . فيمرّ بهم رسول الله ﷺ فيقول :

« صبراً آل ياسر ! فإن موعدكم الجنة »

ويعذبون بلالاً رضي الله عنه ، يطوفون به والحبل في عنقه بين أخشبي مكة ، أو يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يشرك ، فيقول : أَحَدٌ ! أَحَدٌ ! أَحَدٌ !

وعمر بن الجحوم رضي الله عنه ، حين أراد أولاده منعه من الخروج إلى الجهاد ، يقول : « فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة » .

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل . ألا إن سلعة الله الجنة إلا إن سلعة الله الجنة » (١) .

وإنه الدار الآخرة :

﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾
[الإسراء : ١٩]

﴿ وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾
[العنكبوت : ٦٤]

(١) الترمذي : ٢٤٥٠ / ٤٨ / ٣٨ .

وإنه كذلك رضوان الله :

﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾
[التوبة : ٧٢]

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً .. ﴾
[الفتح : ٢٩]

الجنة ، الدار الآخرة ، رضوان الله ! كلها تعبيرات قرآنية لحقيقة واحدة ، هي الهدف الأكبر والأسمى للإنسان المؤمن في هذه الحياة الدنيا .

ويعرض منهاج الله هذا الهدف الأكبر بأساليب مباشرة وغير مباشرة متنوعة ، تخاطب العقل والعاطفة ، وتخاطب فطرة الإنسان وما أودع الله فيها من قوى ، لتوجه هذه القوى كلها إلى طاعة الله ، إلى الهدف الأكبر والأسمى . ولتدبر هذه الآية الكريمة .

﴿ وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى ﴾ يقول
يا ليتني قدمت لحياتي ﴿
[الفجر : ٢٣-٢٤]

هناك يكتشف الإنسان الحقيقة حين تبدو له بارزة قوية لا يستطيع إنكارها . فيأخذه الندم ولات ساعة مندم ، حين يكتشف أن الحياة الحقيقية هناك في الدارة الآخرة . وكذلك قوله تعالى :

﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [المطففين : ٢٦]

إننا نرى ، من هذه النظرية العامة ، نرى من بدايتها وخاتمتها شدة الارتباط بين جميع أجزائها حتى كوّنت درباً ممتداً وصراطاً مستقيماً ، وكل بند منها متماسك مع البنود الأخرى ، وكل قضية متماسكة مع القضايا الأخرى ، لتكون كلها التصور العام الذي ينبع من منهاج الله .

بهذا الهدف الأكبر والأسمى ترتبط جميع الأهداف الربانية الثابتة ، وترتبط جميع الأهداف المرحلية كذلك . وتظل النية الصادقة التي تصاحب المؤمن في كل عمله ومسيرته ، أهم عامل يقوم بمهمة الربط ، وكذلك الإيمان والتوحيد والتزام منهاج الله ، وارتباط الواقع الذي يُدرّس من خلال منهاج الله ، ودراسة الميدان وعناصر التنفيذ ، والمضي على الصراط المستقيم ، كل هذه الأجزاء والبنود ترتبط فيما بينها ، ويرتبط كل واحد منها بالهدف الأكبر والأسمى .

وإذا فُقد هذا الترابط بطل العمل كله وفسد التصور ، وتقطعت حباله وعراه . ولنأخذ الأسس الأربعة مثلاً يبيّن لنا أهمية هذا الترابط بينها أولاً ، بينها وبين الأهداف الربانية الثابتة ثانياً :

فالهدف الرباني الثابت الأول هو الدعوة إلى الإيمان والتوحيد وتثبيت ذلك في القلوب ، الدعوة إلى الله ورسوله ، تبليغ رسالة الله كما أنزلت على محمد ﷺ دون أي تحريف ، إلى الناس كافة . وكيف يصدق هذا الهدف إذا انفصل عن تصور الدار الآخرة والجنة ورضوان الله ، وعن تصور الغيب والإيمان به ، الإيمان بالغيب الذي جعله الله شرطاً من شروط الإيمان وأساساً له :

﴿الم * ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [البقرة : ١-٣]

فجمعت هذه الآيات الكريمة الأسس الأربعة على ترابطها وتماسكها ، وذكرت كل أساس بأهم موضوع فيه ليشمل باقي موضوعاته :

القاعدة الصلبة : الإيمان والتوحيد بيّنته الآية الكريمة بالإيمان بالغيب .

الركنان الرئيسان : المنهاج الرباني والواقع بيّنها : ﴿ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين﴾ . إنه هدى للمتقين ليروا الواقع وليمارسوا منهاج الله فيه . هدى للمتقين الذين يعملون ويمارسون منهاج الله كأهم عنصر من عناصر التقوى .

الممارسة الإيمانية : ﴿ .. هدى للمتقين ﴾ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴿ . فبينت الآية الممارسة الإيمانية التي يجب أن تبدأ بالشهادتين ، ثم بالشعائر وعلى رأسها الصلاة ، ثم في المضي بالممارسة الإيمانية إلى الإنفاق وغيره .

فاجتمعت بذلك الأسس الأربعة : سلامة الإيمان والتوحيد ، العلم بمنهاج الله ، العلم بالواقع من خلال منهاج الله ، سلامة الممارسة الإيمانية .

وجاء العرض في هذه الآيات الكريمة وبالأية التي تليها ، لتعرض هذه الأسس الأربعة متشابكة متداخلة يتعذر فصل بعضها عن بعض ، ومرتبطة بالهدف الثابت الأول - الدعوة إلى الله ورسوله - ، وبالهدف الأكبر والأسمى - الدار الآخرة - .

﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ [البقرة : ٤]

هذا هو الهدف الرباني الثابت الأول نرى شدة ارتباطه بالقاعدة الصلبة وبالأسس الأربعة وبالهدف الأكبر والأسمى .

وكذلك تمضي سائر الأهداف الربانية الثابتة :

الهدف الثاني : التربية والبناء ، والإعداد والتدريب .

الهدف الثالث : بناء الجيل المؤمن .

الهدف الرابع : الجهاد في سبيل الله

الهدف الخامس : الأمة المسلمة الواحدة حتى تكون كلمة الله هي العليا في واقع الممارسة البشرية .

الهدف السادس : عمارة الأرض بحضارة الإيمان .

إن كل هدف من هذه الأهداف الستة يدعو ويوجه إلى الهدف الذي يليه . فالدعوة إلى الله ورسوله لاتقف عند البلاغ ، ولكنها تمضي إلى تعهد من تدعوه وتبلغه ، حتى لا تُفسد شياطين الإنس والجن ما بَنَتْهُ الدعوة وعملته . وهذا التعهد ضرورة حتمية ، وهو الذي ندعوه بمرحلة التربية والبناء ، والإعداد والتدريب .

وإذا بلغت الدعوة الهدف الثاني ، انطلق الهدفان الأول والثاني ليعملا معاً ، ويمضيا معاً ، إلى الهدف الثالث .

فإذا نجح الهدف الأول والهدف الثاني ، ونجحت الدعوة في تبليغ هذا وذاك وذاك وتعهدهم ، فإن هذا سيفضي إلى الهدف الثالث وهو بناء الجيل المؤمن .

ويأتي هنا السؤال : من هو الجيل المؤمن وكيف نتصوره ونعرّفه بإيجاز ؟ هل الناس كلهم فرداً فرداً ؟ هل يجب أن نتظر حتى يصلح حال كل إنسان ؟ كلا ! الجيل المؤمن نعرّفه بإيجاز بنقطتين : الأولى : أن تتوافر فيه الخصائص الربانية التي فصلها الله سبحانه وتعالى في كتابه المين . والثانية . أن يكون قد بلغ من شروط الإعداد والعدة مايسمح له بمتابعة المسيرة الى سائر الأهداف الثابتة ، ويمضي بالدعوة الإسلامية حتى يُحَقَّق سائر الأهداف .

فإذا بلغت الدعوة الهدف الثالث وحققته ، تعمل الأهداف الثلاثة معا وتمضي إلى الهدف الرابع . ومع أي هدف ، في أي مرحلة لايجوز أن يتعطل أو يتوقف أي هدف سابق . فتمضي الدعوة والبلاغ ، والتربية والإعداد ، وبناء الجيل المؤمن ، تمضي هذه كلها إلى الهدف الرباني الثابت الرابع : الجهاد في سبيل الله بالكلمة والحكمة والموعظة الحسنة والقتال ، حسب مايفرضه الواقع الذي يفهم من خلال منهاج الله .

وتمضي الأهداف الأربعة معاً إلى الهدف الرباني الثابت الخامس . ثم تمضي الخمسة إلى السادس . ثم تعمل الأهداف الستة كلها في واقع الإنسان في الأرض لتقدم له من خلال حضارة الإيمان : الإيمان والتوحيد ومنهاج الله ، والأمن والأمان ، والعدل ، والحرية المنضبطة بضوابط الإيمان والتوحيد ، ومنهاج الله ، يدعم ذلك كله البناء المادي المتناسك مع قواعد الإيمان والتوحيد ومنهاج الله .

وتنهض حضارة الإيمان في الأرض ، تجمع الأهداف الربانية الثابتة الستة كلها ، لتُعْزِي حضارة الإيمان وتمتدّ بها في الأرض كلها .

وربما يسأل سائل : ماموقف حضارة الإيمان من العلوم التطبيقية والصناعية ، وسائر مظاهر الرقي المادي ؟ هل ستلغى حضارة الإيمان هذه المظاهر المادية التي تسميها حضارة الإيمان زخرف الحياة الدنيا ؟ .

نقول : كلا ! إن حضارة الإيمان هي أولى بهذا التقدم المادي ، وهو نتيجة حتمية لحضارة الإيمان . ولا تعود هذه المظاهر المادية مجرد زخرف وزينة في نظر الإسلام . إنها تصبح قوة لتمكين حضارة الإيمان في الأرض ، ولتحقيق الأمانة التي حملها الإنسان ، والخلافة التي جُعِلَتْ له ، والعبادة التي خلق لها ، والعمارة التي أمر بها . إنها تصبح قوة تعين الإنسان على عبادة الله حقَّ عبادته ، لامصدر فتنة تفسد إيمانه وتنسيه رسالته في الحياة ، وتفقد قوّته وعدّته حتى يصبح تبعاً تائها للحضارة المادية . إن المظاهر المادية حين تنفصل عن حقيقة الإيمان والتوحيد ، زخرف باطل ، وفتنة في الأرض وفساد كبير ، وإطلاق للشهوات والمصالح المادية والصراع المهلك عليها .

إن الفرق الرئيس بين حضارة الإيمان وحضارة العلمانية المادية هو أن المظاهر المادية في حضارة الإيمان تصبح خيراً وصلاًحاً للإنسان ، وأمناً صادقاً ، وأماناً عادلاً . تصبح الشعارات لا مجرد زخرفة وزينة وإلهاء للناس وتخدير لهم . تصبح الشعارات في حضارة الإيمان حقيقة واقعية ، وعملاً صالحاً طيباً . ذلك كله لارتباطها بالدار الآخرة ، بالإيمان والتوحيد ، وبرسالة الإسلام على تكاملها .

أما في الحضارة المادية ، في العلمانية ، وفي سائر المصطلحات التابعة لها ، فإنها معزولة عن الدار الآخرة ، عن الإيمان والتوحيد ، عن رسالة الإسلام ، حتى تصبح المظاهر المادية هي جوهر الحضارة تزخرفها الشعارات التي لانجد لها أي رصيد في واقع الحياة . لقد انعزلت عن الهدف الأكبر والأسمى للإنسان ، وانعزلت عن مسيرته كلها . فتقتل الحرية باسم الحرية ، وتقتل حقوق الإنسان تحت شعار حقوق الإنسان ، ويسحق الأمن والأمان تحت شعار الأمن والأمان ، وتمتلئ الأرض حروباً ومجازر ودماء تتدفق ، وجماجم وأشلاء ، وانتهاكاً للحرمت ، وسحقاً للقيم التي بنتها رسالة الإسلام في الأرض ،

الرسالة التي جاء بها جميع الأنبياء والرسل منذ أقدم العصور ، حتى خُتِمت بِرِسالة النبي الخاتم ﷺ . وتصبح لهذه الحضارة المادية تحت زينة الشعارات وزخرفها ألف ميزان ومكيال ، كل ميزان يمثل مصلحة مادية لفريق ، ومكيالاً مادياً لفريق آخر ، تعددت الموازين والمكاييل ، واحتدم صراع المصالح ، وأصبح هناك أغنياء فاحشو الغنى ، وفقراء مدقعو الفقر ، حتى زاد عدد المهّدين بالموت جوعاً عن ثمانمائة مليوناً من البشر ، بين أعداد من الذين يموتون من التخمّة أو يعيشون على تخمة إجرامية .

الفرق بين الحضارتين بارز في كل ميدان . في الاقتصاد ، يخفّض الربا في حضارة الإيمان ، لأن الاقتصاد مرتبط بالهدف الأكبر والأسمى ، مرتبط بالإسلام ، فكان الربا حراماً أشد حرمة من أي شيء . والاقتصاد في الحضارة العلمانية المادية قائم كله على الربا وأكل أموال الناس بالباطل .

والسياسة في حضارة الإيمان ذكاء تقوى ومهارة صدق ووفاء موثيق ، وفي الحضارة العلمانية ذكاء خيانة ومهارة غدر يذهب بالموثق ، إلا على قدر ما تجرّه من المصالح . وقس على ذلك سائر الميادين .

فالمسلمون مكلفون ببناء حضارة الإيمان في الأرض ، وعمارتها بخيرها وبركتها ، عهداً موثقاً مع الله ، وأمانة ملزمة . والنهوض إليها هو باب النجاة في الدنيا والآخرة ، وباب التمكين في الأرض .

الفصل الثامن

مراحل

النظرية العامة للدعوة الإسلامية

ذكرنا في صفحات سابقة أن النظرية العامة للدعوة الإسلامية تتألف من ستة بنود ، وتتألف كذلك من خمس مراحل . وقسمة النظرية العامة إلى مراحل يساعد على إدراك دور كل بند وكل جزء وكل عنصر .

وهذه المراحل الخمس متماسكة كذلك ، لا يمكن فصل مرحلة من المراحل أو الاستغناء عنها ، لأن المراحل الخمس تمثل مسيرة كاملة في هذه الحياة الدنيا فهي تعين الفرد المسلم والجماعة والأمة ، وتعين على ترابط الجهود والبذل عن وعي وإيمان .

١ - المرحلة الأولى : مرحلة التزوّد :

إنها المرحلة الأولى في حياة المسلم الداعية ، والمرحلة الأولى التي يجب أن تحرص عليها الجماعة والأمة في خطة التربية والبناء .

كثير من أبناء الدعوة الإسلامية ينزل الميدان بانتسابه للدعوة وهو غير مزوّد بالزاد الضروري الذي يحتاجه في الميدان ، مما يزيد الخلاف والفرقة .

وكثيرون يتضارب زادهم ، وتختلف مصادرهم ، ويتحمس كل فريق لمصدره وزاده ، ولا يرجعون كلهم إلى مصدر واحد ليكون هو المرجع الحقيقي العلمي إلا من حيث الشعار .

لأبأس أن يكون اختلاف الزاد سببه كثرة الزاد هنا وقلته هناك ، أو يكون سببه اختلاف الوسع والمهوبة ، ثم يأخذ كل وسع مكانه ، ويعطي كل وسع من زاده ، ويظل الجميع يسعون إلى تنمية الزاد والخبرة ، وينهلون كلهم أولاً من مصدر واحد ، كما كان صحابة رسول الله ﷺ ينهلون من الكتاب والسنة . لقد كان للصحابه رضي الله عنهم منهل واحد ، ولكنهم كانوا يتفاوتون في الوسع والطاقة ، والقدرات لتعمل كلها في مجرى واحد .

ولكن عندما تتنوع المناهل والمصادر ، وتتغير المراجع ، يصبح الاختلاف مصدر شقاق وصراع ، وتمزق وافتراق ، فيقع الجميع في حُمى فتنة تعود بالخسارة على الجميع .

لذلك جاءت النظرية العامة لتوحد المصدر الرئيس والزاد الرئيس والمرجع الرئيس . كل هذا حدده الله سبحانه وتعالى وبينه لنا وفصله . لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نرد أمورنا كلها وما قد نختلف فيه إلى الله ورسوله ، إلى الكتاب والسنة ، ليكون الكتاب والسنة المرجع الرئيس لجميع المستويات في الأمة وجميع العاملين :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩]

وكذلك :

﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [الشورى : ١٠]

وكذلك :

﴿ الْمَص * كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَتُذَكِّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الاعراف : ١-٣]

وتتوالى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لتؤكد هذه الحقيقة الهامة ، وهي أن للمؤمنين مصدراً واحداً يصدر عن الله ، ومرجعاً واحداً يرجعون إليه جميعهم . فالنص حاسم واضح : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا .. ﴾ ﴿ اتَّبِعُوا ... ﴾ وما اختلفتم فيه من شيء ونصوص أخرى كثيرة أوردناها في غير هذا البحث ، تؤكد كلها هذه القاعدة الهامة مع قواعد أخرى . ومع هذه القاعدة الهامة هنالك قاعدتان مكملتان لها من أجل ممارستها في الواقع :

أولاً : الوسع الصادق للمسلم .

ثانياً : مسؤولية المسلم وحدوده .

وعن أبي هريرة عن الرسول ﷺ :

« تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وستي ، ولن يفرقا حتى يردا عليّ الخوض » . [رواه مالك مرسلًا والحاكم ^(١)]

وكذلك أئمة الإسلام في جميع العصور أكدوا هذه القاعدة العظيمة بأن للمسلمين مصدرًا واحدًا ومرجعًا واحدًا ، ونذكر هنا بعضاً من أقوالهم :

الإمام أبو حنيفة يقول : « حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي . فإنا بشر نقول اليوم ونرجع غداً » .

والإمام مالك بن أنس يقول : « إنما أنا بشر أخطئ وأصيب . فانظروا في رأيي فكل ماوافق الكتاب والسنة فخذه وكل ما لم يوافقها فاتركه » .

والإمام الشافعي يقول في جملة ما قال : « إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي » . والإمام أحمد بن حنبل يقول : لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا » .

في واقعنا اليوم مصادر شتى لكثير من المسلمين . ونريد بطرح هذه النظرية العامة توحيد المصدر وتحديد بصوره تلبي حاجة الواقع : فالإيمان والتوحيد هو الأساس ، وهو مفتاح لفهم كتاب الله وسنة رسول ﷺ ، ومنهاج الله يغذي الإيمان والتوحيد ، ويصبح التأثير بينهما متبادلاً . وكلُّ منهما يدعو لدراسة الواقع وتدبره من خلال منهاج الله ، الواقع الذي يُمارس فيه منهاج الله ، وتُمارس فيه قواعد الإيمان والتوحيد ، والذي تمضي فيه الأحداث على سنن الله ثابتة وحكمة بالغة وقدّر غالب .

ومع هذا كله ، فمن خلال الدراسات التفصيلية نقدّم النهج والخطة والمناهج ، لتكون القاعدة الصلبة والركنان الرئيسان الزاد الرئيس للمسلم بعامة وللداعية بخاصة .

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (ط : ٣) - (رقم : ٢٩٣٧) .

وعندما نقول إن هذا هو الزاد الرئيس ، فإننا نعني بذلك أن هنالك زاداً آخر يمكن أن يكتسبه المسلم من واقع الحياة ، من المعاهد ومن التجارب والممارسة ، ومن علوم أخرى تحتاجها الأمة . ولكن هذا كله لا يفيد في ميزان الإسلام إلا إذا قام على أساس الزاد الرئيس .

إذن مرحلة التزود مرحلة هامة يجب أن تنال بالغ العناية من أجل النهج والتخطيط لها ، حتى تحقق أهدافها المرجوة ، مع كل بند من بنديها : القاعدة الصلبة والركنين الرئيسيين .

٢ - المرحلة الثانية : مرحلة دراسة الميدان :

هذه هي المرحلة الثانية . وهي تمثل الخطوة الأولى في عمل الداعية لبيذل جهده في دراسة الواقع ومعرفة مشكلاته وقضاياها ، وليدرس بعد ذلك وسائل العلاج والإصلاح .

لا بد أن يتدرب الداعية المسلم على هذا الخطوة الهامة ، حتى يدرك أهميتها ، ويدرك مطابقتها للقاعدة الهامة التي تضبط عمل المؤمن وهي :

« لا يبدأ المؤمن عمله إلا بتوافر : النية وإخلاصها لله ، النهج والخطّة ، الانضباط الإداري والتنسيق . ثم يمضي في عمله مع قاعدة الإتقان والإحسان ، والإدارة والنظام ، وعند نهايته تتم دراسة المسيرة ورصد النتائج والأحداث ، ثم التقويم الدوري المنهجي ، ثم الانضباط الإداري والتنسيق » .

لا يستطيع الداعية أن يباشر نشاطه في ميدان لا يعرفه ولا يعرف مشكلاته وبغير « الزاد الرئيس » . ولو باشر نشاطه بغير هذين الشرطين فإن عمله يصبح ارتجالياً ، وردود فعل آنية ، وشعارات تدوي بها الحناجر ولا تنطلق بها العزائم .

ولو راجعنا مسيرة المسلمين والعمل الإسلامي خلال القرن الحالي على الأقل ، وقرون أخرى سابقة ، لوجدنا الارتجال وردود الفعل والشعارات ، ولوجدنا الهزائم تلو الهزائم .

ربما يبدو لبعضهم أن هذه المرحلة غير ضرورية . فينزل الدعاة إلى الميدان وينطلقون في نشاطهم ، ثم تفاجئهم مشكلات الميدان الجزئية والكبرى ، فيضطرب الجهد ويتناقض ، وتتكاثر الأخطاء والخلافات ، وتتراكم حتى يصبح حلها متعذراً ، وتصبح

الرؤية صعبة أمام أكوام الأخطاء . فينتقلون من خطأ إلى خطأ ، ومن مشكلة إلى مشكلة ، وكأن الجهد والنشاط لم يؤد إلى حل المشكلات في الميدان ، وإنما أدى إلى زيادتها وتعقدها .
إن هذه الصورة نلمسها بوضوح في واقع معظم المسلمين والعمل الإسلامي ، ونلمسها في النتائج المؤلمة المبكية التي وصل إليها المسلمون .

إن هذه المرحلة تكاد تمثل قلب النظرية العامة لأهميتها وخطورتها ولأنها ترتبط بالمرحلة الأولى السابقة وترتبط بالمرحلة الثالثة التالية ، ولأنها ستظل تتكرر مع الدعوة الإسلامية في مسيرتها كلها ، وبخاصة في المرحلة الرابعة مرحلة المضي على الصراط المستقيم . إنها دراسة الواقع من خلال منهاج الله .

لا يمكن أن يتحقق الهدف من هذه المرحلة إلا إذا تحققت المرحلة الأولى ، مرحلة التزود ، وإلا إذا ارتبطت المرحلتان ارتباطاً حركياً في تفاعل متبادل ينمو فيه الزاد وتعمق فيه دراسة الواقع مع نمو الزاد .

وبغير هذه المرحلة لانستطيع أن نقفز إلى المرحلة الثالثة ، مرحلة التنفيذ ، إلا أن تكون هذه القفزة تدميراً للعمل وتعطيلاً للنظرية العامة أو هدمها .

ربما تتكون بعض التصورات لدى بعضهم ، ليس من خلال دراسات وأبحاث ووعي لهذه النظرية العامة ، بل من الواقع الخاطيء الذي يضغط على الفكر والنفوس والقلوب ، حتى تألف القلوب الواقع الخاطيء ، وتظنه صواباً ، ثم تمارسه ، ثم تدعو إليه . وليس من سبيل إلى التحرر من ضغط الواقع الخاطيء إلا إتقان المرحلة الأولى ، حتى يصفو الإيمان والتوحيد ويصدق ، ويصدق العلم بمنهاج الله ، ثم يُردُّ الواقع رداً أميناً إلى منهاج الله . وهذا كله يحتاج إلى إعداد وتدريب ، إعداد منهجي وتدريب منهجي من خلال خطة متكاملة ونهج متكامل ، نرجو أن توفره هذه النظرية العامة وما تحمل معها من دراسات وتفصيلات ومناهج ونماذج .

وتمثل هذه المرحلة نموذجاً عملياً لتطبيق النظرية العامة . ففيها تتم دراسة الواقع ورده إلى منهاج الله ، وتحديد الأمراض والعلل والخلل . وفيها يتم النهج والتخطيط لبدء

المعالجة والانطلاق ، ويتم التنسيق الإداري ، وجمع المعلومات ورصد النتائج ، وغير ذلك . ويظل هذا النموذج صالحاً لكل واقع .

ففي هذه المرحلة ، حين ينزل الدعاة إلى الميدان في واقع المسلمين ، نجد عدداً من المشكلات يكاد لا يمحصر . ونجد أنه لا يمكن معالجة كل مشكلة وحدها ، وعند ردّ الواقع إلى منهاج الله نرى أن هنالك أربع مشكلات كبرى رئيسة يجب البدء بها ، والبدء بأول واحدة منها ، فهي المفتاح لسائر المشكلات ، والمشكلات الأربع الكبرى هي المفتاح لجميع المشكلات الأخرى ، ويبدأ النهج والتخطيط للمعالجة ووضع الحلول .

المشكلات الأربع الكبرى الرئيسة هي : الخلل في تصوّر الإيمان والتوحيد وفي البذل له ، والخلل في العلاقة مع المنهاج الرباني حتى تطوّر الخلل إلى هجره ، والخلل في فهم الواقع من خلال منهاج الله ، ثم الخلل في الممارسة الإيمانية ، الخلل الذي يأتي نتيجة طبيعية للخلل في القضايا الثلاث الأولى .

وإن أهم قضية هنا ، أو أهم خلل نجابهه هو الخلل في التصوّر لقضية الإيمان والتوحيد وفي البذل لها ، وفي النهج والتخطيط لها . إن معالجة هذا الخلل هما المفتاح لمعالجة سائر أشكال الخلل في الميدان . لذلك كانت قضية الإيمان والتوحيد هي القاعدة الصلبة للنظرية العامة وللدعوة الإسلامية كلها ، وهي الحقيقة الكبرى في الكون والحياة .

إذا صدقت معالجة هذه القضية ونجحت ، فإن لها على الأقل ثلاث نتائج مباشرة هامة :

أولاً : الإقبال على دراسة منهاج الله إقبال شوق و يقين .

ثانياً : معالجة الأخطاء والشوائب .

ثالثاً : النهوض لتبليغ رسالة الله إلى الناس .

وبالإقبال على منهاج الله إقبال شوق و يقين تتحقق نتائج هامة :

أولاً : نمو الإيمان والتوحيد وازدياد صفائهما .

ثانياً : معرفة التكاليف الربانية التي يجب أن ينهض لها .

ثالثاً : الإقبال على دراسة الواقع من خلال منهاج الله .

من هذا نرى أننا حين نبدأ المعالجة بقضية الإيمان والتوحيد في المرحلة التالية ، مرحلة التنفيذ ، فإن هذه القضية تدفعنا إلى منهاج الله ، ثم تعمل القضيتان معاً لتدفعنا إلى دراسة الواقع من خلال منهاج الله ، ثم تعمل القضايا الثلاث معاً لتصحيح من الممارسة الإيمانية وتعالج أخطاءها . ويمضي العمل المنهجي ، يمضي به الدعاة المؤمنون المدربون ، حتى تتحول هذه المشكلات الأربع ، بعد أن عولجت في نفوس دعاة جدد ، إلى «أسس أربعة» كما كانت في نفوس الدعاة الأول ، فينضمّ الدعاة بعضهم إلى بعض ، ليمضوا في مسيرة مباركة ، على نهج وتخطيط وسلامة تفكير .

هذه الأسس الأربعة تصبح إذن العنصر الأول في المرحلة الثالثة مرحلة التنفيذ .

٣ - المرحلة الثالثة : مرحلة التنفيذ :

إنها مرحلة المعالجة ، والدعوة ، والبناء والتربية ، والإدارة والتنظيم ، وغير ذلك على أساس من سلامة التفكير وسلامة النهج والتخطيط .

في هذه المرحلة يتقدم الدعاة ومعهم «الزاد الرئيس» ، وقد درسوا الميدان ، من خلال الزاد الذي يحملونه ، وأصبح لديهم أسس أربعة ينطلقون منها ، هي : صفاء الإيمان والتوحيد ، صدق العلم . بمنهاج الله ، وعي الواقع من خلال منهاج الله ، سلامة الممارسة الإيمانية .

هذه الأسس الأربعة هي أول أدوات التنفيذ . إن العمل في أي ميدان من ميادين الحياة يحتاج إلى أدوات للتنفيذ . نُسَمَّى هذه الأدوات اصطلاحاً بعناصر التنفيذ .

فالعنصر الأول هو هذه الأسس الأربعة ، وهو أهم عناصر التنفيذ ، ومنه تنطلق سائر العناصر . وبغير هذا العنصر الأول لن ينجح أي تنفيذ ، ولن يستطيع أي عنصر آخر أن يعمل ويستقيم .

إن أول ما يجب على الدعاة في مرحلة التنفيذ ، وقد ملكوا الأداة الأولى والعنصر الأهم ، هو أن يتفكروا قبل الشروع ، أن يتفكروا ويتبعوا المنهج الإيماني للتفكير ، النهج الذي ينطلق من العنصر الأول ، من الأسس الأربعة ، ليكون العنصر الثاني للتنفيذ : المنهج الإيماني للتفكير .

والمنهج الإيماني للتفكير له خصائصه الإيمانية التي تميزه عن أي منهج آخر^(١) . إنه المنهج الذي يضبط كل نوازع الإنسان حتى تعمل في تناسق بينها ، وحتى تؤدي كل غريزة أو قوة المهمة التي خُلِقَتْ لها . إنه المنهج الذي يضبطه صفاء الايمان والتوحيد ومنهاج الله ووعي الواقع من خلال منهاج الله ، ليصبح التفكير عبادة لله وطاعة ، واستجابة لأمره ، مع إخلاص النية له .

إن الله سبحانه وتعالى أنعم على الإنسان بهذه النعمة العظيمة ، نعمة العقل وطاقة التفكير ، ونعم الله على الإنسان لا تحصى . ومن العبادة لله والطاعة له أن نستخدمها كما أمرنا ، لا أن نعطلها . وقد جعل الله لهذه الطاقة ميداناً محددًا تعمل فيه ، حتى لا تتبدد هذه الطاقة فيما لا طائل تحته ، وفيما يخرج عن قدرتها .^(٢)

وأول ما يدفع إليه المنهج الإيماني للتفكير ، بعد أن انطلق من الأسس الأربعة وارتبط بها ، هو النهج والتخطيط العام للعمل عامة ، وللدعوة الإسلامية خاصة .

فيصبح العنصر الثالث هو النهج والتخطيط العام للدعوة الإسلامية على أن ينهض النهج والتخطيط على أسسه الإيمانية التي سبق إيجازها . ثم تأتي سائر عناصر التنفيذ كما سبقت الإشارة إليها ، ونعيد التذكير هنا بمصطلحاتها :

العنصر الرابع : النهج والتخطيط لكل ميدان يشقُّه العمل أو نخوضه الدعوة . وعددنا في صفحات سابقة وكتب أخرى نماذج من هذه الميادين : الدعوة والبلاغ ، التربية والبناء ، التدريب ، الأدب الملتزم بالإسلام ، الجهاد في سبيل الله ، وميادين أخرى اجتماعية وسياسية واقتصادية وغير ذلك .

العنصر الخامس : الإدارة والنظام وما يحمل من إشراف ومراقبة ، وتوجيه ومتابعة وغير ذلك مما نجده مبسوطاً في كتاب : فقه الإدارة الإيمانية .

(١) يراجع كتاب : النظرية العامة للدعوة الإسلامية - نهج الدعوة وخطة التربية والبناء للمؤلف : الباب التاسع - الفصل الأول .

(٢) يراجع كتاب التوحيد وواقعنا المعاصر للمؤلف : الباب الثالث كله وبخاصته الفصل الثاني .

العنصر السادس : ميزان المؤمن كما سبق الحديث عنه .

العنصر السابع : المؤسسات الإيمانية .

العنصر الثامن : التقويم الدوري .

ومرحلة التنفيذ لا تنتهي في حياة الإنسان إلا بقاء ربه ، ولا تنتهي في حياة الأمة المسلمة إلا بقيام الساعة . إن العمل تكليف رباني والدعوة تكليف رباني للأمة المسلمة بعد النبوة الخاتمة .

ولكننا قسمنا مرحلة التنفيذ إلى قسمين لنبرز بهذا التقسيم قضية هامة وخطيرة ، ألا وهي المداومة والمتابعة والاستمرار ، والمضي على صراط مستقيم .

فمرحلة التنفيذ التي عرضناها بعناصرها الثمانية تمثل القسم الأول ، ثم يأتي القسم الثاني الذي نعتبره المرحلة الرابعة .

٤ - المرحلة الرابعة : المضي على الصراط المستقيم :

لابد من تأكيد أهمية هذه المرحلة بالنسبة لواقع المسلمين اليوم . فأعداد كبيرة جداً تتوقف عن المضي راضية بجزء من التكاليف الربانية دون أن يكون لها عذر شرعي بالتوقف . ولكننا لانملك إلا أن نصح ونذكر ، وحساب الجميع عند الله .

وأعداد كبيرة جداً تنحرف عن الصراط المستقيم الذي بيّنه الله لنا وفصّله في كتابه المبين .

لابد أن نذكر أنفسنا ونذكر غيرنا بأهمية المضي على الصراط المستقيم حتى يلقي المسلم ربه ، لا يتوقف ولا ينحرف . ولقد بحثنا أضرار التوقف وأخطار الانحراف على الفرد والأمة .

إن قوى هائلة في العالم الإسلامي معطّلة لا تمضي على الصراط المستقيم . إنها معطلة تحت تأثير عوامل شتى : الخدر ، الهوى الشهوات ، الجهل . لقد سُلت طاقات كثيرة في العالم الإسلامي حتى أصبحت مرتعاً لأعداء الله .

إن هذه المرحلة الرابعة ممتدة حتى يبلغ المؤمن بإذن ربه الهدف الأكبر والأسمى - الجنة - ، ويغادر هذه الحياة الدنيا إلى عالم الغيب ، إلى دار الحق والخلود ، ليرى هناك الحياة الحقيقية .

٥ - المرحلة الخامسة : الهدف الأكبر والأسمى :

وقد سبق الحديث عنه تحت بحث البنود ، بنود النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، حيث كانت هذه المرحلة تمثل البند السادس .

هذا هو الهدف الأكبر والأسمى للمؤمن ، تمثل نهاية المسيرة إلى دار الخلود ، ليرى كل إنسان أن هناك الحياة الحقيقية الخالدة ، إما في الجنة للمؤمن أو في النار للكافر .
أما المؤمن فيقول :

﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾
[الزمر : ٧٤]

ويرى الكافر الحقيقة التي لافتر منها ، فيأخذه الندم :

﴿ وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى ﴾ يقول
[الفجر : ٢٣ ، ٢٤]
ياليتني قدمت لحياتي ﴿

* * * *

هذه هي المراحل الخمس التي تمثل المسيرة كلها ، منذ نقطة الانطلاق إلى لقاء الله ، تمثلها النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، تمثيلاً نابعاً من منهاج الله ، مدعماً بالآيات والأحاديث ، حتى يرى الإنسان هذه المسيرة وتماسكها ، وحتى ينهض لمسؤولياته قبل أن يأخذه الندم ويقول : ﴿ يقول ياليتني قدمت لحياتي ﴾

﴿ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد . ولا يوثق وثاقه أحد ﴾ [الفجر : ٢٥ ، ٢٦]

ويرحم الله المؤمنين :

﴿ يا أيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ فادخلي في عبادي * وادخلي جنّتي ﴿ [الفجر : ٢٧-٣٠]

وهذه المراحل لاتعمل منفصلة بعضها عن بعض ، ولكنها تتداخل تداخلاً يحدده وسع الدعاة وطاقتهم ، وواقع الميدان ، والظروف العامة المحيطة .

فالداعية الصادق هو داعية في الميدان في جميع حالاته : وهو يتزوّد ، وهو يدرس ، وهو ينطلق ويعمل ، ليظل عمله متواصلاً جهاداً في سبيل الله ، وليظل زاده زاداً نامياً ، في نهج محدد وخطة واعية ، على بصيرة ، وعلى صراط مستقيم .

ويمكن أن نوجز ماعرضناه بنقاط محددة :

١ - إن واقع المسلمين اليوم يفرض سؤاين هامين :

الأول : أين ضاعت جهود قرن أو قرون من البذل في ميدان الدعوة ، ولماذا ضاعت ، ومن هو المسؤول عن النتائج المروعة التي نشهدها ؟!

والثاني : يسأله كل مسلم لنفسه : ماذا قدّم لنصرة دين الله ، وكيف قدّم ، وهل صدق ربه وأوفى بعهده مع الله على نهج وخطة ووعي ، وهل ثبت واستمر ، أم ضعف وتراجع ؟!

٢ - إن واقع المسلمين اليوم يفرض أن تقوم من أجل ذلك دراسات منهجية ، جادة أمينة ، لتحديد الخلل والعلل والأمراض ، ولرسم النهج والخطة للعلاج .

٣ - إن أهم ماكشفته الدراسات التي قدمناها في كتب الدعوة :

أ - حصر الخلل في الميدان بالقضايا والمشكلات الأربع الرئيسية التي ترتبط بوحدة منها أو أكثر بقية المشكلات الجزئية .

ب - إن أهم قضية هي قضية الإيمان والتوحيد ، فهي تمثل نقطة الانطلاق والزاد الأول الرئيس للدعاة ، والقضية الكبرى في حياة كل إنسان والحقيقة الكبرى في الكون ، والمهدف الثابت الأول ، والقاعدة الصلبة للدعوة الإسلامية كلها ، وجوهرها .

ج - تكشف لنا الدراسات كذلك غياب مسؤولية الفرد ، حتى كاد الكثيرون يكونون قطعاً يُساق ، أو رجالاً إمعة . وتكشف الدراسات خطورة هذا الخلل ، وكيف أن مسؤولية الجماعة والأمة لا تتحقق إلا بنجاح مسؤولية الفرد وتحقيقها في واقع الحياة على أساس من منهاج الله .

د - تكشف لنا الدراسات غياب النهج والتخطيط على أسس إيمانية ربّانية ، وغلبة الارتجال وردود الفعل . وتكشف لنا ضرورة وضع النهج والخطة للدعوة الإسلامية .

٤ - من هنا تنبع النظرية العامة للدعوة الإسلامية بقاعدتها الصلبة ، وركنيها الأساسيين ، وأسسها الأربعة ، وعناصرها النامية الممتدة مع نمو الدعوة .

٥ - إن المصدر الرئيس والأول لفهم قضية الإيمان والتوحيد هو منهاج الله ، فله الدور الرئيس في بناء التصور الإيماني في النفوس ، وله الدور المتميز في كل قضايا الدعوة ومراحلها ، لا يعدله أي مصدر آخر ، ولا يحل محله . ونريد اليوم أن يؤدي منهاج الله الدور الذي كان يؤديه في عهد النبوة الخاتمة . فلا بد من دراسة هذا الدور ووعيه واتباعه .^(١)

٦ - للكتاب البشري دور آخر : التذكير ، دراسة العلل والأمراض في الواقع ، دراسة سبل العلاج ، وضع النهج والخطة في قضية الإيمان والتوحيد وغيرها ، دراسة أحداث الواقع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، دراسة قائمة على منهاج الله ، والتذكير الدائم الملح بضرورة العودة إلى منهاج الله ، لتكون هذه الدراسات والكتب منهجية ، تؤلف فيما بينها منهجاً محدّد المعالم والتفصيلات ، يحمل النظرية والتطبيق ، ونماذج من الدراسات التطبيقية على بعض القضايا الفكرية ، وبعض أحداث الواقع .

ويلي في الصفحة المقبلة النموذج لبناء النظرية العامة في الدعوة الإسلامية .

(١) يراجع كتاب : (دور المنهج الرباني في الدعوة الإسلامية) - (ط: ٦) للمؤلف .

النظرية العامة للدعوة الإسلامية



الباب السادس

موجز

**الأهداف والوسائل والأساليب والعهد
في لقاء المؤمنين**

الفصل الأول

موجز أهداف الدعوة الإسلامية

والوسائل والأساليب

١ - موجز الأهداف :

أولاً : الهدف الأكبر والأسمى : الجنة ، الدار الآخرة ، رضوان الله ، أو كل تسمية وردت في منهاج الله ، ليكون هذا الهدف ليس شعاراً فحسب ، وإنما يدخل في النهج والخطة العامة ، وفي ميدان الدعوة ، وميدان التربية والبناء ، وميدان التدريب والممارسة ، بجهد مدروس متواصل لا ينقطع ، وليجري مع الدم في العروق والأوصال .

ثانياً : الأهداف الثابتة : وهي أهداف ربّانية حدّدها الله في منهاجه .

١ - الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد ، لتكون الهدف الثابت الأول والممتد حتى تقوم الساعة .

٢ - التربية والبناء والإعداد والتدريب .

٣ - بناء الجيل المؤمن الذي نعرّفه بِصِفَتَيْن :

أ - أن تتوافر فيه الخصائص الإيمانية الربّانية ، التي وعد الله حين تتوافر أن ينزل النصر على عباده المؤمنين .

ب - أن يكون قادراً على تحمل أعباء الدعوة والمضي بها إلى سائر أهدافها التالية ، وإعداد أسباب القوة التي أمر الله بها .

٤ - الجهاد في سبيل الله بتصوره المحدّد في منهاج الله .

٥ - أن تكون كلمة الله هي العليا فيما يقيمه الناس من أمر في أمة مسلمة واحدة .

٦ - الانتشار في الأرض لعمارتها بالإيمان والتوحيد والحضارة الإيمانية .

هذه الأهداف الستة تنبع كلها وترتبط بالهدف الأكبر والأسمى - الجنة - .

وكلما انتقلت الدعوة من هدف إلى هدف ، يعمل عندئذ الهدافان معاً ، ثم الثلاثة معاً ، وهكذا حتى تعمل الأهداف الستة مترابطة في وقت واحد ، على خطة ونهج .

هذه الأهداف يجب أن تكون جلية في قلوب القادة والأفراد ، لينضبط العمل كله في أجواء الآية الكريمة ، ولتوضح الطريق أمام الجميع ، وليعرف كلُّ مسؤوليته : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [يوسف : ١٠٨]

ثالثاً : الأهداف المرحلية :

وهي الأهداف التي تنقل الدعوة من هدف ثابت إلى هدف ثابت آخر . وهذه الأهداف تضعها الطاقة البشرية المؤمنة على طريق الدعوة ، على أساس من منهاج الله والواقع ، وعلى ضوء الأسس الأربعة من النظرية العامة .

وكل هدف يتحقق يصبح وسيلة وقوة في مسيرة الدعوة ، وتظل الأهداف تعمل وتتلاقى كلما انتقلت الدعوة من هدف إلى هدف ، ومن مرحلة إلى مرحلة .

الأهداف كلها متماسكة مترابطة فيما بينها ، ومرتبطة كلها بالهدف الأكبر والأسمى .

إنها مسئولية الطاقة البشرية المؤمنة أن تجاهد لتحقيق هذه الأهداف لخير الإنسان على الأرض في الحياة الدنيا ولنجاته في الآخرة ، ولتحول دون تحوّل الأهداف إلى شعارات تموت في ميدان الممارسة والتطبيق ، فهذا التحوّل ، إن وقع ، هو إثم كبير ومعصية واسعة ، ونشر للفتنة والفساد في الأرض ، والظلم والعدوان ، وانتشار الجريمة في كل بقاع الأرض . إنها مسئولية الطاقة البشرية ، مسئولية كل مسلم أن ينصح ويدعو ويتعهد ويجاهد حتى لا يقع الانحراف ولا الوهن ، وحتى لا يتسلل الضعفاء والمنافقون ليوهنا الصف المؤمن .

إنها مسئولية المسلم أن يَعْرِفَ مسئولياته وواجباته ، ومكانه الذي يصدق الله فيه ويحسن عمله من خلاله ، وأن يعرف منازل الآخرين فلا يبخس الناس أشياءهم ، وأن يرى روابط الإيمان والأخوة في الله حتى لا تتمزق الأمة شيعاً وفرقاً ، بل تجتمع على منهاج الله ، وعلى النهج النابع منه ، وعلى الدرب المحدد والأهداف المحددة . وإنها مسئولية الدعوة والأمة أن تعين الفرد على معرفة مسئولياته لا أن تتركه في تيه وجهل .

٢ - موجز الوسائل والأساليب :

أ - **المنهاج الفردي** : نظرية وتطبيقاً ليحقق ممارسة النظرية العامة في الدعوة الإسلامية ، ويساهم في بناء المسلم وتحديد مسئولياته ، وتنمية إيمانه وعلمه ومواهبه ، ويساهم في تحقيق الأهداف ، وفي بناء الأمة المسلمة الواحدة .

ب - **منهج لقاء المؤمنين** : بنظريته ونهجه وخطته ، وتصوره ومعانيه ، ليوفر مكاناً للتدريب مرتبطاً بالمنهاج الفردي ، وليجعل من التدريب قاعدة رئيسة في البناء والتربية والإعداد .

ج - **الخطّة اليومية والأسبوعية والسنوية** : لتنظم هذه الخطط عمل الفرد والجماعة ولتنسّق الجهود ، وتساعد على الإدارة والإشراف والتوجيه .

د - **التدريب** : على أن يكون للتدريب نظريته ونهجه وخطته وأن تحدّد موضوعات التدريب بأنواعه المختلفة : التدريب الفوري ، والدوري ، والمرحلي ، والمستمر وكذلك التدريب المباشر وغير المباشر .

هـ - **التقويم الدوري** : الذي يوفر الوقفة الإيمانية اللازمة ، والمراجعة والحساب للفرد والجماعة ، على أساس من منهاج الله ، ومن خلال النظام الإداري . على أن يكون التقويم دورياً : أسبوعياً ، شهرياً ، سنوياً . ولكل تقويم خطته وتفصيلاته . ومع الممارسة والتطبيق ينمو التقويم بأسلوبه .

و - **الكتاب المنهجي** : الذي يشرح النهج والنظرية ، ويشرح تفصيلات الممارسة والتطبيق ، والذي يدرس أهم القضايا الفكرية من خلال منهاج الله ، وأهم قضايا الواقع وأحداثه من خلال منهاج الله ، وليصبح الكتاب المنهجي جزءاً من النهج والخطة ، وليس عملاً متفلتاً ارتجالياً ، وليتابع مسيرة الدعوة في مراحلها المختلفة .

ز - **الأدب الإسلامي نشرًا وشعرًا** : ووضع خصائصه الإيمانية والفنية ونظريته وقواعد النصح فيه (النقد) ، ليكون أدباً متميزاً عن آداب المبادئ الأخرى ، ويساهم في تحقيق أهداف الدعوة وبناء الأمة المسلمة الواحدة ، نابعاً من منهاج الله ملتزماً به ، وبالنظرية العامة القائمة على منهاج الله والواقع .

ج - **المؤسسات الإيمانية** : التي تمثل حقيقة الإسلام في صورة تطبيقية في ميادين الحياة المختلفة : كمراكز الأبحاث والدراسات الإيمانية ، والمراكز التجارية والاقتصادية التي تمثل حقيقة الإسلام في الميدان ، ومراكز البناء والإعداد ، وغير ذلك .

ط - **الإعلام الإيماني** : ليبرز طهارة الكلمة ، ونظافة الأسلوب وصدق العطاء والتحليل ، بعيداً عن الافتراء والظلم ، والظن والكذب ، والتهويل ، واستشارة العواطف والأهواء ، ذلك كله بالعمل المنهجي غير الارتجالي .

ي - **الوسائل والأساليب الإيمانية** التي تتجدد وتنمو من خلال الممارسة ، ومع تجدد الواقع والأحداث والإمكانات ، ونمو المواهب والقدرات في كل ميدان ، ومع الانتقال من هدف إلى هدف ، ومن مرحلة إلى مرحلة . وستظل المسؤولية هي مسؤولية الطاقة البشرية بالانتقال من مرحلة إلى مرحلة ، وتطوير وتنمية الوسائل والأساليب ، مع المحافظة على التزام منهاج الله ، ونهج الدعوة وخطتها ونظريتها العامة ، والاستقامة على الدرب لتحقيق الأهداف على طريق الجنة .

ك - **النظام الإداري الإيماني** الذي يوفر ، بالإضافة للمراقبة والإشراف ، والمتابعة والتوجيه ، تنسيق الجهود حتى لا تتصادم ، وحتى يعرف المسلم حقوقه وواجباته

في الدعوة ، وحدوده التي يقف عندها ، والساحات التي يمارس فيها مبادراته الذاتية وحوافزه الإيمانية . ولا بد من التأكيد ثم التأكيد على قضية الإدارة والنظام وتحديد المسؤوليات والصلاحيات بصورة تنمو مع الأيام وتتطور . إن أي نشاط لا ينسقه نظام إداري معرض للفشل وتضارب الجهود وتبديد الوقت .

م - إمكانات المجتمع ومؤسساته ومراكزه : البيت والأسرة ، المسجد ، المعاهد والمؤسسات العلمية والإعلامية والتربوية والاقتصادية ، على قدر ما تتسع الدعوة وميادينها ، وتنمو كفاءاتها وطاقاتها البشرية التي تظل على نفس المستوى من صدق الإيمان وصفاء التوحيد وقوة العلم وسلامة الوسع .

الفصل الثاني

موجز العهد (١)

إن عهود ابن آدم كلها في حياته الدنيا تبتدىء ، أو يجب أن تبتدىء ، بتذكره عهده مع الله ، عهده الذي أخذه الله من ذرية بني آدم كلهم في عالم الغيب ، كما علمتنا الآيات والأحاديث . لا يولد أحد من بني آدم إلا وهو على عهد مع الله .

فلقد جعل الله هذا العهد في فطرة ابن آدم ، في كيانه ، حتى لا يتفلس منه ، وجعله الله جزءاً رئيساً من الإيمان والتوحيد ، وجزءاً رئيساً من الدعوة الإسلامية .

وبعث الله الأنبياء والمرسلين ليذكروا الناس بهذا العهد مع الله ، ليذكروهم بشروطه وأسسهم ومداه وخطورته ، وليذكروهم بأن جميع عهودهم مع الناس في الحياة الدنيا يجب أن تنبع من هذا العهد وترتبط به وتخضع له . فإذا تم هذا ، فإن هذه العهود في الحياة الدنيا بهذه الشروط يسميها الله سبحانه وتعالى عهد الله .

وامتد العهد مع الله مع امتداد الرسل والأنبياء إلى جميع الشعوب وجميع العصور حتى يوم القيامة . ويسيطر لنا منهاج الله امتداد هذا العهد مع الشعوب كلها ، مع بني إسرائيل ، مع النصارى ، مع أهل الكتاب ، ثم مع خاتم الأنبياء محمد ﷺ وأمته ، ومع امتداد الدعوة الإسلامية في الأرض .

ويقوم العهد مع الله على أساس الشهادة بأنه لا إله إلا الله ، والشهادة بأن محمداً رسول الله ، يوضح هاتين الشهادتين آية في سورة الأعراف [١٧٢ - ١٧٤] وآية في سورة آل عمران [٨١] ، سنذكرها في صفحات مقبلة .

ويسيطر لنا كذلك منهاج الله سائر تفصيلات العهد مع الله على أساس الشهادتين السابقتين . وهذه التفصيلات هي التكاليف التي أمر الله بها عباده المؤمنين أن يقوموا بها . فمن منهاج الله يعرف المؤمن حقيقة عهده مع الله ، ومنه أيضاً يعرف التكاليف التي أمر بها والتي سيحاسب عليها يوم القيامة بين يدي العزيز الجبار .

(١) تراجع الكتب التالية للمؤلف من أجل دراسة أوسع : « العهد والبيعة وواقعنا المعاصر » - « لقاء المؤمنين - الجزء الأول » .

وإذا استعرضنا التاريخ الإسلامي والسيرة وحياة الصحابة ، ورددنا ذلك إلى منهاج الله ، نجد أن هنالك نماذج أربعة رئيسة من العهود :

أولاً : العهد مع الله والبيعة له .

ثانياً : العهد الذي أخذه رسول الله ﷺ من أصحابه والبيعة له . إنه عهد مع النبوة الخاتمة ، عهد مرتبط بالعهد مع الله حتى كأنهما عهد واحد وبيعة واحدة .

ثالثاً : العهد والبيعة للخلفاء الراشدين الذين يقودون أمة واحدة هي أمة الإسلام غير الممزقة ، لها خليفة واحد وإمام واحد .

رابعاً : العهد والبيعة للذان يكونان استجابة لواجب شرعي في واقع جديد .

وهذا العهد الأخير هو الذي نحتاج إلى توضيحه وبيان فقهه . فهذا العهد يجب أن يكون على أمر محدد جلي ، ونهج مدروس واضح ، وأهداف وأساليب ووسائل ، كلها محدّدة واضحة ، وكلها نابعة من منهاج الله ، وكلها ضرورية للواقع الذي ينهض له العهد . وهذا العهد إذا استوفى شروطه وحُدّد نهجه وأهدافه ، فلا يَجَلّ نقضه أبداً ، لأنه عهد نابع من العهد مع الله ، مرتبط به ، ماضٍ معه فلا ينتهي حتى تتحقّق أهدافه المحدّدة الربّانية .

وهو عهد يختلف عن العهد مع خليفة المسلمين . فالعهد مع خليفة المسلمين يجعل الخليفة مسئولاً عن إقامة منهاج الله كله ، وحماية كل مسلم في الأرض ، وحماية ديار المسلمين وغير ذلك من المسؤوليات الشرعية التي وضعها الله في عنق الخليفة ، تُعينه الأمة وموابها على تحقيق أمر الدين كله . فتكون البيعة عامة على كتاب الله وسنة رسوله .

هذا العهد الأخير ، النموذج الرابع ، لا يصحّ إلا إذا كان هناك نقاط محددة ، ونهج محدد ، وأهداف محددة ، يحتاجها الواقع ويأمر بها الله ورسوله ، لتمضي الدعوة الإسلامية بها على بصيرة ونور ، علماء ودعاة وجنوداً ، في صفّ كالبنيان المرصوص .

هذا العهد الأخير هو عهد على طريق بناء الأمة المسلمة الواحدة ، وعلى طريق بناء

حضارة الإيمان وعمارة الأرض بها ، على طريق تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية في الأرض ، في مراحلها وخطواتها المنهجية المدروسة .

وهذا العهد لا يحل نقضه ولا ينتهي أمره إلا بتحقيق شروطه المحددة المفصلة وبلوغ غاياته وأهدافه . فلا يصح مع نقضه كفارة اليمين التي تجرى مع من يترك يمينه لما هو خير منها . فهذا العهد ليس من شروطه القسم واليمين إلا للتوكيد والتوثيق . أما شروط قيامه ونفاذه فهو أن يعي كل واحد تفاصيل هذا العهد وبنوده وعياً يصاحبه الإيمان واليقين ، حتى لا يكون لأحد عذر بين يدي الله ، ثم يعلن رضاه ببسط اليد أو بأي كلمة طيبة واضحة .

إن أساس العهود كلها هو الوفاء بما تقتضيه الشهاداتان : شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله . وكلتا الشهاداتين ثابتة في القرآن الكريم ، كما هي ثابتة بالسنة . وهما في فطرة ابن آدم جاء الرسل ليثبتوها :

فشهادة أن لا إلا الله عهد أخذه الله من بني آدم من ظهورهم :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢ - ١٧٤]

أما شهادة أن محمداً رسول الله فهي عهد أخذه الله من جميع الأنبياء وأتباعهم :

﴿ وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَآخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَإِنَّا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١]

وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . وَإِقَامُ الصَّلَاةِ . وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَحَجُّ الْبَيْتِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ . » [رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي (١)]

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) . ص (٣) للآلبي : حديث رقم (٢٨٣٧) .

الفصل الثالث

موجز العهد في لقاء المؤمنين

نوجز بنود العهد الذي يمكن أن يجتمع عليه المؤمنون العاملون ، والذي يكون مثلاً على النموذج الرابع الذي عرضناه في الصفحات السابقة بالنقاط التالية :

١ - إخلاص النية لله سبحانه وتعالى مع تجديدها وتوفير الشروط العملية التي تشير إلى الإخلاص وصدق النية ، وأهمها محاسبة النفس قبل محاسبة الآخرين ، وكذلك الوفاء والبذل والعطاء على أساس من منهاج الله ، والنهج والخطة لكل عمل .

٢ - دراسة منهاج الله - قرآنا وسنة ولغة عربية - دراسة منهجية ، صحبة عمر وحية ، بعزيمة وجد ، مع الأخذ بالأسباب التي تعين على ذلك ، وأهمها الخطة المحددة لهذا الأمر كالمناهج الفردي ومنهج اللقاء .

٣ - دراسة الواقع من خلال منهاج الله دراسة منهجية مصاحبة لدراسة منهاج الله ، على ضوء النهج المحدد والخطة الموضوعية .

٤ - أن تكون الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد هي الهدف الثابت الأول ، والقضية الكبرى ثم ينهض المسلم على ضوء ذلك إلى المساهمة في تحقيق الأهداف الثابتة في الواقع كما أمر الله ورسوله ، على درب ممتد إلى الجنة ، ويبذل من أجل ذلك جهده الحق دون تراخ وتوان .

٥ - أن يدرس المسلم نهج الدعوة وخطتها ، ونظريتها العامة وأهدافها ، ووسائلها وأساليبها ، كما هي مبينة في كتب الدعوة القائمة على منهاج الله والملبية لحاجة الواقع ، وأن يتأكد هو بنفسه من دراسته أن ذلك كله قائم على منهاج الله حتى يطمئن ، وحتى يكون مسئولاً عن عهده يوم القيامة بين يدي الله سبحانه وتعالى ، وحتى يطمئن كذلك إلى أن ولاءه الأول لله سبحانه وتعالى وأن عهده الأول مع الله سبحانه وتعالى ، وأن حبه

الأكبر هو الله ولرسوله ، وأنه من هذا الولاء الأول والعهد الأول والحب الأكبر ينشأ كل ولاء في الحياة الدنيا وكل عهد وكل حب على أساس من منهاج الله .

٦ - أن يدرك من خلال ذلك أن مسؤولياته في الحياة الدنيا لا تقف عند الشعائر وحدها ، ولكنها تمتد إلى ميادين متعددة في الحياة ، يُفصلها منهاج الله ، وتذكر بها الدعوة تذكيراً ، وتعين على أدائها ، وعلى ترتيبها وتيسير النهج والخطة للوفاء بها .

٧ - أن يحافظ على الروابط الإيمانية ويصونها من أن تتحول إلى عصبية جاهلية .

٨ - أن يعرف حدوده وحدود غيره وينزل الناس منازلهم على أساس من منهاج الله وميزان المؤمن القائم على منهاج الله .

٩ - أن ينصح لإخوانه وأن يتقبل النصيحة ، وأن يؤدي ذلك عن إيمان وعلم .
فيعطى النصيحة في المكان المناسب والوقت المناسب والأسلوب المناسب ، وبالشروط الإيمانية التي حددها الله سبحانه وتعالى . فينصح لأخيه مباشرة ويستتر عليه مادام الستر أقرب للتقوى .

١٠ - يلتزم عند إبداء الرأي بالشروط التي أمر الله بها . فيعطي رأيه عن بينة وعلم ، لا عن جهل وهوى ، ويتأكد من صدق نيته لله لانيّة الفتنة والتجريح والعصبية الجاهلية ، ويتأكد من توافر الدليل والحجة والبيّنة ، ومن الحاجة للرأي . ولا يعتبر أن رأيه ملزم للمسلمين ، إلا إذا كان تذكيراً بنص من منهاج الله ، أو قاعدة من النهج والإدارة والدعوة .

١١ - أن يتحلّى بأخلاق الإيمان فلا يقع في غيبة ولا نيممة ولا افتراء ولا ظلم ، ويتقي الله في أعراض المسلمين ويحفظ لهم حقوقهم عليه ويتجنب الظن إذا كان مما نهى الله عنه . ويتجنب الكلمة الخبيثة ويقول الكلمة الطيبة ، ويظل لسانه رطباً بذكر الله .

١٢ - أن يصون العهد وبقي به على طاعة الله ، ويرعى الأمانة ولا ينقضها حتى يلقي الله وفيّاً أميناً .

١٣- كل مسلم يعتبر مستأمناً على دينه ودعوته ، فلا يحل له أن يسكت كالشيطان الأخرس ، فإذا رأى مخالفة لمنهاج الله أو مخالفة للنهج والإدارة سارع إلى النصح بالشروط الإيمانية ، ومعالجة الخلل في حدود مكانه ومنزلته ، والاستعانة بأهل الرأي إذا لزم الأمر ، وفق النهج والخطة والنظام الإداري .

١٤- تبدأ مسئولية المسلم أولاً في نفسه . فهناك الجولة الأولى يخوضها ليتعهد نفسه على أساس من منهاج الله ، وخطة الدعوة التي تعينه في هذا الأمر . ومع هذه المسئولية الممتدة مدى العمر كله ، تقوم مسئولياته نحو زوجه وولده ليرعاهم على نفس الأساس والنهج والخطة ، ثم ينطلق يدعو إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد ، وهو وافر الزاد ، على صراط مستقيم ، وعلى بصيرة هو وكل داعية التزم ذلك ، وعرف دربه وأهدافه ، ليوفي بالأمانة والعهد .

١٥- أن تمثل التكاليف الربانية التي يتعلمها من منهاج الله ، وما تذكر به الدعوة الإسلامية ، صراطاً مستقيماً ، تتماشك فيه جميع التكاليف ولا تنقطع وتتمزق ، ونهجاً ممتداً مفصلاً يمضي في سبيل الله إلى الهدف الأكبر والأسمى .

١٦- أن يكون هذا الصراط المستقيم هو السبيل الذي يجمع المؤمنين الصادقين ، وهو سبيل وحيد للمؤمنين لأسبيل سواه .

١٧- أن يكون هذا الصراط المستقيم الذي أمر الله باتباعه هو السبيل أيضاً لبناء الأمة المسلمة الواحدة ، وهو السبيل لنجاة المؤمنين من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة .

١٨- ولقد سمى الله العهد الذي يقيمه المؤمن في الدنيا والذي ينبع من العهد الأول للمؤمن مع الله ، ومن منهاج الله ، عهد الله تكريباً له وتوثيقاً ، ولارتباطه بالعهد الأول مع الله وخضوعه لأحكام منهاج الله :

﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم

الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ماتفعلون * ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴿ [النحل : ٩١ ، ٩٢] وكذلك :

﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل ولكم عذاب عظيم * ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [النحل : ٩٤ ، ٩٥]

ولقد ذكرنا قبل صفحات النماذج الأربعة للعهد التي يجيزها الإسلام . ونعيدها هنا للتأكيد والتثبيت .

الأول : عهد الإنسان مع ربه وخالقه الله الذي لا إله إلا هو . وهو العهد الذي أخذه الله من ذرية آدم عليه السلام وبنيه جميعهم في عالم الغيب ، وهو العهد الذي جعله الله في فطرة بني آدم ويولدون عليه . ومن هذا العهد تنبع سائر عهود المؤمنين في الحياة الدنيا حتى قيام الساعة ، وترتبط به .

الثاني : العهد الذي اعطاه أصحاب رسول الله ﷺ له والبيعة التي بايعوها . وهو عهد خاص برسول الله ﷺ ، نابع من العهد مع الله مرتبط به . ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيدهم .. ﴾ .

الثالث : العهد مع خليفة رسول الله ﷺ ، وأولي الأمر ، على إقامة كل أمور الدين والدعوة ونصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله ، وتطبيق شرع الله بكامله في الأمة ، وحماية الأمة المسلمة كلها أمة مسلمة واحدة . وهو العهد النابع من العهدين السابقين مرتبط بهما ، قائم كذلك على الكتاب والسنة .

الرابع : العهد الذي يلتزم به المؤمنون لإقامة أمر من أمور الإسلام ، إذا غاب هذا

الأمر عن الواقع ، أو للدفاع عن دار الإسلام أو أي جزء منها ، ولا يصح هذا العهد إلا إذا ارتبط بالعهد مع الله وخضع لشرعه وأحكامه ، ويجب كذلك أن يكون الأمر مفصلاً بيناً ، وليس عهداً عاماً .

إن العهد في لقاء المؤمنين هو تابع للنموذج الرابع ، يُذكر المؤمنين بأمر الدعوة الإسلامية في الأرض . ويُفصل العهدُ بينوده حتى يكون بيناً جلياً لا غموض فيه ، وحتى يكون باباً لجمع المؤمنين وجهودهم لإقامة الأمة المسلمة الواحدة في الأرض . فهو عهد يذكر المؤمنين ببعض ما أغفلوه في مواقع كثيرة . وهو عهد يتعهد ويربي ويدرب المؤمن على قواعد الإيمان ، عهد يبتعد عن الفتن وأبوابها ، ويعالج النفوس وأصحابها .

فهرس كتاب
موجز
النظرية العامة للدعوة الإسلامية
والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين

رقم الصفحة	الموضــــــــوع
٥	الإهداء .
٧	الافتتاح .
٩	كلمات يجب أن نقف عندها .
١١	مقدمة الطبعة الأولى والثانية .
١٧	تمهيد .
	الباب الأول
	الدعوة الإسلامية والأمة المسلمة الواحدة
٢٧	الفصل الأول : الدعوة الإسلامية رسلها ودعاتها وجنودها :
٢٧	١ - ماهي الدعوة الإسلامية ؟ ولماذا يجب أن تقوم
	٢ - من المكفون والمسؤولون عن النهوض إلى
٢٩	تكاليف الدعوة والإسلامية .
٣٥	الفصل الثاني : الدعوة الإسلامية دعوة ربانية .
٣٥	١ - خصائص الدعوة الإسلامية .
	٢ - تحقيق خصائص الدعوة الإسلامية يحتاج إلى
٣٦	الأجيال المؤمنة والنهج والتخطيط .
٣٧	٢ - قبسات من القرآن الكريم .
٣٨	٤ - الدعوة الإسلامية بين الجماعات والأحزاب .
٤١	الفصل الثالث : الأمة المسلمة الواحدة ومسؤوليتها :
٤١	١ - الدعوة الإسلامية ممتدة في الأرض والزمن .

الموضوع	رقم الصفحة
٢ - الدعوة الإسلامية دعوة متكاملة .	٤٣
٣ - الحقيقة الكبرى والحياة التي بعث الله من أجلها	
الرسول والأنبياء .	٤٥
٤ - خطران حقيقيان .	٤٦
٥ - لماذا ندعو إلى بناء الأمة المسلمة الواحدة.	٤٦
٦ - كنتم خير أمة أُخرجت للناس .	٤٩
<p style="text-align: center;">الباب الثاني أهم العقبات والمبشرات على طريق الدعوة الإسلامية</p>	
الفصل الأول : المعوقات	٥٣
١ - تمهيد	٥٣
٢ - العقبات الممتدة في واقع الإنسان والماضية مع الزمن ..	٥٤
٣ - العقبات الذاتية من واقع المسلمين .	٥٩
٤ - ظهور صورتين متناقضتين لا يرضى بهما	
الإسلام : الغلو والتفريط في التصور	
والممارسة .	٦٨
٥ - اضطراب الروابط والعلاقات في واقع الأمة .	٧٠
٦ - آثار الجو النفسي العام .	٧١
٧ - الأفكار الباطلة والعادات السيئة والبدع مما	
ورثناه عن عصور سلفت .	٧٣
٨ - تنافس بعض الدعاة على لعاعة من الدنيا .	٧٥
الفصل الثاني : المبشرات	٧٧

الموضوع	رقم الصفحة
الباب الثالث	
أمام المسلمين سبيل وحيد ولا سبيل سواه	
الفصل الأول : أمام المسلمين سبيل وحيد ولا سبيل سواه .	٨٣
الفصل الثاني : الجيل المؤمن والصراط المستقيم .	٩٧
الفصل الثالث : هل المسلمون اليوم قادرون على بناء مصنع للأجيال المؤمنة ؟	١٠٩
الباب الرابع	
المؤولية الفردية	
الفصل الأول : جوهر المسؤولية الفردية ومحورها والأسس التي تقوم عليها .	١١٧
الفصل الثاني : المسؤوليات والتكاليف الربانية على الإنسان .	١٢٥
الفصل الثالث : المسؤولية الفردية بين الإسلام وبين المذاهب العلمانية ودورها في بناء الأمة المسلمة الواحدة ومسؤوليتها .	١٤٧
الباب الخامس	
النظرية العامة للدعوة الإسلامية	
الفصل الأول : أهمية النظرية العامة للدعوة الإسلامية وضرورتها ودورها .	١٦١
١ - من أين تنطلق النظرية العامة للدعوة الإسلامية ؟	١٦١
٢ - إلى ماذا تهدف النظرية العامة ؟	١٦١
٣ - ماهو دورها وما هي أهمية هذا الدور ؟	١٦١
٤ - ماذا تقدم النظرية العامة ؟	١٦٦

رقم الصفحة	الموضوع
١٦٨	٥ - مم تتألف النظرية العامة ؟
١٦٨	٦ - ماهي البنود الستة للنظرية العامة ؟
١٦٨	٧ - ماهي مراحلها الخمس .
١٦٩	الفصل الثاني : البند الأول : القاعدة الصلبة : الإيمان والتوحيد .
١٧٣	الفصل الثالث : البند الثاني : الركنان الرئيسان : المنهاج الربّاني والواقع الذي يُدرَس من خلاله .
١٧٧	الفصل الرابع : البند الثالث : القضايا والمشكلات الأربع الكبرى في الميدان .
١٨٣	الفصل الخامس : البند الرابع : عناصر التنفيذ الثمانية .
١٨٣	١ - تمهيد .
١٨٦	٢ - العنصر الأول : الأسس الأربعة .
١٨٧	٣ - العنصر الثاني : المنهج الإيماني للتفكير .
١٨٩	٤ - العنصر الثالث : النهج والتخطيط العام للدعوة الإسلامية .
١٩٢	٥ - العنصر الرابع : النهج والتخطيط لكل ميدان تخوضه الدعوة الإسلامية .
١٩٤	٦ - العنصر الخامس : الإدارة والنظام .
١٩٦	٧ - العنصر السادس ميزان المؤمن .
٢١٤	٨ - العنصر السابع : المؤسسات الإيمانية .
٢١٥	٩ - العنصر الثامن : التقويم الدوري .
٢١٩	الفصل السادس : البند الخامس : المضيُّ على الصراط المستقيم دون توقّف أو انحراف .
٢٢٧	الفصل السابع : البند السادس : إلى الهدف الأكبر والأسمى .

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثامن : مراحل النظرية العامة للدعوة الإسلامية .	٢٣٥
الباب السادس	
موجز	
الأهداف والوسائل والأساليب	
والعهد ، والعهد في لقاء المؤمنين	
الفصل الأول : موجز أهداف الدعوة الإسلامية والوسائل	
والأساليب .	٢٥١
الفصل الثاني : موجز العهد .	٢٥٧
الفصل الثالث : موجز العهد في لقاء المؤمنين .	٢٦١
الفهرس	٢٦٧
كتب المؤلف	٢٧٣

كتب للمؤلف

الرقم	اسم الكتاب	الطبعة
أولاً كتب توجز النهج العام والنظرية العامة للدعوة الإسلامية		
١	موجز النظرية العامة في الدعوة الإسلامية والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين	ط ٢
٢	أضواء على طريق النجاة	ط ٢
٣	النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية	ط ٥
ثانياً : كتب تفصل النهج العام والنظرية العامة في الدعوة الإسلامية		
٤	دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية	ط ٦
٥	منهج المؤمن بين العلم والتطبيق	ط ٥
٦	النظرية العامة للدعوة الإسلامية - نهج الدعوة وخطة التربية والبناء	ط ٣
٧	منهج لقاء المؤمنين	ط ١
٨	لقاء المؤمنين - أسسه وقواعده - الجزء الأول	ط ٤
٩	لقاء المؤمنين - الجزء الثاني - الأهداف	ط ٤
١٠	العهد والبيعة وواقعنا المعاصر	ط ٤
١١	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال	ط ١
١٢	الفقه امتداده وشموله في الإسلام بين المنهاج الرباني والواقع	ط ١
١٣	الإسلام أركان وبناء - تذكير ونصح	ط ١
١٤	فقه الإدارة الإيمانية في الدعوة الإسلامية	ط ١
١٥	المسؤولية الفردية في الإسلام : أسسها وتكاليفها وتميزها	ط ١
ثالثاً : أهم قضايا التوحيد في واقعنا المعاصر والنهج والخطة للدعوة والبلاغ :		
١٦	التوحيد وواقعنا المعاصر	ط ٣
١٧	الحقيقة الكبرى في الكون والحياة	ط ١
١٨	النية في الإسلام وبعدها الإنساني	ط ٣

الرقم	اسم الكتاب	الطبعة
١٩	الولاء بين منهاج الله والواقع	ط ٣
٢٠	الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام	ط ٤
٢١	الخشوع	ط ١
رابعاً : بعض القضايا الفكرية في الواقع وبعض أحداثه :		
٢٢	الشورى وممارستها الإيمانية	ط ٣
٢٣	الشورى لا الديمقراطية	ط ٤
٢٤	الصحة الإسلامية إلى أين ؟	ط ٣
٢٥	التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتهاء الصادق إلى الإسلام	ط ١
٢٦	واقع المسلمين أمراض وعلاج	ط ١
٢٧	بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية	ط ١
٢٨	المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية	ط ١
٢٩	على أبواب القدس	ط ٢
٣٠	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع	ط ٤
٣١	عبدالله عزام أحداث ومواقف	ط ١
خامساً : الأدب الملتزم بالإسلام والنصح (النقد) الأدبي ، والرد على المذاهب الأخرى :		
٣٢	الأدب الإسلامي - إنسانيته وعالميته	ط ٣
٣٣	النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء	ط ١
٣٤	الحداثة في منظور إيماني	ط ٤
٣٥	تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها	ط ٢
٣٦	أدب الوصايا والمواعظ : منزلته ونهجه وخصائصه الإيمانية والفنية	ط ١
٣٧	لماذا اللغة العربية	ط ١

الرقم	اسم الكتاب	الطبعة
سادساً : الدواوين الشعرية :		
٣٨	ديوان الأرض المباركة	ط ٦
٣٩	ديوان موكب النور	ط ٤
٤٠	ديوان جراح على الدرب	ط ٣
٤١	ديوان مهرجان القصيد	ط ١
٤٢	أكثرنا ذكر هاذم اللذات - أب يرثي ابنه	ط ١
سابعاً : الملاحم الشعرية		
٤٣	ملحمة فلسطين	ط ٥
٤٤	ملحمة الأقصى	ط ٢
٤٥	ملحمة الجهاد الأفغاني	ط ٣
٤٦	ملحمة البوسنة والهرسك	ط ٢
٤٧	ملحمة الإسلام في الهند	ط ٢
٤٨	ملحمة القسطنطينية	ط ٢
٤٩	ملحمة الغرباء	ط ٣
ثامناً : في الدعوة الإسلامية باللغة الانجليزية		
٥٠	خطة الداعية (The Caller's Plan)	ط ١
تاسعاً : كتب ترجمت إلى لغات أخرى :		
٥١	لقاء المؤمنين - الجزء الأول	ط ١
٥٢	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع	ط ١
٥٣	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع	ط ١
عاشراً : علوم أخرى :		
٥٤	دراسة الموجات الإلكترونية ومغناطيسية المتوسطة « بالانجليزية »	ط ١

مع هذا الكتاب

إنَّ أهداف الإسلام أهداف ربَّانية لا يمكن تحقيقها في الواقع البشريِّ إلا بجنود ربَّانيين ووسائل وأساليب ربَّانية. وهذه وتلك حتَّاج إلى إعداد وبناء ربَّاني.

وإنَّ بناء عمارة مهما عظمت يسهل إذا قيس ببناء الإنسان على قواعد الإيمان والتوحيد والمنهاج الربَّاني. فبناء العمارة يقوم به المهندسون والفنيون. أما بناء الإنسان وإعداده وتدريبه فمهمة بعث الله من أجلها الرسل والأنبياء الذين ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم. ثم جعلها مهمة الأمة المسلمة الواحدة الممتدة مع الزمن.

ومن أجل بناء الأمة المسلمة الواحدة في الأرض لا بد من لقاء المؤمنين المتقين العاملين. ولا بد من اللقاء من أجل الوفاء بالعهد مع الله. وبالأمانة التي حملها الإنسان والخلافة التي جعلت له والعبادة التي خلق لها والعمارة التي أمر بها. ومن أجل ذلك يجب أن يتعاون المؤمنون في كل ما أمرهم الله أن يتعاونوا فيه. ويعذر بعضهم بعضاً فيما أذن الله لهم أن يختلفوا فيه.

إنَّ الدرب جلي. إنه الصراط المستقيم. إنه سبيل الله. وهو سبيل وحيد لا سبيل للمؤمنين سواه. إنه السبيل إلى النصر! وإنَّ الماضي فيه مضي إلى أهداف ربَّانية ثابتة تمتد إلى الهدف الأكبر والأسمى - الجنة - مضيئاً يحمل النهج والتخطيط والبذل والعطاء. من أجل الاستقامة على الدرب.

أيها المسلمون! أيها الدعاة! لاتخافوا على الإسلام. فالإسلام سيثبت. ولكن خافوا على أنفسكم حين تقفون بين يدي الله تسألون عما بذلت من أجل نصرته الإسلام والوفاء بالعهد مع الله. وهل جنبتم الشقاق والصراع وتنافس الدنيا. أم وقعتم فيه!

لقد جاء هذا الكتاب ليذكر بما جلاه الكتاب والسنة من صراط مستقيم. وأهداف ربَّانية ثابتة عليه. ونهج وتخطيط. ليجمع هذا النهج والدرب المؤمنين. إننا نقدِّم فيه النظرية العامة للدعوة الإسلامية. والمناهج التطبيقية والنماذج العملية والتخطيط الجامع.

دار عالم الكتب
بغداد
٢٠٠٠
٢٠